

أحمد أسامة

الطبعة
3

سجن الموتى

رواية





سجن الموتى

1

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية

انضموا لجروب سحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
sa7eralkutub.com او زيارة موقعنا



الكتاب : سجن الموتى

المؤلف : أحمد أسامة

تصميم الغلاف :

تدقيق لغوي : أحمد أسامة

رقم الإيداع :

الترقيم الدولي : 978-977-6436-59-6

الطبعة الأولى : 2014

20 عمارات منتصر – الهرم - الجيزة

ت-02-35860372 011-27772007

Noon_publishing@yahoo.com

جميع حقوق الطبع والتوزيع محفوظة للناشر



2

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية

انضموا لجروب سحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/

sa7eralkutub.com

او زيارة موقعنا



سجن الموتى

رواية لـ

أحمد أسامة



3

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية

انضموا لجروب ساحر الكتب
fb/groups/Sa7er.Elkotob/
sa7eralkutub.com
او زيارة موقعنا



4

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية

انضموا لجروب ساهر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
sa7eralkutub.com او زيارة موقعنا



الإهداء الأول

إلى أمي.. كم أشتاق لحضنك العميم وأهفو لقلبك الرحيم، عسى أن
يجمعنا ربنا في جنات النعيم

كانت وستكون جنتي تحت قدميك إن شاء الله

إلى أبي.. إلى الآن لا أفهم كيف استجاب القدر بهذه البساطة والسرعة
لرغبة صادقة غير معلنة ليجمع شمل حبيبين دنيا وأخرة ولكن

(هل جزاء الإحسان إلا الإحسان)

مازلت بانتظار إجابتك كل ليلة عن سؤال لا يعرفه سواك

(وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً)

إلى زوجتي وحبيبتي.. شمسي التي غمرت روحي بالحياة

قمرى الذى بدد ظلمة الليالي

يا من منحتيني سعادة بلا حدود

وزرعتي في بستانى الورود

أنتِ معي إذن أنا موجود



6

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية

انضموا لجروب ساهر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
sa7eralkutub.com او زيارة موقعنا



الإهداء الثاني

إلى الذين يتألمون في صمت، يعانون دون ضجيج، يفضلون الانزواء ويبثون شكواهم إلى السماء، عالمين بأن أقصى ما يستطيع البشر تقديمه في أحسن الأحوال هو تعاطف مصطنع مؤقت يزيد الأمور سوءاً.. إليكم أنتم أقدم هذا العمل .



8

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية

انضموا لجروب ساهر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
sa7eralkutub.com او زيارة موقعنا



تعال إلى بيتك لأراك, أنا زوجتك التي تحبك
لا تفترق عني, تعال إلى بيتك
قلبي يناشدك, عيناي تشتبهيك, أبحث عنك لأراك
أنت يا من أحببت الضوء, لا تذهب في الظلام!
أنت يا من أحببت صخب ونزق الحياة,
لا تذهب للعزلة
كتاب الموتى (الخروج في النهار)

نصوص مصرية قديمة

(1)

صباح الخميس

طرقت سلمى باب غرفة والديها عدة طرقات ولكن دون رد، فأدارت المزلاج وفتحت الباب لتجد والديها نائمة بمفردها على السرير، فتدثرت تحت البطانية بجانبها وشعرت بها جيهان فاحتضنت طفلتها ذات الأربعة أعوام باسمه، طفلة رقيقة تحمل من البراءة قدرًا هائلًا قادرًا على جعل الشياطين تبيكي من فرط براءتها كما يقول الإنجليز، جدير بأن يجعل ناظرها أسرى نظراتها الساحرة بعينيها الخضراوين التي ورثتهما عن سليم والدها، وينساب شعرها الذهبي على خديها الأحمرين ليصيبها من يراها برغبة عارمة في التهامها أو تدوقهما بقبلة على أقل تقدير.. آية في الجمال بحق.. تعرف جيهان ذلك ودائمًا ما تدعو الله أن يحفظ ابنتها الوحيدة. استكملا نومهما سويًا، ثم استيقظت جيهان بعد أن استردت جزءًا من وعيها لتسأل نفسها أين سليم؟ لقد انتظرتة طويلًا بالأمس، لكنه لم يأت رُغم أنها نامت في وقتٍ متأخرٍ جدًا على غير العادة حتى هاتفه لا يرد.. بحثت عن هاتفها علنًا تجده منه رسالة أو مكالمة أثناء نومها، وحين وجدت الهاتف لم يكن يحمل لها أى جديد.

ما الذى أخره بهذا الشكل؟ هل هى إحدى مريضاته؟ أم إحدى الحالات الطارئة التى تأتى إلى المستشفى وتحتاج إلى تدخل جراحى سريع فيستدعونه على إثرها مما يضطره للبقاء حتى وقتٍ متأخر وربما المبيت كذلك فى المستشفى؟

حاولت الاتصال بسليم ولكن الهاتف هذه المرة خارج نطاق الخدمة مما زاد حيرتها، لم تتناول الإفطار في هذا الصباح مع والدها كما هي العادة.. ومرت الساعات بعد ذلك طويلة ثقيلة مع تعدد محاولاتها في الوصول إليه.. كان أطول نهار يمر عليها منذ فترة طويلة والقلق والحيرة يعصفان بها ولا تتلقى سوى الرد المقيت على مكالماتها (الهاتف الذى طلبته ربما يكون مغلقًا أو خارج نطاق الخدمة) وهاتف العيادة لا يرد. أما العاملون بالمستشفى فأبلغوها بعدم تواجده أو حتى استدعائه ليلة أمس.

فراودتها فكرة وشرعت في تنفيذها، ستتصل بسعد التمرحى لأبدي وأنه يعلم متى غادر زوجها العيادة، وربما يكون على علم بوجهته بعد العيادة، كان الهاتف يرن دون مجيب، مرة واثنان وثلاث، فلم تجد بُدًا من التوجه فورًا بسيارتها إلى العيادة، ولكن وجدتها مغلقة تمامًا ككل الطرق المؤدية للوصول إلى زوجها وكأنه قد أبرم اتفاقًا مع الجميع على إثارة قلقها... حتى بواب العمارة لم ير أحدًا منهما اليوم، ولكنه قد رأى سعدًا مغادرًا البناية ليلة أمس كما أخبرها. طلبت منه أن يتصل بها في حال ظهور أحدهما وأعطته رقم هاتفها، عادت إلى المنزل ومعنوياتها قد سقطت أرضًا، وكان القدر لم يُرد لها إلا الغموض والقلق.

جاء موعد العشاء ولم يلاحظ أحد غيابه سواها.. بالنسبة لأسرتها فإن غيابه ليوم أو أكثر عن مواعيد الطعام ليس بالأمر الغريب لطبيعة عمله كطبيب يجمع بين عمله في العيادة وعمله في المستشفى.. تظاهرت بتناول الطعام كي لا يؤثر ذلك على والدها وابنتها التى اتجهت بعد العشاء لأخذ حمام دافئ قبل أن تأوى لفراشها. راودها الأمل لحظات عديدة متوقعة قدومه مقبلًا عليها في أى لحظة ومعها عذرًا حتى لو بدا واهيًا سيقتنعها ولكن بمرور الوقت تدرك أنه أمل زائف.. مجرد شعاع من نور ينتجه



عقلها ويغمر خلائها يسعى جاهداً ليضئ عممة التوتر الذى وجدت نفسها ملقاة على قارعة طريقه ثم ينحسر هذا الأمل ويبدأ مزيج غريب من الغيظ والقلق يختلج به قلب جهان، تلك المرأة الحانية الهادئة التى تخطو خطواتها نحو الثلاثين وتتمتع بقدر هائل من الجاذبية تزداد عاماً بعد عام وكان الزمن يمنحها هدية كل عام مسحة من الجمال فوق الجمال، وجهها الناصع البياض يبعث الهدوء والسعادة فى نفس من يراها، عينان أسرتان تحتميان برموشي طويلة ساحرة، طولها متوسط وقوامها مثالى فاتن كامرأة متزوجة، لديها قدر هائل من الثقة بالنفس نتيجة تمتعها بشخصية قوية وعقل راجح لم يخذلها أبداً فى قراراتها المصيرية، تعشق زوجها رغم تغير أحواله فى الفترة الأخيرة وهى الفترة التى انتقلا فيها للعيش فى فيلا والدها بالمعادي. ولكنها تلتمس له العذر بعد ما تعرض له مؤخرًا، لقد كان تغيره سريعًا مفاجئًا، نست تمامًا أن النجاة من كارثة لا تعنى عدم توحى الحذر من وقوع كارثة أخرى ولكن هل هذه المرة هناك كارثة جديدة أم أن وراء الأمر امرأة؟

لو كان كذلك لأدركت من الوهلة الأولى، هذه بدهيات لا تغيب عن أى زوجة واعية.

لقد تزوجته عن حب بعد فترة من تبادل الإعجاب أثناء اشتراكهما باتحاد الطلبة بالجامعة فقد كان يسبقها بعامين فى الدراسة عرفته طالبًا متفوقًا طموحًا على قدر لا بأس به من الأناقة والبساطة بجانب خلق رفيع وأدب جَم لم يهتز أمام محاولات كثير من الطالبات التقرب منه لتفوقه، ولكنه كما أخبرها من قبل لم يستطع مقاومة هالة البهاء التى تنبعث منها مخترقة مسامه حتى تمكنت من قلبه، فلا يكف عن دقاته السريعة المتوالية معلنًا حالة من الطوارئ لم يمر بها من قبل فكان يتعلل بدخول

الحرم الجامعى لمقابلتها فقد كانت تدرس بكلية الآداب، وبعد تخرجه وإنهاء فترة تكليفه كطبيب وعثوره على عمل مناسب تمت إجراءات الخِطْبَة ثم تكللت علاقتهما بالزواج الذى أسفر عن فتاتهما المدللة سلمى. تتذكر جيداً فى بداية الزواج كيف كان موضوع الغيرة مصدر قلق لها، ولكن كان سليم دائماً يتجاوز حسن ظنها بمراحل بشكل نظرى وعملى، وحين كانت تضعه محل شك لا تجد منه سوى كل إخلاص وبكل بساطة يُجِئُ مستنقعات الشك لسهول من الثقة تتسع يوماً بعد يوم.

يبدو أنها ستمضى ليلة أخرى بدون سليم ودون أن تعرف مكانه.. ولكن بمجرد خروجها من الغرفة صباح غدِ الذى يوافق الجمعة يوم اجتماع شمل العائلة على الإفطار والغداء عليها تقديم إجابات لوالدها وأخها إذا ما استمر غيابها، ولا تريد أن تبدو فى وضع الزوجة التى لا تعلم مكان زوجها إلا لو كان الأمر وراءه كارثة فعلاً، وقتها فقط سيكون ملجأها الأول بعد الله سبحانه وتعالى هو والدها بما له من علاقات واتصالات رغم إحالته على المعاش من الداخلية منذ ما يقارب السنتين، إلا أنه مازال محتفظاً بصلاته وعلاقاته مع زملاءه وتلامذته فى الوزارة، ومعظمهم يتمنى خدمته أيّاً كانت.

الدقائق ثقيلة تمر مرور سحفاة فقدت ساقين من الأربعة اللاتي لديها.. هذا البطء يقابله دقائق قلبها التى صارت أسرع من عدّاء إفريقى فى أفضل حالاته، وفى وسط هذا الصخب الصامت بداخلها سمعت أصوات الأذان، توضأت كي تتطهر من الأفكار السوداء وصلت وسجدت لترتقى بعيداً عن الهواجس، ودت ألا تنهى السجود حتى يعود، ولكن بعد أن أخرجت كل ما بداخلها فى سجودها، استكانت حتى أنهت صلاتها، ودعت ألا تندم على



تأخرها بإخبار والدها، ربما كان سليم يحتاج المساعدة، وقتها لن تسامح نفسها إذا ما أصابه مكروه.

جاء الصباح فنزلت إلى الطابق الأرضي فوجدت أبها كالمعتاد مرتدياً ملابسها الرياضية عائداً من جولته اليومية في شوارع المعادي كل صباح، مازال يحافظ على رشاقته ولياقته رغم تجاوزه الستين من العمر، شعره الأبيض ينم عن عمره ولكن جسده العفى وقامته ينتميان لرجل لم يتجاوز منتصف الأربعين.. حياها بصوته الجهورى الذى يتمتع به أغلب رجال الشرطة:

- صباح الخير يا جيهان
- صباح الخير يا بابا
- هيا نادى زوجك وابنتك لتتناول الإفطار سوياً!

لم تجد ردًا فأومأت برأسها، بعد نصف ساعة جلس والدها على رأس المائدة وجاءت حفيدته.. فلثم خديها وجلست بجواره ثم جاءت جيهان فسألها والدها:

- أين زوجك؟ فلم ترد فكرر سؤاله:
 - أين سليم يا جيهان؟ ألن يتناول إفطاره معنا؟
- بعد أن بلغ القلق بداخلها مداه نطقت أخيراً وقالت:

- لا أعلم يا أبى سليم لم يأتِ إلى البيت منذ أول أمس ولا أعرف مكانه ولا يرد على تليفوناته.

ترك ما بيده من طعام قائلاً:



- ماذا يعنى هذا الكلام؟ هل وقع بينكما شىء ما؟ هل أغضبته في شىء؟
- لا يا أبى وهذا ما يقلقنى، لا مبرر لغيابه وليست عادته
- ألم يخبرك بأى شىء أول أمس؟ فأومات برأسها نافية
- ألم تتصلى بمساعده؟
- اتصلت ولم يرد ولم يذهب كلاهما للعيادة بالأمس
- إذن حاولى ثانية... قالها بصوت أمر، أمسكت بالهاتف لتكرار المحاولة فجاءها صوت سعد متكاسلاً كما لو أنه استجاب لرغبة وأمر أهبها:
- صباح الخير يا سعد! أهلاً بك... أين دكتور سليم يا سعد؟ ألم يخبرك بوجهته بعد العيادة أول أمس؟ جاءها الرد فجحظت عينها قليلاً:
- الدكتور أخبرك بأنه لن يأتى بالأمس للعيادة؟! ألا تعلم لماذا؟ حسناً أشكرك يا سعد... مع السلامة.

كانت الصورة واضحة أمام والدها، سليم لم يذهب للعيادة بالأمس بالاتفاق مع مساعده.. فسألها والدها:

- إذن متى آخر مرة رأيت فيها زوجك؟
- صباح أول أمس، ولكنى كنت أقرب إلى النوم متوقعة ذهابه للمستشفى كما هى العادة وبعدها إلى العيادة

فطلب منها والدها رقم المستشفى، وقام بالاتصال وبعد حديث قصير في الهاتف ردد في حيرة:

- سليم لم يذهب أمس أو اليوم إلى المستشفى، حاولى معه على الهاتف مرة أخرى قبل أن تقوم بأى خطوة.. لعل هناك سبباً لا نعرفه لهذا



الاختفاء.. ولا تنسى الاتصال بأقربائه في الشرقية... ربما يكون سافر إليهم.

لم تقتنع جيهان بجملته الأخيرة، فعند سفره إلى أهله يخبرها قبلها بوقت كافٍ بعد أن يرتب معهم الأمر.

في المساء عاد عماد أخوها الأصغر ضابط الشرطة إلى الفيلا، شاب متناسق الجسد، طوله مناسب لوظيفته، وجهه مريح ونظراته حادة غير مزعجة.. وجد الجميع في حالة صمت تام، حتى سلمى التي كانت تنتظر عودته ليشاركها اللعب والمرح، بدت ساكنة تمامًا، قصص عليه والده باختصار ما دار، حاول تخفيف الأمور على أخته بالمزاح قليلاً وداعها بأنها من دفعته للهروب، ولكنها كانت في حالة يرثى لها، فأدرك أن الوقت غير مناسب ولا يحتمل المزاح، والغريب أن القلق المسيطر على جو البيت انتقل إليه سريعاً رغم كونه رجل شرطة عليه أن يحتفظ دائماً بهدوء أعصابه ورباطة جأشه، ولكن سليم لم يكن مجرد زوج أخته فقط، فهو بمثابة أخيه الأكبر وصديقه، الذي كان كثيرًا ما يروي له تفاصيل لا يعرفها والده أو حتى أخته، فكان سليم حافظًا لأسراره مُقَدِّمًا له نصائحه بشكل غير مباشر ودون أن يمارس عليه ضغوط الأخ الأكبر وكان سليم يبادلها بعض الأسرار أيضًا، ورغم ملاحظته هو الآخر لتغير أحوال سليم في الفترة الأخيرة، ولكنه كان متفهمًا أن أمور كهذه تحدث وتتلاشى فجأة كما تظهر فجأة. خاصة وأن الأحداث الأخيرة لم تكن أبدا هينة على أخته وزوجها ولكنها على أي حال تجاوزاها.

كانت أخته جالسة على الأنتريه الأنيق تحتضن ابنتها بذراع وتدفن وجهها في راحتها الأخرى، وبدا أن المعاناة التي تعانها بلغت مبلغًا خطيرًا، والوالد في



مكتبه يُجرى اتصالاته التي تفوق قدرات عماد على الرغم من وجوده في الداخلية، وفجأة دق جرس الهاتف الأرضي، فهب الجميع واقفاً واتجه عماد إلى الهاتف:

- ألو.. وعليكم السلام نعم هذه فيلا حسن الصباح.. لا في الحقيقة
الدكتور سليم غير موجود الآن.. هل من رسالة أبلغها له؟ أهلاً وسهلاً
دكتور شريف...

وفور أن سمعت جihan الاسم اتجهت إلى أخيها تطلب السماعة... اندهش
عماد ولكنها كانت مُصبرة

- كيف حالك يا دكتور شريف؟ أنا جihan حرم سليم.. حمداً لله على
سلامتك يا دكتور

-

- حسناً... هل من الممكن أن آخذ أرقام تليفوناتك لأبلغها لسليم حين
يعود؟

حين أنهت المكالمة أخبرت عماد بأن شريف هو أقرب أصدقاء سليم ولكنه
كان مسافراً للخارج وسليم أخبرها بقرب عودته.. فقد كانا دائمى الاتصال
ببعضهما البعض أثناء سفر شريف، لم يُعر عماد الموضوع اهتماماً، أما
جihan ففكرت أنها ربما تحتاج شريف قريباً، فهو صديق سليم المقرب
وربما يعرف عنه ما لا تعرفه، واتجهت إلى مكتب والدها لتعلم خطته
بشأن اختفاء سليم.



18

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية

انضموا لجروب ساهر الكتب [fb/groups/Sa7er.Elkotob/](https://www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/)
sa7eralkutub.com او زيارة موقعنا



كيف يكون الأمر
إن استلقيت في السماء
من غير سقف أو باب
ومن غير ريح تقوم مقام العين؟
عندما يكون غطائي غيمة
فكيف أستطيع الاختباء

ماى سوينسون

(2)

لا أعلم كم من الوقت مضى وأنا على هذه الحال، ولكنى فى مكانٍ لم أر مثيلاً له من قبل ، استيقظت من النوم لأجد نفسى ممدداً على الأرض فى هذا المكان فى العراء، أرض ترابية ناعمة بيضاء، حاولت التعرف على معالم هذا المكان، نظرتُ حولى فوجدتها أرض شاسعة مترامية الأطراف، إن كان لها أطراف، منظرها يوحى بأنها أرض ممتدة لا نهاية لها ولكنها خاوية تماماً كعقلٍ رضيع، أهذه صحراء؟! وإن كانت كذلك فهى بلا رمال، يبدو أنه لا أحد هنا غيرى.

مهضت ناظراً إلى الفراغ الذى يحيط بى من كل اتجاه وكأنه الأمر الناهى هنا، فكرة واحدة تسيطر على عقلى، إننى أحلم. نصف نائم ونصف مستيقظ، أعرف هذا الشعور من قبل.. حين ترى حلماً أثناء نومك، فتأتيك لحظة تدرك فيها أنك تحلم ولكنك قد تترك نفسك لترى إلى أين يأخذك هذا الحلم وهو ما يعرف بالحلم الواعى أو الحلم الجلى (Lucide Dream) . واضح أنى أعى ما حولى وأعى تماماً أنى أحلم. إذن سأنتظر ما سيحدث.

غريب هذا السكون التام ومفزع كذلك أين ذهبت الأصوات والضجيج اللذان سمعتهما قبل صحوى أو بالأحرى قبل دخولى هذا الحلم؟ لا أدرى، أما بالنسبة للرؤية فعلى الرغم من عدم وجود أى مصدر للضوء إلا أنها كانت واضحة نسبياً فالوقت ليس نهائياً ولا ليلاً ولكنه أقرب إلى ما بعد الفجر بقليل واللون الرمادى بدرجاته هو الغالب على المشهد.

اعتقد أن النهار قادم والشمس ستشرق بعد دقائق. كنتُ متعبًا جدًا وخطواتي ثقيلة منهكة لكني واصلت السير أملاً في الفهم. لا وجود لأى نوع من أنواع الحياة لا طائر ولا حيوان ولا بشر وكأن الكون يتهجأ حروف ولادته من جديد وأنا أول معالمة. هل يُعقل هذا؟! حيرتني تزداد، يبدو أنه حان وقت استيقاظي ولكني أتكاسل إما طلبًا لدقائق أخرى على الفراش لن تفيد أو أملاً في ظهور أى معالم لهذا الحلم، إذن هيا لأنهى هذا السخف، ولكن فجأة مر بجوارى شيئًا ما في الهواء بسرعة السهم . التفتُ لأرى، ظننته سهمًا بالفعل، ولكني لا أرى مصدره وواصل هو انطلاقه ثم ووووشششتت ... تمر بجانبى طليقة رصاص مكتومة، ثم تحول الأمر إلى عدة طلقات متلاحقة، لا بد وأن هناك من يحاول الفتك بى ولا أدري ما السبب وبإلها من مهمة سهلة في هذا الخواء. انبطحت أرضًا وصرت أزحف على بطني كما الثعابين، وأصوات الطلقات تلاحقنى من فوق وتزداد من حولى، زاد الأمر خطورة ولا ساتر يقينى هذا الوابل من الطلقات وشعرت بخوف حقيقى لم أعهدده، يجب أن أنهى هذا الحلم الآن وأصحو.. ظللتُ منتظرًا اللحظة التى سأفتح فيها عيني ثانية وأنا على سريري، حاولت إيقاظ نفسى .. لا يمكننى وصف ذلك لكنى فعلته دون جدوى. هاجس ما لشدة وعيى يخبرنى أن هذا هو وضعى المادى الحالى ولا تخيلات أو أحلام فى الأمر. أهنالك خطأ ما؟ أم أن قلقتى هذا جزء من الحلم؟ لو كان هذا حلمًا فإن اللاوعى عندى يعمل بشكل ممتاز، حتى أن وعيى غير قادر على التغلب عليه.

أعلم أنه طبيعى أن تحلم..لكنه مفرع ألا ينتهى هذا الحلم ولا سبيل للخلاص.

ما دام الأمر بهذه الحبكة فلأخض الأمر لنهايتها، حتى تأتي لحظة الخلاص حين أصبحوا أو توقظنى زوجتى أو ابنتى. ما زلتُ أزحف على الأرض، وزاد توترى أكثر حين بدأت أسمع أصوات انفجارات بعيدة ، هل أنا في ساحة حرب؟ كل الأمور تشير إلى ذلك بصراحة وفجاجة كذلك.

نظرت إلى ما ارتدى فوجدتها ثياب رثة ومهلهلة بعض الشيء ولكنها النوعية المعتادة التي ارتديها في البيت، وليست ملابس عسكرية كما تصورت. هدأت أصوات الانفجارات قليلاً واختفت الطلقات المحيطة بي، إلا أنى مازلت خائفاً، جلست جاثياً على ركبتى، انظر حولى فوجدت في مرمى بصرى ما يبدو شاطناً ذو أمواج هادئة، غريب هذا لم يكن موجوداً من قبل، ليس منطقياً أن زحفى بضع أمتار يُغيّر المشهد بهذا الشكل، ولكن من قال أن الأحلام تخضع للمنطق، على أى حال لن أذهب إلى البحر فأنا أخافه نهاراً فلن أقرب منه في هذا التوقيت وهذه الظروف كما أنى لستُ سباحاً ماهراً، فلن أجازف بالذهاب إليه في هذه الوحدة المقيمة، قررت العودة في الاتجاه المعاكس للبحر زاحفاً على أربع خشية عودة الطلقات، فحقيقته لا أريد أن ينتهى هذا الحلم بموتى، حتى الآن أظنه حلماً وليس كابوساً.

عجيب أمر هذا الحلم فلم أشعر أبداً وأنا أحلم بمثل هذه الدرجة من الوعى التى أنا عليها ، حتى أننى أحلل وأفكر وأفسر، كما أنه أطول كثيراً من المعتاد وتفصيله أكثر وضوحاً، لما لا استفيق وأعود إلى حياتى الطبيعية؟! انتابتنى رغبة عارمة في الاستيقاظ واستجمعت قواى لهذا ، ولكن لا شيء يحدث. راودتنى خاطرة مروعة عندما فشلت في الاستيقاظ ثانية... هل أنا عالق هنا؟ إنه حقاً أمر مفرع، شعرت بهياج عصبي جراء هذه الفكرة، فركضتُ في كل الاتجاهات بشكل عشوائى عسائى أجد أى مخلوق..



مضيت في العدو بشكل هستيري رغم ما بي من آلام حتى وجدت جثة ملقاة على بعد أمتار مني، اتجهت إليها متوجسًا فوجدته شابًا في ملابس عسكرية مهترنة. في بادئ الأمر ظننته ميتًا ، ولكن عندما حركته بدأ يفتح عينيه ويتأوه، يبدو أنه مصاب بطلق نارى ، ولكنى لم أجده ينزف، ثم قاوم ألامه قائلاً في لهجة عربية غير مصرية:

- لماذا أنت هنا؟

فجأني بسؤاله فأنا بالفعل لا أعرف لماذا أنا هنا ولا أين أنا من الأساس؟ فلا وجود لأى رابط بين هذا المكان وبين حياتى المعتادة. وحين رأى حيرتى بادرنى بسؤالٍ آخر:

- لماذا لم تنزل؟

استفزنى سؤاله هذا فأنا أحتاج إلى أجوبة وليس مزيد من الأسئلة فوجدتني أجيبه في عصبية:

- أنزل إلى أين؟ فوجدته يشير بسبابته في إنهاب قائلاً:
- تحرك في هذا الاتجاه بسرعة قبل أن تضيع فرصتك في النجاة، ستجد خندقًا في الأرض، اسلك طريقك فيه حتى تصل إلى منتهاه

فقلت :- ولكن كيف أتركك وأنت على هذه الحال؟

- لا تقلق رفاقي قادمون
- ولكنك مصاب
- لا تخف لا أحد هنا يموت



اندهشت من هذا الرد.. ما معنى ذلك؟ فهمت بسؤاله منتظرًا إجابة تجعلني أفهم وتفك هذه الطلاسم وترفع الستار عن هذه الألغاز.

- أين نحن الآن؟ وما هذا المكان؟

فنهزني قائلًا في إصرار:

- أسرع! لا وقت لهذه الأسئلة، فرصك في النجاة قليلة لا تجعلها معدومة.

ابتعدت عنه مذهولًا، كيف أترك الشخص الوحيد الذي قابلته في هذا المكان الموحش؟ وكيف تكون هناك فرص للنجاة ولا أحد يموت هنا؟ ونجاة من ماذا؟ لدى ما يكفي من أسئلة والأغاز ولا ينقصني ما أضافه. أين أنا وأين عالمي؟ لماذا لم تشرق الشمس بعد؟ أظنها ليست السماء التي أعرفها، لِمَ لا ألوان غير الرمادي مختلف الدرجات هنا؟ تقريبًا لا ألوان غيره. أين زوجتي وابنتي وأهلي؟ لماذا لم يوقفوني حتى الآن إن كنت نائمًا؟

متى ينتهي ما أنا فيه؟ كلها أسئلة تقودني إلى الجنون بحنكة وبراعة يُحسدون عليها، يبدو أنه لا منفذ ولا مُنقذ، بعد أن توارت الإجابات في مكنها الخفي ولا تفسير واحد يحفظ سلامة عقلي.



المقدمات الطويلة تخلف وراءها إما كارثة أو هراء

25

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية

انضموا لجروب سائر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
sa7eralkutub.com او زيارة موقعنا

(3)

عاد من العمل بخطوات متناقلة ونظرات هائمة منذ أملت به المصائب من كل اتجاه، فلا شيء يثير اهتمامه أو يستحث فضوله، لولا أن هذا العمل هو ما يكفل له مصاريف الحياة وقوت يومه، ما حَمَلَ نفسه عبء ساعات طويلة يقضيها هناك منتظرًا انقضاءها بفارغ الصبر، اسمه منصور حسنين منصور الدوكش خريج كلية التجارة الذي كان محملاً بكثير من الأحلام أثناء دراسته الجامعية، لم يحقق منها إلا أقل القليل وذهب بأقبح أدرج الرياح وليس ذلك نتيجة قصور ارتكبه في حق نفسه ولكن نتيجة طامة كبرى حلت به وهو يخطو خطواته الأولى في دروب الرجولة وتحمل المسؤولية، حتى صار مسئولاً عن ما لا يمكن لبشر تصوره، تلك الصدمة التي تلقاها على يد والده، الذي أبلغه إياها باكياً ليترك ولده في حالة ذهول يظن أن والده قد أصابه مس من الجنون وكان منصور نفسه على حافة الخبل، نرجع قليلاً للوراء لتتعرف على الموضوع من البداية.

منصور ووالده حسنين يعيشان وحيدين في منزلهما الصغير بعد رحيل والدته منذ عدة سنوات، لسبب لا يعلمه لم يُرزق بأخ وحين سأل والديه عن السر كانت الإجابة التي أسكتته بأنها إرادة الله، ولكن كان هناك بعض الأمور الغريبة تحدث ويصعب على منصور فهمها بينما هو طفل أهمها حرص والديه على النوم في غرفتين منفصلتين، قد يبدو هذا طبيعياً في الغرب وقد يكون مألوفاً إذا كانت الحياة رغبة وتعيش الأسرة في منزل ضخم أو فيلا ولكن في مسكن بسيط لأسرة ريفية المنشأ فقد كان هذا غريباً ولم يجد له مبرراً ولم يحصل على إجابة مقنعة، كانت الإجابات واهية منها عدم رغبة الوالد في ازعاج زوجته بسبب الأصوات التي تصدر

من منخاريه فلا تتمكن هي من النوم بشكل مريح، حتى أنه قد ينام هو مع والدته في نفس الغرفة أما والده فلا بد أن يبيت ليلته في سريره وعندما كرر سؤاله بعد أن كبر كان والده يرد عليه بغلظة فقرر عدم الانشغال بهذا الموضوع وأقنع نفسه بتلك الحجج الواهية مادام لم يعثر على سبب منطقي آخر... كان منصور مدللًا بصفته الابن الوحيد، كل طلباته مجابة وكل أحلامه محققة طالما في الإمكان تحقيقها... كانت حياة رانعة لطفل، ثم كصبى يدخل في طور المراهقة، في هذا السن تحديدًا كان والديه يعاملانه معاملة خاصة جدًا كما لو كانا هما الأبناء وهو ولى أمرهما حتى أنه كان دائم الحنق على نفسه عندما ينفعل على أحدهما ولكن مرت الأيام هادئة حتى صار شابًا يافعًا، قوى البنية عريض الكتفين ملامحه هادئة رغم حاجبيه الثقيلين وأنفه الكبير بعض الشيء، ذو وجه دائري ممتلئ خمري اللون وعينان معبرتان نافذتان تتقدان ذكاءً، قامته أقرب إلى الطول.. لم يعكس صفو حياته سوى موت والدته نتيجة صراع مع عدة أمراض صارت ملازمة لأغلب مثيلاتها في مثل هذا العمر.

ترك موتها بداخله جرحًا عميقًا كانت الأيام كفيلة بمداواته، ولكن الجرح كان أعمق بالنسبة لوالده الذى وجد نفسه وحيدًا يتحمل مسئولية العمل والمنزل رافضًا مشاركة ابنه إياه مهام الحياة حتى يتفرغ منصور لدراسته وينال البكالوريوس، فاستمر تدليله من جانب والده حتى بعد رحيل والدته، وبالفعل مرت السنون كان خلالها التفوق حليفًا لمنصور في دراسته حتى جاءت السنة الأخيرة واجتاز الامتحانات بتفوق كعادته ومن ثم انتقل من وظيفة لأخرى بحثًا عن عمل ثابت مستقر يضمن له حياة كريمة ويؤهله لتحقيق باقى مشاريعه وطموحاته واستمر على هذا الحال فترة من الزمن، إلا أنه بدأ يلاحظ أن والده تغير بعض الشيء في الفترة الأخيرة، فأصبح أكثر توترًا وأميل للوجوم والشروود حتى بدا وكأنه تقدم في



العمر عشرة أعوام دفعة واحدة.. حتى جاء اليوم الموعود حين طلب منه والده البقاء في المنزل لأنه ينوى الحديث معه بشأن أمرٍ بالغ الأهمية وابتدأ والده الحديث متلعثمًا مرتبًا لأقصى درجة.. تتساقط الكلمات من فمه دون ترتيب حتى استحثه منصور بوجاء على الهدوء ثم الحديث فقال والده في استسلام:

- أنت الآن كبرت يا منصور وأصبحت رجلًا يُعتمد عليه، وما سأقوله ربما سيكون قاسيًا وغريبًا لكنه حقيقيًا، لذا أرجو الإنصات والتركيز لاستيعاب ما سأقول وصدقني يا بنى إن الأمر يفوق طاقتي وقدراتي، ما أصعبه عليّ! ولكن لا مفر من المكتوب، وأنت الآن اقتربت من إتمام عامك الثالث والعشرين وتنتظر مَهَامَّ جِسام.

كانت بداية كهذه كفيلة بإثارة فضول وقلق منصور في آنٍ واحد مما دعاه ليقول في تردد وقلق:

- خيرًا يا والدي... يبدو أن الموضوع أكبر وأعقد مما أظن
- هو بالفعل كذلك ولدرجة قد أبدو معها مخبولًا، ولكن ما أخفيته لأعوام أن الأوان لأطلعك عليه

بهذه الكلمات سقط منصور فريسة للقلق، يبدو أنه على وشك سماع مصيبة أو كارثة.. ولكنه عجز تمامًا عن تخمينها فلم يجد بُدًا من أن يقول:

- تفضل يا والدي كلى أذان مصغية ومهما كانت غريبة ما سأسمع ، فإنه لا يحمل ذرة شك ما قد صدر عنك
- حسنًا يا بنى وأتمنى ألا تغير رأيك بعد أن أنتهى من حديثي... أنت تعرف أن جدك (والدي رحمة الله عليه) منصور الدوكش ينتمى لأسرة بسيطة بمركز مطوبس محافظة كفر الشيخ.. كانت وقتها الحياة

صعبة وضيق ذات اليد يعانى منه الغالبية العظمى من أبناء هذه البلدة... لذا كان جدك ناقماً على هذه الحياة وكان يسعى بشتى الطرق لكسب الرزق ... تنقل بين العديد من الأعمال وامتهن كثيراً من المهن, لكن جميعها لم تُرضِ طموحاته وآماله, فقرر البحث و السعى وراء الرزق في عدة محافظات فاتجه إلى بورسعيد والقاهرة وكذلك الإسكندرية التي مكث بها عدة سنوات, كانت سنوات فارقة في حياته وغيرت مجرى حياته بالكامل, فقد تعرف هناك على رجل إفريقي يعمل بالتجارة وينتقل بين الدول ولكن أغلب إقامته في الإسكندرية, وجدها جدك فرصة عظيمة فقد كان العمل معه يُدرّ دخلاً كبيراً له, فاجتهد أكثر وأكثر في عمله حتى نال رضا هذا الإفريقي في أشهر معدودة ومن بعدها نال ثقته أيضاً, فكان ياتمنه على أمواله وبضائع بمبالغ ضخمة, ويعتمد عليه في كل صغيرة وكبيرة, وكان جدك دائماً عند حسن ظن الرجل, حتى صارا كصديقين وكان الرجل يعتبره بمثابة الابن الذي لم يُرزق به, وحدث بينهما تقارب شديد جعل جدك يَطَّلِعُ على عالم غريب لم ير له مثيلاً من قبل هو هذا العالم الخاص بالرجل الإفريقي, لم يكن متزوجاً وليس لديه أطفال ويعيش وحيداً , فعرض على جدك العيش معه في شقته الكبيرة, فوافق على الفور, فرصة كهذه ستوفر له تكلفة أجرة مسكن ولوازمه, فقد كان الرجل يتكفل بكل ما يحتاجه البيت, في هذا الوقت لاحظ جدك بعض العادات الغربية لهذا الرجل فغرفته دائما مغلقة هي خط أحمر لا يعلم ما تحويه ولم يكن هذا غريباً بالنسبة لجدك منصور فمن حق الإفريقي الاحتفاظ ببعض الخصوصية, ولكن الغريب هو الأصوات التي تصدر من الغرفة ويسمعا ليلاً...ما بين صرخات مكتومة وعواء يحاول ألا يُحدث صخباً كان يندهش لها وباتت تخيفه وتصيبه بالذعر.

كان هناك الكثير من الطّرق كما لو كان نجازًا يتخذ من الغرفة مقرًا لعمله ولكن لم يبدو الطرق بأنه على الخشب أو على معدن فقد يبدو طرقًا على أشياء أقل صلابة، لم يدرِ جدك ما الذى يحدث بالداخل... لم تتوقف الأمور عند هذا الحد ولكن كان بين الحين والآخر يرى جدك بُعْجَ حمراء في الحمام أو المطبخ كانت قليلة جدًا خمن أنها بقع من الدماء ولكنها سببت له هلعًا كبيرًا.. ما الذى يقوم به هذا الإفريقى ويغضى آثاره من الدماء وما سر تلك الأصوات التى يسمعها ليلاً؟ كانت الأسئلة مخيفة ولا بد أنها تخفى وراءها إجابات أكثر رعبًا.

وما أن أنهى الوالد هذه الجملة الأخيرة حتى انقطع التيار الكهربى، فأضفى انقطاع التيار رهبة فوق الرهبة التى بثها الوالد فى منصور... توقف الوالد عن السرد وحاول أن يهدئ من روعه بعد أن شعر بأن القدر يضىف لمساته على الحدث لتصبح أكثر إثارة ورعبًا وكادت أن تخرج من فمه ألفاظًا وجمالًا اعتراضية ولكنه تظاهر بالتماسك كى لا ينتقل هذا القلق إلى ولده ويكفيه ما سمعه وما سوف يسمعه فى هذه الليلة، فقال فى هدوء :-

- سأحضر شمعة حائلًا

وما أن ذهب الوالد وأضاء الشمعة حتى تحركت الظلال على الجدران، ظلال ضخمة طبعت المزيد من الرعب على منصور وهو يراها تتحرك وقد سبقت جسد والده قادمة من المطبخ إليه لا يعرف أهو الذى يقود الظلال على الجدران أم تجر الظلال والده وحين عاد قال منصور:

- لقد اخفتنى يا أبى ولم أكن أظن أن هذا سيرًا
- لا تخف يا بنى فأنا معك، وأنت لم تعد صغيرًا
- تفضل يا أبى واصل الحكى إذا سمحت.



سعيد حقًا من له أولاد يحبهم وخيول لها صهيل وكلاب تتمتع بحاسة
حاددة في الشم وأصدقاء يعبرون البحر

سولون الحكيم

السبت

أخيراً سيمنح شريف نفسه بعضاً من الراحة التي لم يحصل عليها منذ فترة طويلة، فبعد أن أنهى دراساته وأبحاثه الطبية في الخارج كطبيب مخ وأعصاب عاد من جديد لوطنه الذي لم يعد كما كان ولكنه أولاً وأخيراً وطنه، بما يمثله من ذكريات جميلة وطموحات مؤجلة ومشاريع قادمة، وكذلك لأخته الوحيدة وأطفالها، فهي كل ما تبقى له من أهله بعد وفاة والديه، وقليل جداً من الأصدقاء، لا يتجاوز عددهم أصابع اليد الواحدة على رأسهم سليم صديق عمره الذي رافقه في رحلته من الشرقية إلى القاهرة لبدء دراستهما الجامعية بكلية الطب، بعد أن استأجرا شقة صغيرة متواضعة بحي السيدة الزينب، ذلك الحي الشعبي الأصيل، شهدت هذه الشقة ذكريات كثيرة مشتركة بعضها مؤلم حاولا نسيانه ودفنه في قاع الذاكرة مثل الصدمات العاطفية الأولى لتجارب غير ناضجة، وذكريات أخرى سعيدة في مواقف شتى جمعتهما بعدما تشاركا واجبات الطبخ والنظافة والغسيل، تحملا المسؤولية واجتهدا وتفوقا معاً، حتى هواياتهما كانت متشابهة ما بين عشق الكرة وممارستها ومتابعة مبارياتها وكذلك حب القراءة فكلاهما ارتبط بروايات نجيب محفوظ الواقعية ومسرحيات توفيق الحكيم التي لا مثيل لها وحكايات أنيس منصور التي لا تنتهي، فما أن ينتهي أحدهما من كتاب حتى يبدأ الآخر بشغف، يتقاسمان ثمنه ويتبادلان الآراء بشأنه، يشتركان في العديد من الصفات غير أن شريف أقصر وأنحف قليلاً من سليم، بالإضافة لكونه شخصية متأنية غير مندفعة على العكس من سليم الذي يصاحب تصرفاته بعض التهور كثيراً

ما أوقفها شريف بقدرته على الإقناع، وإخضاع الأمور للمنطق، أسرارهما لا تخرج عنهما، فكلاهما صندوق أسود للأخر لن يفشى سر صديقه مهما كلفه ذلك، ظلا كذلك حتى أمهما الدراسة بالكلية ثم فرقهما التكليف الخاص بالخريجين في محافظتين مختلفتين، سليم اتجه إلى أسهوط، وشريف اتجه إلى البحر الأحمر ورغم ذلك ظلا دائماً على اتصال يتبادلان الأخبار ويرويان لبعضهما كل ما هو جديد بصفتها أطباء حديثي التخرج يمارسان المهنة التي أحباها وبنالا احترام من يقابلان من أسر فقيرة ومرضى بسطاء في تلك المحافظات محدودة الإمكانيات، ومتى واجه أحدهما مشكلة وجد الآخر بجانبه حتى يتجاوزها، وما ان انتهيا من فترة التكليف حتى قرر شريف السفر للخارج لاستكمال الدراسة في التخصص الذى طالما تمنى سبر أغواره ألا وهو التخصص في المخ والأعصاب، أما سليم فقد اختار النساء والتوليد بناء على رغبة خاصة من والدته رحمها الله آنذاك فلم يجد بداخله ما يمنع ففى رأيه كل التخصصات لها رسالة سامية، لا فضل لتخصص على الآخر... أثبت كلاهما ذاته وحققا نجاحاً باهراً كلاً في مجاله.. حتى حانت لحظة العودة بالنسبة لشريف ليبدأ عمله في وطنه، بعد عودته مباشرة من السفر توجه إلى منزل أخته وقضى معها عدة أيام حتى انتهت من تنظيف منزل آخر خاص بوالد زوجها ، بقى متروكاً بعد وفاته لحين تدبير مكان آخر.. وقبل الذهاب لهذا المنزل قرر الاتصال بصديق عمره سليم يخبره بوضوله كي يتفقا على موعد للقاء، رغم أنه كان قد حاول الاتصال به قبل السفر لكن لم يتمكن من الوصول إليه ثم أرسل له رسالة على الميل الخاص به ولكن يبدو أن محاولاته للوصول إلى صديقه قد باءت جميعها بالفشل.

وحين وصل إلى المنزل أخذ دُشًا دافئًا أرخى أعصابه وأراح أوصاله وهيا نفسه للنوم قليلًا، ولكن جاء رنين الهاتف ليقطع غفوته فتلقاه قائلاً بصوتٍ ناعس:

- ألو.. مساء الخير... أهلاً وسهلاً مدام جهان، كيف حالك وحال سليم؟
-
- تحت أمرك بالتاكيد
-
- نعم أعرفه... حسناً موعدنا غدًا إن شاء الله

أربكته هذه المكالمة قليلًا، لم يعرف سبب طلبها لقائه ولكن غدًا لناظره قريب، لكنه شعر ببعض القلق تجاه سليم... هل هو في ورطة أو وقعت بينه وبين زوجته مشكلة؟ حاول التخمين في أكثر من اتجاه دون يقين فرأى ألا يتعجل وعليه الانتظار للغد... ثم وقع أسيرًا للنوم.

وفي اليوم التالي وصل إلى الكافيه الذى وصفته له جهان ..كافيه هاديء وراقى مكون من طابقين، تنبعث منه موسيقى كلاسيكية تريح الأعصاب وجدها جالسة في انتظاره بأحد الأركان المطلة على الشرفة الزجاجية في الطابق العلوى، ترتدى معطفًا جلديًا أسود اللون طويلًا بعض الشيء أسفله توب أبيض تقبع أمامها حقيبة سوداء من نوع بولر باجز، وحين اقترب أكثر رأى وجهها الخالى من المساحيق باديًا عليه القلق والإرهاق ولكنه مازال محاطًا بهالة من الجمال اللافت...حياها في هدوء:

- كيف حالك مدام جهان؟

فابتسمت ابتسامة سريعة مصطنعة تكاد لا تُرى قائلة:



- أنا بخير يا دكتور الحمد لله.. تفضل

فجلس في مواجهتها على الطاولة، ثم أردفت وتغيرت ملامحها على الفور
قائلة:

- ولكن صديقك يا دكتور
- ماذا به؟ ولماذا لم يتصل بي إلى الآن؟
- صديقك مختفى منذ أكثر من 48 ساعة وتليفونه مغلق ولا أعلم عنه شيئاً، وكل ما أعرفه بعد اتصالات والدي أنه خرج بسيارته من القاهرة إلى السويس.. مكث بها بعض الوقت ثم اتجه إلى جنوب سيناء، تم رصد السيارة هناك بعد عبوره نفق الشهيد أحمد حمدي ثم اختفى تماماً ولا أثر له، وجارى البحث عنه.

كانت الدهشة بادية على وجه شريف وهو يسمع ما دار في الأيام الأخيرة، لم يتوقع أبداً أن تصل الأمور لهذا الحد.. ما الذى وراء هذا التغيير؟ ولماذا هذا الاختفاء؟ هل هو مقصود أم غير مقصود؟ وإن لم يكن غير مقصود فلا بد وأن صديقه في ورطة.

قطع أفكاره صوت جيهان وهى تتابع الحديث:

- سليم تغير كثيراً في الفترة الأخيرة، أكثر مما تتخيل، لم يعد يحك لي همومه وأوجاعه، وأعلم أنه منذ سفرك لم يحظ بصديقٍ مثلك، فأنت الأقرب لقلبه، وأنت كاتم أسراره منذ الصغر وعلاقتكما لم تنقطع رغم سفرك، ذكر لي هذا أكثر من مرة فلا أخفيك سرّاً، فكرتُ بأنك ربما تكون على علم بسبب هذا التغيير أو على علم بأى شىء يخصه أو ذو أهمية له في السويس أو سيناء.

انزعج شريف جدًا من تلك الأخبار غير السارة التي تحملها له جيهان، ولكنه لا يملك الإجابة على اسئلتها فأجابها في قلق:

- أنا أيضًا لاحظت تغير سليم، ولكنى كنت ألتمس له العذر بسبب ضغوط العمل وحالته الصحية خاصة بعد الظروف الأخيرة التي انتقلتم على إثرها لفيلا والدك بالمعادي، فلم يكن يرد على اتصالاتي أو يرأسني عبر الانترنت كما في السابق، حقيقة لا أعلم سبب هذا التغير، كما أنه لم يحك لي أبدًا عن وجود أى معارف له أو أى صلة له بهاتين المحافظتين تحديداً، إنه لأمر غريب حقًا.
- أعتذر لك يا دكتور أنى أزعجتك ولكنى لم أجد من ... فقاطعتها شريف:
- لا داعى للأسف مدام جيهان، سليم أخى وغيباه بهذا الشكل يثير قلقى أيضًا، لا بد أن للموضوع أبعادًا لا نعرفها أنا أو أنت، هل سألت مساعده أو زملائه فى المستشفى؟
- لا أحد يعلم عنه شيئًا ومساعدته أخبرنا بأنه أبلغه الأريعاء بعدم ذهابه للعيادة يوم الخميس وهذه النقطة تحديداً تثير تحفظ والدى بخصوص البحث عنه، لأنها بكل بساطة تعنى أن سليم كان بصدد شأن ما، وكان يخطط للقيام به وعدم الذهاب للعيادة، كما أنه لم يذهب للمستشفى فى هذا اليوم.. أنا خائفة جدًا عليه، حتى الآن كل المعلومات التى لدينا حصلنا عليها بشكل ودى عن طريق معارف والدى، بعد ساعات سيبدأ البحث عنه بشكل رسمى، سليم لن يعرضنى لمثل هذا الموقف إلا لو كان فى الأمر كارثة.

وبدأت الدموع تترقق في عينيها، فحاول شريف أن يهدئ من روعها ولكن غزارة دموعها وصعوبة الموقف ألجما لسانه قليلاً فقال بعدما هدأت قليلاً:

- إن شاء الله سيعود سليم ونطمئن عليه فما يحدث له في الفترة الأخيرة غير طبيعى على الإطلاق ولكنه سيجتاز أى صعبٍ تواجهه.. هذا صديقى وأنا أعرفه جيداً لا يستسلم أبداً... لقد افتقدته أنا أيضاً وكنت أود لو كان بانتظارى، ولكن ندعو الله أن يكون بخير ويعود لنا سالمًا ولكنى أريد أن أعرف منك مدام جيهان، فأنتِ زوجته وأنتِ أقرب الناس إليه بطبيعة الحال، ما هى التغيرات التى طرأت عليه في الفترة الأخيرة؟

- منذ أن انتقل إلى فيلا والدى وهو شارح معظم الوقت الذى يقضيه في البيت نادراً ما يتحدث معى أو مع سلمى أو حتى أخى الذى يعتبره سليم بمثابة أخيه الأصغر، لا أعلم فيم يفكر، معنا وكأنه لا يسمعنا حتى ابتسامته سريعة جداً، لا تتجاوز اللحظة أبداً وكأنه انتزعها من مكانٍ بعيد لترسم على وجهه وسرعان ما يعود لشروده، هذا بجانب انغماسه في العمل هذه الفترة بشكلٍ زائدٍ عن الحد لا يتناسب مع حالته الصحية.. كنت أقول لنفسى أنها أمور مقبولة خاصة بعد ما تعرض له ولكن هذا الغياب الغامض...

وشعرت بأنها على وشك البكاء من جديد فاعتذرت لشريف، وبسرعة أخرجت مندبلاً من حقيبتها ثم استأذنته في الرحيل على وعدٍ بإخباره بأى معلوماتٍ جديدة ترد عن سليم، ولكن قبل رحيلها راودته فكرة سريعة، فطلب منها رقم سعد، اندهشت قليلاً ولكنها أعطته إياه في النهاية. وقبل أن تنصرف طرحت عليه سؤالاً طارداً كثيراً قائلة :

- أتظن يا دكتور أن وراء اختفائه امرأة أخرى؟



ابتسم شريف ابتسامه باهته ثم أجاب في ثقة:

- سليم ليس مجنوناً ولا أخرقاً مدام جيهان
- وأنا لم أقل عنه ذلك
- من يفكر بأخرى غيرك هو بالتاكيد مجنونٌ أو أخرق

لاحظ إحراجها بهذه الكلمات فأردف بسرعة موضحاً:

- عفواً هذا ليس كلامي .. هذا ما قاله لي سليم بلسانه ذات مرة..
- اطمنى تماماً على الأقل من هذه الناحية.. سليم صديقي وأعلم تماماً أنه كان ولا زال مُتَمَيِّمٌ بِكَ.

منحتها الجملة الأخيرة بعض الراحة لنفسي التام لأمر يخص كرامتها كامرأة، ولكن ظل القلق هو المحرك الأساسي لمشاعرها في الوقت الحالي.



حينما يشاركك أحد مأساتك, فإن ذلك يُهَوِّنُ الكثير, فليس هناك أصعب
من أن تتعذب وحدك.. تعانى منفردًا.

بين الحين والآخر اتلفتُ ناظرًا إلى الجندي وصورته تصغر أكثر وأكثر بسبب ابتعادي عنه، كنتُ متعبًا جدًا ومنهكًا لأقصى درجة، نادرًا ماتشعر بذلك أثناء الحلم دون سبب، أنا لا أعرف نهاية لما أنا فيه، يبدو أنني عالق هنا بالفعل، كلما مر الوقت ازداد يقيني بهذه الكارثة... سرْتُ في الاتجاه الذى حدده حتى رأيت على بعد خطوات منى حفرة كبيرة في الأرض متسعة من أعلى تضيق كلما اتجهت لأسفل، عمقها يتراوح ما بين ثلاثة إلى أربعة أمتار، كانت دعوة واضحة للقفز ولكن حالة ساقاي لا تسمح بمثل هذه القفزة الآن، ولكن إصرار الجندي المصاب ووحدي هنا لم يجعلنا لى سبيلًا آخر، على أن أجرب وأرجو ألا أندم، قفزتُ وأنا في أسوأ حالٍ ممكن، لم أعد أشعر بساقاي من فرط الألم ولكن تغلبت على ألمي وتحاملت على نفسى حتى استوعبت ما حولى، يبدو أنه خندق متعرج أو سرداب ضيق عبرت خلاله، اتجه معه يمينًا واستدر معه يسارًا، ولكنى لاحظت أنه ينحدر لأسفل تدريجيًا، قدماى تخيرانى بذلك، والإضاءة تقل أيضًا، والرؤية تزداد صعوبة، طويل جدًا السرداب لم أتخيل أن يكون بهذا الطول، أرجو ألا تكون متاهة سقطت بها أو فخ قادمى إليه هذا الجندى، كيف لم أسأله عمًا ينتظرنى بنهاية هذا الخندق؟! مرت دقائق حسبها ساعات حتى أتى فكرت بالعودة من حيث أتيت ولكنى لم أفعل لعلمى بعدم قدرتى على الصعود مرة أخرى خاصة دون امتلاكى لأى أدوات مساعدة.. على أن أبقى هنا حتى أصل لنهاية الخندق ولكنى أخشى أن أبقى سائرًا عبره إلى يوم الدين.. تعرجات ومنحنيات وأنا أسرع الخطى لعلى أصل إلى متنها.

هل سأجد سردابًا آخر أم أنها نهاية المطاف؟ هل تقودنى إلى عالمى؟ اشتقت إليه كثيرًا هذا العالم بكل جنونه وكل سخفه، أفتقد أسرتى، عيادتى، مرضاى، حتى الروتين القاتل، أعرف تلك التجارب التى يخوضها البشر ويكتنبا لنا القدر حتى ندرك مدى النعمة التى كنا فيها، قد تكون

هذه التجارب غريبة في وطن آخر، أو تعايش مع شخصيات لا تطاق، أو أزمات عائلية أو اقتصادية. أو فقدان عزيز لك، كلها أمور تدرك بعدها مدى الهناء الذى لم تستشعره أبدًا قبل أن يطرأ التغيير على مسلمات حياتك، أما هذا الفراغ الذى أكاد أكون أنا شاغله الوحيد، والتجربة التى لم يخوضها سوى، وهذا العالم الذى لا ملامح له فهو الضياع مستعرضًا عضلاته.. أخيرًا ظهر جدار في نهاية النفق رأيتَه قبل بلوغى النهاية بعدة أمتار.. خشيتُ أن تكون هذه دعابة سمجة في هذا العالم تكتمل بلافتة مكتوب عليها (من فضلك استدر للخلف وعد من حيث أتيت) ولكنى حمدتُ الله حين خاب ظنى ورأيت حفرة أقل اتساعًا من سابقها وأقل عمقًا كذلك. تبًا لهذه الحفر والقفزات، لستُ في اختبار لياقة بدنية للقيام بذلك، ولكنى مضطر على أى حال.

قفزت وأنا أدعو أن أجد الخلاص بعد هذه القفزة.. فعلتها لأجدنى عند مدخل ساحة عريضة واسعة تحيطها جدران شاهقة غريبة الشكل لا تبدو أسمنتية ومهتز أمامى كأنى أراها تحت الماء، لا أدرى إن كان هناك مداخل ومخارج أخرى أم أن ذلك هو المدخل الوحيد لهذه الساحة.. ولكن ما أسعدنى وكاد أن يرقص له قلبى فرحًا أنها ليست خالية من البشر.

نعم الإضاءة هنا خافتة ولا أدرى مصدرها أيضًا ودرجة الحرارة أعلى كثيرًا حتى أنى شعرتُ بلفحة في وجهى بعد القفزة مباشرة، ولكنى أميز وجود أشخاص جالسين وواقفين، ولكنهم جميعًا صامتون ثابتون حتى ظننتهم تماثيل أو لعلها صورة كبيرة هى التى تجمعهم أمامى، ولكن حين حدقت البصر أدركت أنها ليست صورة أو بوستر، بل أناس مثلى في حالة مزرية، مشعئى الشعر، مغبرين، كما لو أنهم خارجين لتوهم من قبورهم.. تمنيت ألا يكون ما جال بخاطرى حقيقى، فأخر ما أتمناه أن أقابل زومى في هذا العالم.. تقدمت بخطوات متباطئة يشوبها الحذر داخل هذه الساحة، لكنهم لم يلحظوا وجودى، اقتربت من أحدهم لأكلمه فأشار غير ناظرًا لى



بإصبعه أن أصمت، بجانبه آخر جالسًا مستندًا بظهره إلى الجدار ناظرًا
للفراغ فقلت له متسانلاً مترجياً عساي أن أحصل على اجابة :

- أين نحن الآن؟ ما هذا المكان؟ ما الذى أتى بى إلى هنا؟
-

كأنه لم يسمعنى، لا وجود لأى تعبير على وجهه، علاوة على أنه لا ينظر لى
من الأساس كأنى غير موجود أو غير مرئى... بالقرب من هذا الشارد بصرتُ
أحدهم جالسًا واضعًا رأسه بين ركبتيه، يبكى بصوتٍ خفيضٍ.. فمددت
يذى على كتفه قائلاً:

- أنت.. ما لك؟ ماذا بك؟

رفع رأسه وعيناه مغرورقتان بالدموع ناظرًا إلى لكسرٍ من الثانية قبل أن
يعيد رأسه مكانها بين ركبتيه، حمدتُ الله أنه رآنى فقد ساورنى الشك أنى
أنجول كشبح بينهم، فَرَبَّتْ ثانية على كتفه لِحَيْهِ على إعطائى إجابة فما
كان منه سوى أن رفع رأسه وقال:

- أنت لا تعلم شيئًا والأفضل ألا تعلم.

ثم أعادها مكانها وكان هذا هو مكانها الطبيعى أو كأنه وُلِد بها على هذا
الحال

ما الذى يدور هنا؟ سؤال يتضخم بذهنى حتى صار بحجم الكون.. سكون
جدير بالمقابر.. صمت جدير بالموتى... اخترق هذا الصمت صوت ارتظام،
نظرت خلفى فوجدت فتاة ملقاة فى نفس المكان الذى قفزت فيه منذ
قليل، اتجهت إليها ساعدها على النهوض، ورغم حالتها المزرية تملك بهاء لا
تخطئه العين وبريقًا فى عينها الزرقاوين يسلب العقول غير أنه أول لون
يخرج عن نطاق هذا الرمادى السائد مما زادها جاذبية.. فى تردد ودون
مقدمات سألتنى:

- ما هذا المكان وما الذى أتى بى إلى هنا؟

إنه سؤال المليون ولا وسائل مساعدة.. إذن هذا السؤال لا يطاردنى وحدى
ولستُ الأحمق الوحيد هنا... هزرت رأسى بأنى لا أعلم فعاجلتني بسؤال
آخر:

- منذ متى وأنت هنا ؟

- دقائق...ساعات ولكنها طويلة بطيئة، وأنتِ ؟

- مثلك , أحدهم قال لى أنه لا يزال هناك فرصة فى النجاة

قالتها بلهجة بها كثير من الأمل و التفاؤل, وددتُ لو أشاركها هذا التفاؤل
ولكن حتى الآن أشعر أنى أعيش كابوسًا حقيقياً الله وحده يعلم متى
سينتهى.. فابتسمت رغماً عنى قائلاً:

- أولئك الذين لايرددون سوى هذه الجملة ولا يعطون مزيدًا من
الإجابات وكأنهم مبرمجون فقط على هذا الرد.. كيف وأين هذه
النجاة؟

لم ترد.. يبدو أن إجابتي كانت صادمة فأخرجتها من دائرة الأمل التى تقنع
نفسها بوجوده.. بصرتُ بعينها خوفًا وقلقًا يفوق خوفى بمراحل, لا أنكر أن
وجودها وحديثها منحى بعض الطمأنينة المؤقتة.. أتذكر الآن هذا المثل
الشعبي (الجنة من غير ناس ما تنداس) وأضيف عليه والجحيم أيضًا..
فحينما يشاركك أحد مأساتك, فإن ذلك يهون الكثير, فليس هناك أصعب
من أن تتعذب وحدك.. تعانى منفردًا.

بعد فترة من الصمت سألتها:

- كيف جنتى إلى هنا؟ هل نحن فى عالم موازى أو أرض أخرى؟



- لا أعلم ولكن آخر ما أتذكره أنى كنت فى طريقى الى المنزل عائدة من الجامعة مستقلة إحدى السهارات (ميكروباص).. لا أدرى إن كنت غفوت أم لا ولكن حين أفقت وجدتنى هنا.

- غريب هذا.. آخر ما أتذكره أنا أيضًا أنى كنت نائم وصحوت لأجد نفسى هنا

- أظن أننا فى كابوس؟

- لا يوجد كابوس جماعى بهذا الشكل.. لاحظت بعد هذا الرد أنى أزيد الأمور تعقيدًا لها وألعب دور المحبب بامتياز، فبادرتُ بسؤالٍ آخر:

- لماذا يبكى هذا الشاب؟ ما الذى يعلمه ولا نعلمه؟

لاحظتُ أن سؤالى غيبًا فكيف لها أن تعرف وهى ألقت على سؤالٍ مشابها منذ قليل، ولكنها ردت فى نفاذ صبر:

- إنه أمامك تفضل.. أنا أيضًا أريد أن أفهم وبشدة

اتجهنا إليه وجئونا على ركبتينا أمامه، فشعر بنا ورفع رأسه.. مدهش أمر عينيه.. منتهى البراءة وخيبة الأمل وحزن العالم فى نظرة واحدة ونحيب لا ينقطع.. يحمل شعراً ناعماً ووجهًا مستديرًا طفوليًا رغم تجاوزه أوائل العشرينات فى اعتقاده، شاب يافع لا يخلو من وسامة، ربت كلانا على كتفيه فزاد نحيبه وبكائه حتى شعرتُ أنى على وشك البكاء أنا الآخر، أما الفتاة فكانت بالفعل تبكى مما زاد الأمر سوءًا.. أى عذابٍ هذا الذى وقعنا فيه؟ رأى الشاب بكاءها فقال بصوت يمزق نياط القلوب يأسًا وألمًا:

- ما زال أمامك فرصة، أما أنا فلا

فسألته فى لهفة:

- أى فرصة تقصد؟

- فرصة أن تخرج من هذا الجحيم وتعود لحياتك الطبيعية

- كيف؟؟!!



لا شيء أكثر صعوبة, ولا شيء أكثر قيمة من القدرة على اتخاذ القرار

نابليون بونابرت

45

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية

انضموا لجروب ساهر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
sa7eralkutub.com او زيارة موقعنا

(6)

- تفضل يا أبى واصل الحكى إذا سمحت

- لا أظن أن الوقت مناسب فلننتظر قليلاً حتى يعود التيار

وقبل أن ينهى الجملة كان التيار قد عاد فجأة ليغمر الضوء الموجودات
ويزيح الظلام عن أركان المنزل في سرعة بالغة فقال الوالد:

- نعود لنكمل ما بدأناه... بدأ والدى في البحث عن الإجابات ولم يعد النوم ليلاً ممكناً مع سماع هذه الأصوات رغم أنه لم يعد يسمعها إلا نادراً ولكن سماعها مرة واحدة ليلاً كفيفل يجعله متيقظاً حتى يحل الصباح... فسأل الإفريقي عن هذه الأصوات فقال بعدم اهتمام:-
- أئُ أصوات؟ لا يوجد أصوات غريبة.. إلا إذا كنت تقصد سعالى ليلاً فأنا مريض مما يجعل سعالى خشناً عاليًا غير محبب.

لم تكن الإجابة مقنعة ... هذا الرجل يكذب ولا شك في ذلك.. أما بقع الدماء فتارة يقول أنه لا يعلم عنها شيئاً وتارة يقول أن أنفه تنزف لانفجار أحد الشعيرات الدموية بها.... لم تكن هذه الإجابات بالتي تقنع جدك خاصة مع تكرار هذه الأمور... كان الشك قد تسلل ونفذ إلى عقله وقلبه وعليه الآن أن يعرف حقيقة ما يدور مهما كلفه ذلك... بجانب الخوف والرعب والقلق كان الفضول يقوم بمهمته لعله يرتوى ولم يعد عليه سوى انتظار اللحظة المناسبة للارتواء وقد جاءت بالفعل , فقد أخبره الإفريقي بأنه ذاهب إلى أثيوبيا لجلب بعض البضائع وأوصاه بأن يعتنى بالتجارة والمزمل حتى يعود... فوجد جدك أن الفرصة حانت ليعرف سر الغرفة التي يسكنها هذا الرجل والتي ستقدم له إجابات لتساؤلاته.

سافر الرجل وبقي جدك في هذا المنزل وحيداً... كان الهدوء قاتلاً... لم يكن جدك من الرجال الذين يخافون الوحدة ولكن الوسواس قادرة على إثارة شتى المخاوف لأعتى الشجعان... وكانت الغرفة كائنة أمامه يفصله فقط عن السرباها وعليه تجاوزه .

ترى ما الذى تحويه هذه الغرفة؟ وما الذى يخفيه هذا الإفريقي؟

اقترب من الباب يكاد يسأله عما يواريه ويستره، وكأن الباب قد سمع سؤاله وأبى ألا يُجيب فجاء الرد مخيفاً حين تناهت إلى مسامعه أصوات صادرة من الغرفة المغلقة، أصغى أكثر.. هناك حركة بداخل هذه الغرفة، هذه الغرفة ليست خاوية كما ظن، أكاد أسمع دقات قلبه المتلاحقة ترجوه أن يتعد، وأنفاسه التى تخبره بأنها قد تكون الأخيرة لو لم يحترس، أكاد أرى حبيبات العرق على جبينه تزيد الأمور سوءاً بعد أن تيقن بأنه ليس بمفرده في هذا المنزل ، نظرات متوترة تبحث عن التصرف الأمثل، طرق بيده على الباب طرقات خفيفة متوجسة، فسكنت الأصوات، أعاد الطرق بشدة أكبر لتخفت الحركة الخفيفة التى يظنها بالداخل، ليس متيقناً من شيء بعد، كم يتمنى لو كانت تلك الأصوات مجرد أوهام، ولكن عودتها من جديد، جعلت جسده يرتج كغصن نعبث به الريح، ود لو أطلق لساقيه العنان كي يفر ويرتاح من هذا المنزل الغريب ولكنه تماسك أو تظاهر بذلك، وعزم أمره.

أحضر أدواته وقد قرر اقتحامها... وبالفعل لم تستعص عليه كثيراً ولم تصمد أمام محاولاته طويلاً وكأنها قد اشتاقت هى الأخرى للبوح بسرها، انفتح الباب وقلبه على وشك التوقف لولاح ما يتهيب، فأضاء مصباحها ليجد جدك محتوياتها الرابضة وكأنها فى انتظاره ولكن لم يكن هناك أى

حركة أو مصدر لصوت كما سمع وهو بالخارج ... غرفة مربعة واسعة، رائحتها خانقة مثيرة للغثيان وكأنها مقبرة تحوى جثثًا تننة ... كيف يتحملها هذا الإفريقي؟ ليس لها مدخل آخر أو شبك للتهوية، ويبدو أن مكان الشباك قد سدده الإفريقي تمامًا من الداخل، بها سرير مرتب بعناية وكأن هذا الرجل لم ينم عليه منذ زمن أو هو مثالي في الاعتناء بترتيب سريره، ولكن أكثر ما أربع جدك وجود منضدة في أحد الأركان عليها ساطوران أحدهما كبير والأخر صغير نسبيًا بجانبه كثير من العظام ذات رائحة تننة ، وقطع من اللحم العفن، كان جدك على وشك إفراغ معدته لولا أن أثار انتباهه كثير من بقع الدماء على المنضدة وعلى أرضية الغرفة، جثا جدك على ركبتيه ناظرًا إلى تلك البقع الحمراء حتى رأى أسفل هذه المنضدة كيسًا أسودًا كبيرًا رائحته نفاذة للغاية، شده جدك في حذر وحين رأى ما بداخله، لم تقو أحشاه على المقاومة ، فأفرغ ما بداخلها تمامًا، كان الكيس يحوى جلودًا وبقايا أحشاء وراءوس حيوانات ميتة كالمقطط والخنازير، هذا ما استطاع التعرف عليه ولكن أعصابه لم تحتمل المزيد فترك هذا الكيس ناهضًا وهو يتساءل ما الذى يقوم به هذا الرجل في غرفته ولأى غرض يقتل ويسلخ هذه الحيوانات؟

كان مذهولًا ومأخوذًا كما لو كان يفعل ذلك دون وعي أو إرادة .

عادت الحركة مجهولة المصدر فخانتته قدماه من الفرع فسقط أرضًا فتلفت يمينًا ويسارًا في ذعر حقيقى حتى وقعت عيناه على صوان ضخم، بدا وكأنه يهتز ، لا هو بالفعل يهتز وهو مصدر الحركة الخفيفة والصوت مجهول المصدر، اتجه بخطوات متخشبة ناحيته وبحركة مفاجئة فتح ضلفتيه على مصرعيهما ليعرف أخيرًا مصدر الصوت الناجم عن قفص خشى مربع به خنزير صغير الحجم داكن اللون يتحرك يمينًا ويسارًا

مصطدمًا بحواف القفص ليتحرك القفص بالكامل مصدرًا هذا الصوت، كان على وشك السقوط يبدو أنه كان يصطدم بظلفة الصوان لذا كان الصوت أكبر، أنزل القفص بمزيد من الاشمزاز

بداخل الصوان وجد أيضًا الكثير من الكتب القديمة الصفراء مكتوبة بلغة غريبة لا يفهمها وتحوى نقوشًا غريبًا لم ير مثيلاً لها في حياته، حاول أن يفك هذه الطلاسم دون جدوى، وفي رفق آخر من هذا الصوان يوجد العديد من الزجاجات والقارورات ولكنه لم يفهم سر تواجدها والاحتفاظ بها، بجانب هذا الصوان العملاق تقبع على الأرض شنطة سفر كتلك التي اصطحبها الإفريقي عند سفره تضم بعض ملابسه والكثير من العطور وأعواد البخور، يبدو أنه يستخدمها لإزالة آثار هذه الروائح الكريهة كي لا يفتضح أمره، بعد هذه الجولة داخل الغرفة كان جدك منهكًا لا يدرى أسباب الروائح أم بسبب تلك الصدمة في هذا الرجل الذى يعمل معه، جلس جدك عند باب الغرفة والأسئلة تتراقص في ذهنه لتزيد حنقه وحيوته لماذا يستخدم كل هذه الأشياء ويحتفظ بها ولماذا لم يخبره عن الحقيقة حين سأله؟ هذا الرجل لا يعمل بالتجارة وحدها. إنما يمارس نشاطًا ما داخل هذه الغرفة، لم يكن جدك واعيًا بما فيه الكفاية ليدرك حقيقة ما يدور، وكان عليه أن يختار ما بين أمرين أن يترك كل هذا لما أصابه من الرعب والتوجس من الرجل الذى يعمل معه وأن يفر غير عابئ بالإجابات أو أن يمارس عمله بشكل طبيعى حتى يعود الرجل ويفهم منه حقيقته وحقيقة أعماله داخل الغرفة، ولأنه كان بحاجة إلى إجابات واضحة وصريحة لا تحتتمل الشك أو التأويل، وبخاصة كذلك إلى المال الذى يكسبه من هذا العمل قرر الاستمرار فى العمل والانتظار حتى يواجه الرجل ويفهم الأمر كاملاً وحينها سيتخذ قراره.



50

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية

انضموا لجروب ساهر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
sa7eralkutub.com او زيارة موقعنا



سأحمل هذا الحنين إلى أولى وإلى أوله
وسأقطع هذا الطريق إلى أخرى وإلى آخره

محمود درويش

51

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية

انضموا لجروب سحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
sa7eralkutub.com او زيارة موقعنا

عصر الأحد

حاجة شريف مُلِحَّة للراحة بعد عودته من السفر. ولكن اختفاء صديقه بهذا الشكل الغامض أزال أى احتمال للحصول على قليلٍ منها، كان يفكر فى كل الاحتمالات التى قد يكون واجهها صديقه، بعضها مقبول والبعض الآخر أزعجه لأقصى درجة، المقبول منها مثل كون سليم غير سعيد فى حياته الزوجية، أو يحتاج للعزلة قليلاً وإعادة ترتيب أفكاره لسببٍ أو لآخر، مما جعله لا يبالى بأقرب الناس إليه، لقد سمع كثيراً عن أزمات كتلك بين الأزواج والزوجات ولكنها سريعاً ما تمر.. أما الاحتمالات المزعجة أن سليم كان بصدد القيام بأمرٍ ما، فوقع له مكروه خارج الحسابان أو لعله يواجه مشاكل رأى ألا يعلمها غيره، أو أنه على علاقة بامرأة أخرى ولكنه استبعد هذا الاحتمال، فهو يعرف صديقه جيداً زوج مثالى مخلص، من العسير أن يصدر منه أمراً كهذا.. ليس مستحيلاً ولكنه مستبعد.. وبينما هو على هذه الحال يقرب الأمر يميناً ويساراً، وافته فكرة غريبة بعض الشيء ألا وهى زيارة عيادة صديقه ومناقشة مساعده.

فقام بالاتصال بجهان وأخبرها بما يتوهم فقالت أنها لا تمنع رغم أن أخيها التقى بسعد من قبل ولكن لم تقوهم مقابلته لشيء .. وطلب منها البحث فى متعلقات زوجها مرة أخرى عساها تجد ما يقودهم إليه.. وأبلغها بأنه سيفعل ذلك بالمثل فى العيادة.. استأذنها فلم تكن فى موقف يسمح برفض المساعدة مهما كانت بسيطة.

وبالفعل بعد غروب شمس يوم الأحد التقى شريف بسعد الذى رحب به بعد أن أعرب عن قلقه من اختفاء دكتور سليم وأنه لا يعلم سبب غيابه أو اختفائه بهذا الشكل، داعيًا الله أن يعود لأهله وعمله سالمًا.

كان شريف يبحث عن إجابات محددة تساعد في حل لغز اختفاء صديقه بهذا الشكل، فكان أول سؤال وجهه لسعد:

- هل من شيء غريب لاحظته على دكتور سليم في آخر شهرين؟

- ماذا تقصد... إنه دائما يعاملنى بكل ود واحترام.. نحن عشرة طويلة.

- لا أقصد معاملته لك، ولكنى أقصد هل وقع شيء غريب في الفترة الأخيرة أو لاحظت تغير في سلوكه بشكل عام؟

- لا يوجد شيء معين يا دكتور.. غير إنه كان هادئًا جدًا في الفترة الأخيرة ولا يبالي بكثير من التفاصيل التى كان دائم السؤال عنها، حتى أن بعض المرضى لاحظوا هدونه الزائد عن الحد وردوده قليلة الكلام وعباراته المقتضبة ولكنى كنت دائمًا ما أبرر لهم ذلك بضغوط العمل وانشغاله الدائم مع العديد من المرضى، ولكنى كنت أرجح بأن ذلك بسبب الحادث الذى تعرض له دكتور سليم من أسابيع قليلة.

- ألم تلاحظ شيئًا آخر غير هذا الهدوء غير المعتاد؟ حاول أن تتذكر، حتى وإن كانت هذه الملاحظة عديمة الأهمية من وجهة نظرك

- لا شيء يا دكتور. ثم نظر كمن تذكر شيئًا كاد أن ينساه ثم أردف :

- غير أنه كثيرًا ما كان يعطيني الإذن بالانصراف بعد الكشف على جميع المرضى وأتركه وحيدًا في العيادة، حدث ذلك كثيرًا مؤخرًا ويبدو أنه كان يطيل البقاء في العيادة بعد انصرافي.. عرفت ذلك من عدد أعقاب السجائر التي أجدتها في المخلفات. فكما تعلم يا دكتور أنه لا يدخن إلا قليلاً
- أريد رؤية حجرة الكشف
- طبعًا يا دكتور.. تفضل

دلف شريف إلى الحجرة.. كانت حجرة مثالية لطبيب في مستوى سليم تحوى بعض الأجهزة الطبية وأدوات الكشف اللازمة لأى طبيب نساء.. ثم وقعت عيننا شريف على برواز لاية قرآنية تقول (ولسوف يعطيك ربك فترضى) فشريف يتذكر جيدًا كيف كانت هذه الاية على لسانه قبل ظهور نتائج الامتحانات وعند الحديث عن كل الأمور التي تتعلق بمستقبلهما العملى منذ قدومهما سوياً من الشرقية إلى القاهرة للدراسة في كلية الطب وأسفل البرواز يقبع كرسى مريح ومكتب أنيق بنى اللون متوسط الحجم. جلس شريف على الكرسى خلف المكتب يتذكر مواقفهما سوياً، يتسم تارة ويشرد تارة حتى شعر بغصّة في حلقه من هاجس وقوع مكروه لسليم. ارتجف قلبه بشدة كمن يخشى السقوط أرضاً من علٍ، يغز عليه أن يدخل عيادة صديقه دون أن يكون متواجداً بها وأن يجلس على مكتبه دون استئذانه ولكنه يدعو الله بالأا تطول فترة غيابه عن ذلك ويدعو أيضاً أن يجد أى خيط بسيط قد يقوده إليه.. ولكنه يسأل نفسه ما الذى يجعل صديقه يبقى في العيادة بعد انصراف مساعده ولماذا يدخن هذا الكم من السجائر رغم أنه قليل التدخين جداً ؟ وبحركة تلقائية وجد



نفسه يفتح درج المكتب.. لا شيء يُذكر سوى مجموعة أوراق ودفاتر
روشتات وقلمين أو ثلاثة مع زجاجة دواء (....) مملوءة حتى منتصفها وهو
دواء معروف لعلاج الأرق وقلّة النوم.. يبدو أن سليم يجد صعوبة في بداية
النوم أو يعاني استيقاظًا متكررًا أثناء الليل.. فكر شريف ولكنه لماذا لا
يترك الدواء في البيت ويحتفظ به في العيادة.. ووجد نفسه يحاول التخمين
ربما لا يريد لزوجته أن تزعج من هذا الأرق.. وربما ليسرى مفعول الدواء
بمجرد وصوله إلى البيت.. بالتأكيد يتناول الدواء قبل انصرافه من
العيادة ويبدأ مفعوله بعد وصوله إلى الفيلا بالمعادي.. أغلق هذا الدرج
وفتح الذي يليه ليجد شاحنًا للهاتف وميدالية بها ثلاثة مفاتيح وبعض
الأمبولات... لا شيء ذو قيمة هنا.. وبإحباط فتح الدرج الأخير ولكن وجده
يحتاج إلى مفتاح.. توقع أن أحد المفاتيح في الدرج الثاني ربما يخص هذا
الدرج.. جرب الأول فلم يفلح والثاني وجده يستجيب ففتح الدرج ليجد
بعض الملفات يعلوها شيء جعله يشعر بأن زيارته لعيادة صديقه لم تكن
هباءًا وبأنه لن يعود بيدي خاوية.





للكوايبس مزية عظيمة أنها تنتهى، تخيل لو لم تفعل

57

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية

انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
sa7eralkutub.com او زيارة موقعنا



(8)

- قلتُ متلهفًا : كيف أعود؟

فأجابني هذا الشاب المثير للشفقة:

- حين تسمع اسمك يُنادى من أعلى عليك التلبية والذهاب من

حيث أتيت

- ولكن بالأعلى لا يوجد سوى ساحة حرب؟

فقال في إصرارٍ وملل:

- حين تسمع اسمك لن تجد شيئًا من هذا.. ستعود إلى عالمك

فقلتُ على الفور : - ولما لا نفعل ذلك الآن؟

ابتسم زُغمًا عنه لسذاجتي ففهمت بأنه لو كان هذا ممكنًا ما بقي أحدهم

هنا.. عليك البقاء حتى تسمع النداء.. الذى قد يأتي فتعود لعالمك.

كنت أنا والفتاة نسمع في شغف، يبدو أنه يعرف الكثير فعلاً، وأعطاني

كلامه بعض الأمل بعد أن هدأ بكاءه ولكن اليأس والحزن يسيطران عليه

بشكلٍ كامل، فسألته "وإذا لم يُنادى علينا؟" فجاءتني الإجابة الصادمة

التي أتوقعها:

- ستمكثان هنا ... مثلى وعاد للبكاء

58

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية

انضموا لجروب سحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/

sa7eralkutub.com

او زيارة موقعنا



بدأت أفهم سبب هذا الوجوم البادى على الجميع.. إنه الجحيم بالفعل..
أنت في انتظار سماع اسمك وكلما مر الوقت، كلما قلت فرصك أو انعدمت
في النجاة.

سألته الفتاة في محاولة للتخفيف عنه: "ما اسمك؟"

فأجاب: "حسن" فحيته بيدها، وأنا صفاء ثم نظر إلى فقلت وأنا دكتور
سليم

ثم تذكرت بأن هذا هو أسخف وقت يمكن فيه التمسك بلقب دكتور..
ولكنى للحق لم أكن أقصده بتاتا ولكنه خرج منى بهذا الشكل العفوى
وبسبب التعود فقط لا أكثر.

تم التعارف كما لو كان يدور في مدرج الكلية أو في أحد النوادي وليس في
هذا المكان، لا أنكر أنى شعرتُ ببعض الراحة لوجودهما معى، ولكن كلما
تذكرت حياتى السابقة انتابنى الهم وعاودنى الاشتياق لأسرتى وعملى وكل
ما كان روتينياً فى حياتى ولا أشعر بأى طعم له، كنت أشتاقه كأى اشتاقت
لرؤية جنيها التى ستراه لأول مرة بعد الولادة، تبادلنا جميعاً الحديث
فحكيت لنا صفاء عن حياتها وأسرتها فى الإسكندرية، تعيش أو كانت تعيش
مع والدها الذى يعمل بالمحاماه ووالدتها ربة منزل وأخيها الأصغر، تدرس
فى كلية السياحة والفنادق.. استمعنا إليها ولكن سؤالاً ملخاً يحوم حول
رأسى كما يحوم الذباب حول قطعة من الحلوى فقطعت حديثها فى قلة
ذوق، ولكن كانت رغبتى فى معرفة حقيقة هذا العالم أقوى من أى
مجاملات وأى قواعد، فوجهت سؤالى لحسن:

- لماذا نحن هنا؟ ثم أعقبت "ولكن بدون بكاء أرجوك" فابتلع ريقه أو ظننته كذلك وهو يقول ببطء:
- إننا جميعًا هنا مفقودون، ضائعون، أجسادنا غير موجودة الآن في عالمنا الذي نعرفه أو قل موجودة ولكن مفقودة، لم يتم العثور عليها، حين يُنادى عليك وتخرج من هنا معنى ذلك أنهم وجدوها في عالمنا.. ثم تابع في أسف:
- كلاكما أقرب إلى الموت بشكل لا تتخيلانه.. أما أنا فميت فعلاً.

قالها بزهو من عرف مصيره، ولكننا توجسنا خيفة منه فقد قالها كأنما يلقي دعابة.. ليس طبيعيًا أبدًا أن تحاور ميتًا وتتظاهر بريادة الجأش وبأنه شيئًا عاديًا.. اندهشت حقيقة من كوننا لا يزال لدينا القدرة على الخوف والقلق رغم هول ما نحن فيه، ولكنى سرعان ما تذكرت أنني على وشك الموت أنا الآخر وربما أكون ميتًا ولكنى لم أتأكد بعد، ما زلت أشعر أن الأمر لا يخلو من عبث، لا بد وأن شيئًا ما سيحدث لتتكشف الخدعة وتشرق الحقيقة مع تفسير منطقي لما يدور ولكن لا شيء من ذلك يأتي.

تابع حسن حديثه واضعًا إحدى يديه على جبهته وبدا كما لو كان نسي وجودنا وأنه بصدد محادثة نفسه:

- أنا هنا منذ شهور وسنوات لا أعلم عددها، لن يُشكل ذلك فارقًا، فلا مقياس للزمن في عالم النسيان هذا يمكن الحساب وفقه.. أنا ميت بالفعل ولكن جثتي مفقودة لم يضمها قبر ولم تحصل على حقها في الدفن. أمى كانت معى ثم وصلت بعدى بقليل إلى هذا العالم.. كنا خارجين من البنك نسحب بعض تحويلات أبى التى يرسلها إلينا من الخليج بانتظام.. ثم استقلينا سيارة أجرة

ومعنا حقيبة صغيرة تحوى المبلغ الذى سحبهناه.. فوجدنا السيارة تقف ليستقلها آخر ويجلس فى الكرسي الأمامى بجانب السائق وفجأة مد يده إلينا ورشَّ وجهنا بسائل لا أدري كنهه لأغيب عن الوعى وكذلك أمى.. لا أدري ماذا وقع بعد ذلك حتى حكى لى أمى ما دار حين قابلتها هنا حين استفاقت من أثر هذا السائل.. سمعتهما يتحدثان عن الحقيبة ومصيرنا.. سمعتهما وهما يهمان بإخراجى من السيارة ليلقيا بى على الطريق وأحدهما يردد:

"اقتله دون دم ولنلقيه فى قلب هذه الأرض.. لا تتعب نفسك فى دفنه.. الكلاب هنا جائعة وستقوم بالواجب"

حاولت أمى الصراخ رغم استمرار وقوعها تحت تأثير المخدر، فشعرا بذلك، فهرولا إليها ليسكتاها ويرش أحدهما المخدر على وجهها وتوجها بها إلى منزل مهجور أخذًا منها الحقيبة وبعض المصوغات التى كانت ترتديها ثم بعد ذلك قتلها.. هذا ما روتهُ لى أمى قبل أن ترحل من هذا العالم، بعد أن بقينا سويًا نواسى بعضنا البعض، ولكن يبدو أنهم وجدوا جثتها مقتولة بالقرب من هذا المنزل المهجور، ولا بد أنهم دفنوها وبناءً على ذلك غادرت هذا العالم.. وبرغم حزنى لذهابها، لكثى لم أتمنى أبدًا أن ترى ما أعانى وأن تعانى مثلى هذا العذاب. ثم دخل فى نوبة بكاءٍ حادة، تبعته صفاء فى البكاء، فاحتضنت كلامها.. رغم احتياجى لمن يهينى مثل هذا الحزن.. ثم هدأ كلاهما فسألته:

- متى وقع ذلك يا حسن؟

- فبراير 2011

- ياااااااااااااااااا نحن الآن فى 2014



- 3 سنوات مرت على في هذا العالم.. لا أظن أن الوضع تغير كثيرًا في عالمنا أليس كذلك ؟
 - لا تشغل بالك, فالأمور هناك تسير من سيء لأسوأ يكفيك ما أنت فيه
 - بالفعل أنا هنا مسجون عديم الأمل في الخروج من سجنه ولا مجال للعودة.. فقط قليل من الذكريات تعاد مرارًا وتكرارًا أمام عينيه.. وقليل من الجمل والأحاديث مع من ماتوا أو على وشك الموت بعدها يفقد الجميع الرغبة في كلام لن يقدم ولن يؤخر, ليدخل الجميع في صمتٍ إجباري في انتظار نداء نادرًا ما يأتي أو فناء من هذا العالم بعد طول انتظار.
- خرجت الكلمات من فمه تقطر ألمًا وتأن توجعًا.

بعد فترة من الصمت قالت صفاء بلهجة تقريرية يائسة مُبكبة:

- إذن كلنا هنا مفقودون, والأخرون في عالمنا يبحثون عنا ونحن في انتظار نداء أو في انتظار الدفن لنرحل عن كلا العالمين عالمنا وهذا العالم

كاد شعري أن يشيب من هول ما أسمع على الرغم من أن هذا هو ملخص ما قاله حسن.

فاكملت تلخيص الموقف:

- وإذا لم يتم النداء أبدًا فنحن مفقودون وفي عداد الموتى.. كل الموجودين هنا حتى هؤلاء الجنود أليس كذلك؟

فأجاب حسن موافقًا بإيماءة من رأسه ثم أضافت صفاء في فخر من استطاع حل أحد الألغاز:

- بلى كذلك.. هم جنود قُتلوا في ساحة المعركة ولم يتم العثور على جثثهم لذلك أغلبهم يرتدى الملابس العسكرية ويمارس دوره الذى مات عليه، لهجتهم عربية غير مصرية فنحن لا نحارب الآن إلا أنفسنا، وبالتالي فهم قد قُتلوا على يد أبناء وطنهم كما هي عادة شعوبنا مؤخرًا تفعل بنفسها ما لم يفعله بها عدوها.. يتقاتلون على لا شئ سوى أن يثبت كل طرف أنه أكثر وطنية أو أكثر تدينًا أو أصحهم عقيدة.. ولو كان بوسع أحدهم الاستماع للفريق الآخر والتعاون معه من أجل صالح أوطانهم، لتجنبوا كثيرًا من دماء أريقَت وأرواح أزهقت دون جدوى لذا يمكنك تمييز لهجتهم العربية الواضحة وإذا أمعنت في هذه اللهجة أمكنك تمييز جنسيتهم.. وأظن لم يقتصر الأمر على هؤلاء الجنود فقط بل يمتد لمن هم في الشاطئ.. إن كان أحدكم قد رآه.. فقال حسن مؤمنًا على كلامها:

- بالفعل أولئك أيضًا ماتوا في البحر أو غرقوا قبل الوصول للبر في حياتهم ولم يتم العثور على جثثهم، ثم واصل بنبرة ملؤها اليأس متجاهلاً كلمات صفاء السابقة:

- أمنية وحيدة أخيرة لى أن أنهى سنواتى المتبقية هنا

فقلتُ في غير فهم:

- سنواتك المتبقية هنا؟



فأجاب :- نعم لا يزال أمامي الكثير حتى أنهى أعوامى هنا وهذا عُمر الفرد في هذا العالم

- أعوام؟ كم عامًا بالتحديد؟
- سمعت أحدهم هنا يقول أنه يتوقع بأن بقاءنا هنا يستمر ما يقرب من 25 عامًا أو أق لمهونًا بتحلل أجسادنا وهياكلنا العظمية في عالمنا بشكلٍ كامل ولا يتبقى منها سوى عظم صغير بحجم البذرة يُسمى (عجب الذنب) وقتها فقط يتلاشى وجودنا في هذا الكابوس.. لا أدري إن كان هذا صحيحًا أم لا ولكن لا أظن أن هناك شيئًا يبقى للأبد يا دكتور حتى وجودنا هنا ولكنه عمر مديد في هذا المكان الموحش.. الوحدة والألم والحنين هم رفاؤك هنا، أناس يأتون وأناس يذهبون ربما تبقى هنا ما يوازي يومًا من أيامنا، ربما ساعات وربما شهور ولكن متى تعدى بقاؤك هنا بضعة أيام فهذا يعنى أنك صرت ميتًا لم يتم العثور على جثته ولم يتم دفنها في عالمنا.

صعد الدم إلى رأسي بعد كلامه هذا إن كان ما يزال يجري في عروقي دم هنا.. حقيقة لا أعلم كنه وجودي هنا هل هذا جسدي أم مجرد طيف أم هيئة جسدي تبدولي وللناظرين من حولى؟ لم ألتق إجابة من حسن فهو نفسه لا يعلم، ولكن أيًا كان حقيقة تجسدي هنا فأنا مازلت أتمتع بالسيطرة الكاملة على حواسي وأعضائي.

"هل من سبيل للخروج من هذه الساحة؟" قلتها وقد طرأ على خاطري فجأة هذا السؤال.

- أحدهم حاول وتسلسل لخارج الساحة عبر ثقب في الجدار



- إذن يمكننا الخروج من هنا
- لا أنصحك.. كم الصراخ الذى سمعناه هنا بعد خروجه كافي لإبقائى هنا دون أن أتحرك شبرًا واحدًا
- صراخ!!!

ليست مرة واحدة ولا اثنتان ولا ثلاث.. ومتى ظننا انتهى يعود من جديد، ساعات طويلة بحساباتنا ونحن نسمع هذا الصراخ الذى لا أدرى كيف أصدرته حنجرتي، إلا لو كانت قد اقتلعت من مكانها اقتلاعًا، فزع لا ينقطع أطبق علينا هنا عبر توالى الصرخات، أى فزع يمكن أن يسبب هذا الصوت؟ أى هلع أصابه؟ ما مدى العذاب الذى لحق به؟ لا أدرى

- ولكنه فى النهاية.. انتهى، مات ، أليس كذلك؟
- هل تضمن أنت ذلك؟ انقطاع صراخه لا يعنى نهايته، ربما انتقل إلى مكان آخر أشد قسوة وأكثر إيلاّمًا.

بعد كلماته هذه علمت بأن الشعور المسيطر عليهم أن البقاء هنا ليس بالسوء الذى يبدو عليه مقارنة بما قد يكون بانتظارك بالخارج وأن الوحدة والملل كائنات لطيفة يمكن معاشرتها أما الرعب فيقتل بداخلك إمكانية المجازفة.

جلس ثلاثتنا ساعات طويلة نتحدث بها فعرفت من صفاء بعد أن عصرت ذهنها أن آخر ما تتذكره أنها كانت فى طريقها إلى المنزل بعد انتهاء محاضراتها فى الجامعة بعد أذان المغرب بقليل.. تستقل ميكروباصًا أو كما قالت بلغتها السكندرية (مشروعًا) يقوده سائق شاب نحيف جدًا، طويل الشعر، أسمر البشرة وذو جرح طولى بخده الأيمن كان يحدق بها فى اهتمام فى المرأة المواجهة لكرسى القيادة.. سببت لها هذه النظرات قلقًا

ولكنها قالت في نفسها أنه أحد تلك الكلاب الجائعة التي تنتظر للفتاة لتفحص كل قطعة في جسدها وتلوكها في مخيلتها تمامًا كما تفعل الذئاب بفرسيتها.. تحرش من نوع آخر كما ذكرت ولكنها قررت التجاهر كما هي عادتها في مثل هذه المواقف التي اعتادتها كثيرًا وكانت تسبب لها ضيقًا في كل مرة تلحظ ذلك ولكن لتكرار الموضوع لم تعد تُبالى خاصة وأن ملابسها محترمة غير ملفتة وغير مبالغ فيها، ولطمأنة نفسها أكثر قالت بأن السيارة بها آخرين غيرها فألقت نظرة خاطفة للخلف من مقعدها الكائن وراء كرسي القيادة لترى راكبًا واحدًا فقط بالسيارة يهيم بالتحرك من مكانه ويتجاوز المقاعد التي أمامه حتى وصل إلى المقاعد الأولى خلف السائق فظنت بأنه على وشك النزول هو الآخر وهو ما أزعجها لأنه سيتركها وحيدة مع هذا السائق.. ولم يكن الأمر كما ظنت بل وجدت هذا الراكب يتبادل نظرات غريبة مع السائق تراها في نفس المرأة.. ثم لا شيء.. ظلام تام اصطدمت به في جزء حالك السواد من ذاكرتها.. حاولت أن تتخطاه عدة مرات ولكن في كل مرة تهوى أرضًا في هذا البئر من الظلام.. مما لاشك فيه أن كل الاحتمالات بعد ما روته سيئة تمامًا لتصل بها إلى هذا العالم.

ثم جاء دورى فحكيت لهم عن عملى كطبيب، ثم تحدثت عن ابنتى سلمى التي أحبوها وتعلقوا بها من وصفى داعين لى بالعودة لها فى أسرع وقت وحدثهم عن زوجتى جيهان التي تزوجتها عن حب يكبر بمرور الأعوام حتى صار ثابتًا شامخًا كالجبل فى قلبينا لا يتزعزع وحين سألتنى عن كيفية وصولى لهذا المكان، لم أعرف بما أجيئهما فأخرا ما علق بذاكرتى أنى كنت نائمًا، فما الذى أتى بى إلى هنا؟ إن قدر لى العودة سأعرف أو يبقى هذا لغز إلى الأبد فى حال بقائى هنا.



لابأس أن يكون ماضيها أفضل من حاضرها, ولكن الشقاء الكامل أن
يكون حاضرها أفضل من غدنا.. يا لهاويتنا كم هي واسعة!

محمود درويش

أخذ نفسًا طويلاً يفرغ به ما ب صدره من همّ ثم استطرد الأب قائلاً:

- مر يومان وجدك يعتنى بالتجارة، وبينما هو في العمل عاد الرجل إلى البيت مباشرة ووجد أثار اقتحام الغرفة، وأدرك أن جدك قام بدخولها أثناء غيابه، وعندما عاد جدك إلى البيت وجد الإفريقي بانتظاره كما القدر.... كان هادئًا جدًا على غير المتوقع تعلق وجهه ابتسامة لم يفهم جدك سببها إلا بعد أن قال :
- دون لف أو دوران لقد رأيت ما تحويه الغرفة وأريد أن أعرف ماهى طبيعة عملك والأغراض التى تستخدم لها الأشياء الموجودة فى غرفتك؟ ولماذا لم تخبرنى بذلك من قبل؟

فأجابه الإفريقي فى هدوء ودون أى شعور بالمفاجأة:

- أنت الآن يا منصور أقرب الناس لى على وجه الأرض، وإنى لأعتبرك بمثابة الأخ الأصغر أو الابن الذى تمنيته لما رأيتك من أمانتك وإخلاصك وإتقانك للعمل وطلبت منك العيش معى لأنى كرهت الوحدة التى أحياها دون رفيق، وكما ترى العمر يمر والوهن يزحف على جسدى أشعر به فى كل حركة وفى كل نفس، جبتُ بلدان كُثُر ورأيت وعاشرت الكثيرين وتعلمت أيضا الكثير، ولكن ما فائدة العلم دون أن تعلمه لغيرك؟! وقد اخترتك أنت لتتنقل هذا العلم بعدما اقترب القطار من محطته الأخيرة
- أى علم هذا الذى تريدنى أن اتعلمه؟ وما علاقته بجثث وجلود الحيوانات التى بغرفتك؟

- هذه الحيوانات ودماؤها أحد طقوس الاستحضار، لا بد من دماء
كي تكتمل أركان الاستحضار.

- استحضار!؟

- منذ زمن بعيد تعلمتُ الاتصال بهؤلاء... لا أعلم ماذا تسمونها في
عقيدتكم عفاريت أو شياطين ولكنى برعت في ذلك منذ شبابه،
حتى صرت أتواصل معهم بشكل شبه يومي.. كنت في البداية
أشعر برهبة ولكن مع الأيام اعتدتُ هذه الأمور... أقدم لهم بعض
الخدمات وأمنحهم الكثير من الهيبة والإجلال وهو ما يسعدهم
كثيرًا حين يرون ابن آدم يجلبهم ويهايمهم بهذا الشكل وفي المقابل
يمنحوني بعض الخدمات، حتى صرت الأثير لكبرائهم... استجليهم
لعالمتنا المحبب لهم عبر طقوس معقدة ولكنى أتقنها، يطوفون
خلال عالمتنا ويقدمون لي وصفات عجيبة تعالج المرضى وتجلب
المنفعة، ويمدونني بمعلومات عن الماضي والمستقب لوكل ما يخطر
على بالك وبالي، لذا فأنا أجوب البلدان لست كتاجرٍ فقط بل
معالج أيضًا، الكثير في هذه البلدان يعرفونني وينتظرون زيارتي
ويروون لي مشاكلهم ويعرضون على أوجاعهم، وأنا أقدم لهم الحل
والدواء اللازم الذي كانت نتائجه مبهرة مع العديد منهم، في
البداية كنت أقوم بذلك دون مقابل ولكنهم شكوا في أمرى وحين
بدأت أنقاضي مألًا عن ذلك، تعاملوا معي كما لو كنت طبيبًا
موثوقًا به لا يُرد له كلمة. وصرت مُطاعًا أينما ذهبت.. حتى ذاع
صيتي في عدة دول وصار الناس يأتونني من كل صوب عند علمهم
بزيارتي لأي مكان.. أما في مصر فكانوا يتعاملون معي بحذر ثم
ازدادت ثقة المصريين بي ولكنى كنت حريصًا أن أبقى الأمر سرًا



لما خبرته من طبيعتكم وعدم تقبل الكثيرين منكم لهذه الأمور،
وكان اهتمامي الأكبر هنا هو شهرتي كتاجر.

سمع جدك الكلام مذهولًا، حتى أنه أخذ وقتًا طويلًا يديره في رأسه حتى
قال ببطء مدعورًا:

- أنت تحضر شياطين في هذه الغرفة؟

- نعم

- والأصوات التي كنت أسمعها من غرفتك هي أصواتهم؟

- نعم وعمًا قريب ستكلمهم أنت أيضًا

لاحظ أن هذا الرجل يتحدث بثقة أكثر من اللازم، فمن أين أتى بهذه
الثقة؟

كانت إجاباته سريعة وحاسمة وصادمة، ألجمت الصدمة لسانه وبدأ
شاردًا كأنه يدير الأمر في ذهنه... لاحظ الإفريقي هذا التردد والخوف فقال
له:

- ليس الأمر صعبًا إلى هذا الحد، أنت ستستفيد وهم كذلك لا

يريدون سوى الطاعة والإجلال وأنا سأعلمك كل شيء، لقد

عشتُ عمري وحيدًا وليس لي وريث ولا أريد أن تضيع تجارتي

وعلمي هباءً.. لا تخف يا منصور فأنا لم أؤذيك ولا هم أذوني...

نحن نفعل هذا لأغراض نبيلة ومهمة

- ولكني لا أستطيع فعل هذا؟

دون إضاعة وقت قال الإفريقي على الفور:



- إذن القرار لك.... أنت الآن علمت سرى، وأمامك خياران لا ثالث لهما... إما أن تبقى معى وهذا ما أرجوه، وتقاسمى كافة أعمالى وليست التجارة وحدها، وإما أن تتركى وترحل وتمحو من ذاكرتك ما قيل كأنه لم يكن ولا تفتح فمك بكلمة وأضمن لك السلامة.

كان كلامه باردًا قاسيًا ولكنه منطقيًا ... فلا حاجة لبقاء جدك بعد رفضه التعاون معه، كان السكوت يخيم على جدك فقال له الرجل فى حزم:

- لا أريد قرارك الآن، صباح الغد تبلغنى بقرارك النهائى بعد أن تفكر جيدًا.

قال الجملة كأنه يقذفها وتركه ودخل غرفته مغلقًا بابها وراءه (هكذا أخبرنى جدك)، كان الأمر عسيرًا عليه جدًا إما أن يرحل ويبدأ من نقطة الصفر التى لا يعرف أين سيجدها ثانيةً ويترك هذا الدخل الجيد الذى اعتاد عليه ولا يعرف ماذا سيكون مصيره بعد ذلك، أو أن يقبل هذا الجنون ويُبقى على كل شئ وربما يصير الوريث الوحيد لهذا الإفريقى.

بالتأكيد يا بنى تعلم خياره لو كان رحل ما كان هناك حاجة لرواية هذه القصة القديمة، نظرًا لطبيعة جدك المغامرة قرر البقاء وهو ما أسعد الإفريقى كثيرًا، وشعر بأنه كان محققًا عندما وثق فيه... ومن ثم لم يعد جدك يفارق هذا الرجل، تحدث معه كثيرًا وأخبره عن انشطته ليلاً وكيف يأتى بهذه الحيوانات وكيف يذبحها ويسلخها وكيف يتخلص منها دون أن يثير الريبة، علمه لغة غريبة لا يفهمها ولكنها لازمة لجلب هذه الكائنات، وأفهمه ما تحويه هذه الكتب القديمة... كان قد دخل عالمًا غريبًا مهيّبًا وكلما مر الوقت كلما انزلت قدماه أكثر ... ولكنه لم يقابل أو يحضر جلسة استحضار بعد ... حتى جاءت الليلة الموعودة، حين أخبره بأنه بات

جاهزًا للقائهم، كان خائفًا بحق وود لو أن هناك مجالًا للتراجع، حاول الإفريقي طمأنته بأنه سيكون بجواره، لكن ذلك لم يهدئ من روعه وصار جدك يرتعد ويرتعش كأنما أصابته حمى شديدة فتأجل اللقاء ليلتين آخريتين ولكن الخوف يزيد ... حضر الطقوس وسمع الطلاسم وأوشك قلبه على التوقف هلعًا حين بدأ هذا الكائن في التجلى وبدأت الغرفة كما لو كانت زجاجة دواء يتم رجها قبل الاستخدام، والإفريقي يواصل حديثه بتلك اللغة العجيبة والغريب أنه هو الآخر وبرغم تظاهره بالتماسك والحنكة .. إلا أن الرهبة كانت مسيطرة عليه تمامًا.. لا أريد أن أصف لك هذا الكائن كما وصفه لي جدك ولكن سأترك ذلك لخيالك مؤقتًا... كانت هذه هي البداية .. بعدها تكررت الطقوس والاستحضار كثيرًا وتعلم جدك شتى الأمور حتى أصبح يُعتمد عليه في جلب الحيوانات وذبحها وسلخها وبعض الطقوس الأخرى... للأسف يا بني كل ما أقصه لك حقيقي... أرجوك لا تصدم في هذا الرجل.. كان الفضول والخوف من الضياع أقوى منه... استمر جدك في ذلك حتى صار خبيرًا بهذه الأمور وجرب بنفسه كثيرًا من الوصفات فوجدها ذات فائدة لا أعلم على وجه التحديد إن كان ذلك حقيقيًا أم مجرد إيهاء .

بالطبع لم تقف الأمور عند هذا الحد فقد كان الإفريقي يعتمد على هذا المخلوق في كثير من الأمور خاصة بالبيع والشراء يستفسر منه عن خطواته القادمة فيمليه هذا المخلوق بما عليه فعله .كانت أمور ما كان لبشر أن يتخذ قرارًا حاسمًا صائبًا دائمًا بشأنها ولكن كانت إرشادات هذا المخلوق تعود بالنفع على الإفريقي.. مرت الأيام وفي كل يوم يمر تزداد خبرة جدك ويزداد اعتماد الإفريقي عليه في كل شيء.. مرت سنتان على هذا الحال حتى أصيب الرجل الإفريقي بمرضٍ عُضَال ألزمه الفراش لمدة

طويلة وكان جدك يرعاه خير الرعاية... أحضر له العديد من الأطباء بعد أن جرب كثير من الوصفات لكنها لم تنفع جميعاً... وقتها بدأ جدك يساوره الشك تجاه القدرات التي يمتلكها وسأل نفسه ما جدواها إن كانت هذه القدرات والوصفات لا تنفع أصحابها، ولكن الإفريقي أخبره بأن الشياطين لن تطيل عمر الإنسان ولن تمنع القدر ولكنه لم يقتنع فما فائدة أن أقدم العلاج للأخرين ولا أستطيع أن أداوى نفسى ؟ حتى أنه في أحد مرات استدعاء هذه الكائنات كان ثائراً ساخراً بشكل غير متوقع مما أثار حقن هذا الوحش العملاق ليرى جدك لأول مرة الوجه الغاضب لهذا الكائن... شكله وحده يثير الرعب في النفوس فما بالك به وهو غاضب يصبح في وجه جدك بصوتٍ مربع، جعل قلبه يتقاذف على وشك الخروج من صدره.. وقتها عرف جدك أنه لا ينبغي إثارة غضب هذا الكائن وبدأ يشعر بالندم من التورط في هذه الأمور.. أيام سريعة مرت واشتد المرض بالإفريقي فأفقدته النطق وأفقدته البصر حتى غادر الإفريقي دنيانا بعد أن ترك لجدك كثير من الأموال ونقل إليه ملكية الشقة والمتجر... رغم حزنه على الرجل إلا أنه شعر بالسعادة بعد أن أصبح من أصحاب الممتلكات ولم يعد عاملاً أو أجيراً... وأصل جدك العمل وواصل لقاءاته الليلية المخيفة وبدأ يشعر بوحدة واستوحش العيش وحيداً ... ففكر في العودة لأهله ونقل نشاطه التجارى إلى بلده ولكنه ما كان له أن يفعل ذلك دون استئذان الوحش الرابض في انتظاره كل ليلة... سمح له بالانتقال إلى بلده بكفر الشيخ مع الاستمرار في خدمته وتلبية حاجاته... وبالفعل عاد إلى أهله رجلاً صاحب تجارة واشترى لنفسه بيتاً... واستمر في ممارسة طقوسه ليلاً.. ولكنه كان وحيداً داخل بيته الجديد أيضاً.. وأدرك دون مداراة أنه بحاجة للزواج... فعاود استئذان هذا الكائن الذى وافق مع تحذيره بعدم تخليه عن مسؤولياته كي لا تحل عليه لعنته... وبالفعل

تزوج جدك ابنة خاله (جدتك كما تعلم) ونقل أنشطته الليلية إلى قبو المنزل ينسل يوميًا من تحت الفراش متجهًا إلى القبو... في البداية لم تفهم جدتك ولكنه أقتنعها بأنه يجرى تجارب ووصفات علاجية شافية للعديد من الأمراض مستغلًا تجارته في العطارة والأعشاب... أما فكرة جلب الحيوانات وذبحها وسلخها فاستعاض عن الخنازير بالقطط والأرانب ... وجعل هذا التغير تدريجيًا كي لا يلحظه هذا الكائن، وبالفعل نجحت خطته واستمر في تجارته نهارًا وأنشطته المريبة ليلاً حتى ذاع صيته في البلدة كمعالج جيد للعديد من الأمراض... ولانتشار الجهل قديمًا كان من السهل جدًا تصديق هذه الأمور وجعل صاحبها ذو منزلة رفيعة، أراك مندهشًا لقول ذلك على جدك، في الحقيقة هو لم يكن نصابًا ولم يفعل ذلك من أجل المال ولم يسع إلى إيذاء الغير كما يفعل بعض المشعوذين، واستمر الحال بعد ذلك على نفس المنوال كان يحيا حياة كريمة ورزقه الله بي .. اجتهد في تعليمنا وتربيتنا واستمرت الأمور هكذا حتى عاد رجل آخر إلى القرية كان يدرس في الأزهر وأصبح مدرسًا للغة العربية في القرية وخطيبًا وإمامًا لأكبر مساجدها .. نشأت بين جدك وبين هذا الرجل صداقة قوية فكلهما يحظيان بثقة واحترام أهل القرية.. وكان جدك يعجل ويحترم هذا الرجل كثيرًا ويأخذ برأيه في شتى الأمور الدنيوية والأخروية.. وصارا صديقين متلازمين.. حتى سمعه ذات مرة في أحد خطبه الأسبوعية يتحدث عن الدجل والشعوذة ويقذف كل السحرة والمتصلين بالجان بالكفر... كانت صدمة كبيرة لجدك حين سمع ذلك ...لم يكن يومًا متدينًا لكنه لم يكن كافرًا بالله عز وجل... في البداية شعر بأن الرجل يبالغ قليلًا ولكنه بدأ يهتم ويسأل كثيرًا عن هذه الأمور حتى صار متيقنًا بأنه ما يجب الاتصال بهذه الكائنات السفلية لأن من يفعل ذلك ينال غضب الله سبحانه وتعالى ... في هذا الوقت كنت قد كبرت أنا وأخوتي والتحققت

بالجامعة ولم أكن ألقى بالألأنشطة والدى.. ولكنه في هذا الوقت بدأ يدرك خطورة ما يفعله... تبدلت حياته تمامًا وكأنما امتلك فجأة عينين يرى بهما مصيره بعد الموت... ومع تقدم العمر شعر بأن المتبقى من حياته أقل كثيرًا من الذي فات وعليه أن يتخلص من هذا الكائن.. فبدأ عدم المواظبة على الطقوس المعتادة واستحضار هذه الكائنات وتوترت الأمور حتى اجتاحه الرعب من فرط الغضب الذي سببه لهم... ورغم فزعه من هذا الكائن إلا أن فزعه كان أكبر من مصيره بعد الموت... في هذا الوقت ارتبطتُ بوالدتك والتي كانت جارة لنا في البلدة واتفقنا على الزواج بعد تخرجي مباشرة.. كنت في أسعد أيامي بينما والدى يعيش أسوأ أيامه... لم أدرك وقتها ذلك ولكنه حكى لي كل شيء تفصيلًا فيما بعد... كنت قد تزوجت وانتقلت للعمل في القاهرة وساعدني والدى كثيرًا في هذا الزواج، بينما هو على وشك اتخاذ قرار مصيري بالامتناع التام عن تلك الطقوس بعدما أثار غضب هذا الوحش أكثر من مرة بالتأخر في تلبية حاجاته.. وفي أحد الأيام اشتد المرض بعض الشيء بجذك فارتعد وخاف أن يلقي الله بهذا الذئب.. فاتخذ قراره النهائي بحرق كل الكتب التي أعطاهها إياه الإفريقي وعدم ممارسة أيًا من الأعمال الليلية مهما كلفه هذا الأمر... وبالفعل قام بذلك وشعر براحة كبيرة لم يشعر مثلها من قبل وقد تاب وأناب إلى الله عز وجل، وكان ما يعكس صفو حياته هو رؤية هذا الكائن في كوايبسه يهدد حياته وينذره بالويل إن لم يعد إلى سابق عهده، لكنه كان يصحو حامدًا لله على نعمه التي وهبها له وأنه لارجعة في قراره... حتى جاء يومٌ فاصل ذات مساء بينما جدك عائد من العمل حتى سمع أصواتًا غريبة قادمة من القبو لم يدر سببها.. ابتلع ريقه في خوف وهو يبسمل ويحوقل.. اتجه إلى القبو وأضاء مصباحه من الداخل وأحكم إغلاق الباب



بعد دخوله كما كان يفعل ليجد الوحش منتظرًا إياه وقد زاده الغضب
قبخًا على قبحه فقال لمنصور بصوتٍ كالفحيح:

- هذه الأرض أرضنا ويومًا ماستعود إلينا كاملة ونعود إليها دون
معين سنكون أسبادهما وورثها، فقط أعواننا هم من سيأمنون
شرنا حينئذ وكنت أحدهم ولكنك اتخذت القرار وحدك يا
منصور وخنث العهد الذى قطعته على نفسك وخنث الثقة التى
وليتك إياها.. بعد أن اخترتك وجعلت الإفريقى يشركك فى أمره..
نعم أنا من طلبت منه ذلك بعد أن علمت بدنو أجله.. كان لا بد
لشريك كى يحمل السر ونوليه رعايتنا ويكون فى خدمتنا، وبعد كل
ما فات وكل الخدمات التى قدمناها لك تظن أنه يمكنك الإفلات
من العقاب؟

- فلتفعل ما تفعل حتى وإن قتلتنى ولكنى لن أعود إلى هذا الهراء

صدر من هذا المخلوق صوت غليظ متقطع، فهم جدك أن هذا المخلوق
يضحك من كلامه ويستهزأ به فاتبع تلك الضحك الشنيعة بقوله متهمًا:

- نحن لا نقتل يا منصور... القتل يرحم من نغضب عليه ونحن لا
نرحم.. لقد كنت تخدمنا طوعًا خدمات بسيطة لا تذكر وتقدم
لك العون فى المقابل.. أما الآن فستخدمنا كرمًا وتقدم لنا ما هو
أكبر من هذه التفاهات ... كنتُ أجيء إلى عالمكم بناءً على رغبتكم
أما الآن فأنت من سيأتى إلى عالمنا وترى الأهوال التى لا قبَلْ لك
بها وستندم على مهل.. سنترك لك حياتك تعيشها كما تشاء أما
منامك فهو مِلْكٌ لنا وهو بوابتك للدخول إلى عالمنا وستعبر تلك
البوابة سواء شئت أم أبيت و نومك هو بوابتنا للعبور إلى



عالمك.. سنتبادل الأدوار رغمًا عنك مادمت ترفض استحضارنا
لهذا العالم طواعيةً وترفض خدمتنا على هذه الأرض.. الشياطين
والمرردة في عالمنا هم رفقًاؤك الجدد وهم بلس الرفقة بالنسبة
لجسدك الفانى الواهن هذا... ستتجول الشياطين كل ليلة في
أحلامك وسيسكنون خلايا عقلك..ستخوض تجارب غريبة وترتاد
عوالم أغرب وتقابل من ينتمون لعالمك ومن لا ينتمون, ستراهم
يتلقون العذاب صنوفًا وألوانًا, ولن تجرؤ على المساعدة,
ستغمض عينك وتتمنى لوفقاتها وهى مقبلة على رؤية ما يشيب
له القانون أمثالك, ستمنى لو لم تولد وتتمنى لو بإمكانك قتل
نفسك ولن تفعل, ستمنى لو لم يتقابل أبويك, لو لم تأتِ إلى
هذه الدنيا التى قادتك إلى عالمنا.. ستندم ولن تغفر.. فالفغو
والغفران ليسوا من صفاتنا يا منصور.. ستصيبك لعنتنا أنت
وكل ذريتك من الذكور من بعدك.. فلا تلومن إلا نفسك... لأنك
أنت من فعلت ذلك بها.

عند هذا الحد توقف الأب عن الكلام وهو يندرف دموعه بغزارة.





وما فائدة الدنيا الواسعة إذا كان حذاؤك ضيقًا

جون وليامز

79

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية

انضموا لجروب سائر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
sa7eralkutub.com او زيارة موقعنا

لم يجرب عماد هذا الشعور من قبل قط , شعور أن تفقد عزيز عليك ولا تعرف مكانه أو سبب غيابه, طالما بدا واثقًا عنيدًا مشاكسًا أحيانًا, تلك الصفات التي ورثها عن والده وازدادت بروزًا بعد التحاقه بكلية الشرطة, في بداية عمله كضابط شرطة رأى الكثير من المواطنين يقدمون بلاغات باختفاء ذويهم وكان الحزن العارم والقلق الذي لا حد له عاملان مشتركان بينهم جميعًا, في البداية كان يتعاطف معهم ويتأثر لحزنهم ويحاول بذل أقصى ما في جهده للعثور على ذويهم وبذل أقصى طاقته لتهديتهم ولكن بمرور الوقت صارت هذه الوقائع والبلاغات أمور روتينية معتادة.. ففى كل الأحوال سيقوم بدوره على أكمل وجه لمحاولة إيجادهم أو إيجاد تفسير منطقي لسبب اختفاءهم, لكن بعد اختفاء سليم ووقوع جيهان أخته في هذه الهوة السحيقة من الحيرة والقلق عاد يدرك من جديد ما كان يعانيه أهالي المفقودين والغائبين.. فبجانب معزة سليم واعتباره له بمثابة الأخ الأكبر وفقدانه وقلقه عليه بشكل شخصي كانت هناك تلك المعاناة التي يراها في عيون جيهان, فهو لم يرها أبدًا هكذا.. كانت دائمًا صلبة صامدة, تعالج أمورها بصبر ومثابرة أما الآن فنظرة العجز في عينيها جلية.. شعوره هو شخصيًا بعدم القدرة على مساعدة أقرب الناس إليه أزال من صدره الكثير من الثقة التي منحتها إياها ارتدائه للزى العسكرى وما يصاحبه من الهيبة والسلطان اللذان يكتسبهما صاحب الزى وكذلك ما يترتب عليه من إصدار أوامر وتعليمات وما يقابله من طاعة مرؤوسيه ورهبة في عيون الكثيرين لم يفرضها ولم يطلبها ولكنها الهالة التي تحيط بأى ضابط يعمل في الشرطة.

لاتزال ضحكات سليم وكلماته ترن في أذنه، في الفترة الأخيرة لجأ إليه سليم كثيرًا بغرض مساعدة بعض أصدقائه كما ذكر سليم له بعضهم في القاهرة وبعضهم في الإسكندرية، فقد طلب مساعدته في حل لغز إحدى الجرائم التي وقعت في الإسكندرية، لأن الضحية تنتمي لعائلة كبيرة وسليم هو الطبيب المعالج لأفرادها المقيمين في القاهرة.. الغريب أن عماد لم يسأل نفسه يومًا ما علاقة طبيب نساء بهذه الأمور؟ ولماذا يتوسم فيه الآخرون مساعدتهم؟ ولماذا يروون له من الأساس شؤونهم الخاصة؟ ولماذا يتعامل معها سليم بهذا الاهتمام؟ هل هم بهذا القرب منه الذي يسمح لهم بتجاوز حدود المتابعة الطبية لما هو أبعد؟ كان سليم نفسه مهتمًا جدًا بهذه المواضيع بشكلٍ غير مسبوق كما لو كانت تخصه هو شخصيًا.. كل ذلك جعل عماد يتيقن بحسه الأمني أن اختفاء سليم وغيابه بهذا الشكل ليس مصادفة ولكن يبدو أن سليم في الفترة الأخيرة ورتط نفسه في مشكلةٍ ما.. لم يفهم عماد سببًا لهذا التغير في حياته .. فيكفى سليم ما وقع له في الفترة الأخيرة من ابتلاءات.. فلم يجلب لنفسه المزيد من المشاكل ولم يورد نفسه في المهالك؟ كل ما يتمناه عماد الآن هو سلامة سليم وعودته لأهله وكانت الأسئلة التي تتردد في ذهن عماد مثيرة محيرة .. تُرى أين أنت يا سليم؟ ومتى ستعود؟ وهل ستعود هذه المرة؟





إلهى أنا ما قتلت وما غدرت، ولم أرتكب الفحشاء، ولم أدنس شيئاً مقدساً،
ولم أغتصب مألأ حراماً، ولم أنتهك حرمة الأموات.. أنا طاهر، أنا طاهر، أنا
طاهر، ومادمتُ بريئاً من الإثم، فاجعلنى يا إلهى من الفائزين

كتاب الموتى (الخروج فى النهار)

نصوص مصرية قديمة

عند هذا الحد توقف الأب عن الكلام وهو يبكي ويذرف دموعه بغزارة، أما منصور الابن فشعر في برهة بعودته فجأة إلى أرض الواقع بعدما كان منصتاً لقصة أشبه بالحواديت والأساطير لو كان سمعها من أحد لأدرك مدى اتساع خياله ولكن لأن الراوى هو والده فلا مكان للشك، جملة واحدة هوت به إلى الأرض هي (ستصيبك لعنتنا أنت وكل ذريتك من الذكور من بعدك)، أدرك بعدها لماذا كل هذا القلق والهيم الهاديان على وجه أبيه، وأدرك بعدها أيضاً حجم المصيبة التي يعيشها والده.. والتي سيبدأ دوره فيها إن أجلاً أو عاجلاً.. أفكار كثيرة متناقضة تتلاحق وتتزاحم في عقله الذى ود لو أفرغ ما بداخله ليعود كما كان قبل هذه الجلسة ولكن بالطبع لم يكن بوسعه ذلك.. قطع حبل أفكاره صوت أبيه من جديد هادئاً هذه المرة:

- حين سمع جدك هذا الكلام .. كنت أنا وأمك متزوجين منذ عدة أشهر وفي انتظار قدومك بالطبع لم أكن أعلم وقتها شيئاً مما قصصته لك ... وجدك نفسه في البداية لم يصدق هذا التهديد.. حاول إقناع نفسه بأنه لا سلطان لهذا الكائن عليه وأنه مجرد تهديد بكلام غير معقول ... ولكن ما المعقول الذى تنتظره من هذه الكائنات .. استدعائهم من الأساس لم يكن معقولاً والتعاون معهم لم يكن معقولاً .. فلمَ التمسك بالمنطقى والمعقول وأنت أول من خالفته.. لساعات طويلة بقى جدك مصدوماً مما حدث.. واستبد به القلق والصداع الذى اكتنف رأسه منذ سماع هذا التهديد ووصل به الحال إلى الشعور بالهلع من النوم وأن ينفذ

هذا الكائن تهديده... مرت 4 ليالٍ عليه دون نوم، ساهراً متيقظاً مستعيناً بأكبر كمية ممكنة من المنبهات كالشاي والقهوة حتى المواد المحظورة ولكن لا طاقة لبشر بهذا سيأتي النوم لا محالة، ووقتها أدرك فداحة وشناعة ما ارتكب من جرائم بحق نفسه..

- ولأن جدك بقى بدون نوم أطول فترة ممكنة، فقد نام بعدها لأعمق فترة ممكنة ولكنها كانت أطول وأسوأ ليلة في حياته، رأى فيها الأهوال التي لا يمكن لبشر تخيلها ولا تحملها.. رأى التهديد الذى لوح به هذا المخلوق ولم يتخيل أبداً أن يكون العقاب بهذه البشاعة وهذه القسوة .. عذاب أبدي متنوع ومزيج من صنوف التنكيل المادى والمعنوى عقاباً له على مخالفته العهد معسفراء الجحيم الذين اختار التعامل معهم بمحض إرادته.. تبدلت حياته وساءت أحواله وأهمل تجارته، لم يفهم الكثيرون من حوله سبب ذلك..

قطع حديثه سؤال مفاجئ من منصور:

- وأنت يا أبى متى علمت بكل هذه الأمور؟

- قيل أن يغادر جدك عالمنا بشهور.. كانت قد تغيرت أحواله تماماً فى القتره الأخيرة من حياته.. صامتاً شاردًا أغلب الوقت، حتى عندما أخبرته بقدمك لم يفرح الفرحة المتوقعة لحفيده الذى يحمل اسمه.. بالطبع لم أفهم وقتها السبب، ولكنى عرفت فيما بعد.. حين اشتد به الوهن وشعر بقرب رحيله...دعانى لأمرٍ عاجل كما أخبرنى.. وحكى لى ما سمعته أنت الآن بنفس التفاصيل التى ذكرتها لك مرارًا وصرت أحفظها عن ظهر قلب مع كثير من الأسف والأسى لتلك اللعنة التى أورثنى إياها.

فقال منصور بصوتٍ مختنق:

- وأنت الآن تحمل هذه اللعنة كل ليلة؟

- أجل يا بني

- لذلك تنام وحدك دائماً في غرفة منفصلة ولنفس السبب صرت الابن الوحيد لك؟

- نعم يا بني لا أحد يتحمل النوم مع جسد يعانى كل تلك الاهیات والأُنات أثناء نومه كل يوم ... ولم أرغب في جعل المزيد من الأبناء يعانى هذه اللعنة.. لا أدري ما يمكنني قوله معهذه المصيبة التي أحملها لك... طالما تمنيت لو أن بإمكانی تغيير هذا المصير ولكنها حقيقة لا مفر منها... الموت قادم قادم لا محالة...وإني أشعر بدنو الأجل أكثر من أي وقت مضى ربما يمهل الله في عمري المزيد وقد لا يحدث وتكون أيامي بجوارك معدودة.. ولكنني في كل الأحوال راحل ولا أريد أن تشهد هذه الكوابيس بعد موتي ولا تفهم سرها... سامحنی يا بني سأحاول في أيامي القليلة المتبقية أن أنقل إليك بعض ما رأيته وهو على صعوبته سهون عليك الكثير.. حتى إذا ما حانت ساعتی وانتقلت إلى جوار ربی وجاء الدور عليك تتذكر كلماتي لعلها تخفف من هول ما ينتظرك. الأمر خطير والقواعد كثيرة واللعبة لا تتوقف ولا تنتهي لأن زمامها ليس بأيدينا، وأنا مجرد دمية تنن ليس لها القدرة على تغيير المصير.

بعد هذا اليوم لم تعد الحياة بعده كما كانت قبله.. قدر جديد ومصير أسود كان بانتظار منصور.. لا زواج.. لا أبناء كي لا يحملوا هذه اللعنة من بعده وليكن هو آخر من يحمل هذه اللعنة وآخر من يتحمل خطأ الجد

الذى أخطأ خطأ شنيعاً وكان عليه أن يدفع ثمن هذا الخطأ ليس هو وحده، بل وذريته الذكور من بعده. أى خطأ ارتكبه أو ذنب اقترفه كي ينال هذا العقاب؟! لا شيء..

حياة بائسة يسودها اليأس والإحباط تلك التى عاشها منصور بعد هذا اليوم، بريق كان يلمع فى عينيه صار يخبو.. طال ليله وأقضى مضجعه، فقد كثيراً من وزنه، تراخى جسده الممشوق، وتراجع اهتمامه بمظهره، صار لا يربطه بالعالم الخارجى سوى ذهابه للعمل الذى التحق به فى أحد البنوك... ولشدة يأسه صارت جملة واحدة تتوارد على ذهنه مرات ومرات يومياً سمعها قديماً من أحد أساتذته كان يظنها كناية عن التشاؤم ولكنه يعتقد بأنها حقيقية وعميقة بعض الشيء ألا وهي "من الأفضل لبنى البشر ألا يكونوا قد وُلِدوا قط، أما إذا حدث وُؤلدوا، فلا خير لهم سوى أن يرحلوا بأقصى سرعة ممكنة عائدين إلى حيث قد جاءوا".

بقى منصور هادئاً وحيدياً صامتاً، مبتعداً عن كل من يحاول الاقتراب منه.. وحدها منال زميلته فى العمل والتى تكبره بعامين ولكنها مطلقة هى من تثير اهتمامه بجمال ظلها وخفة دمها وأنوثتها الصارخة والتى تحاول جمعها والسيطرة عليها قدر المستطاع.. بشرة من فرط نعومتها تكاد تكون شفافة، بياض حليى يتشرب بحمرة مع أى انفعال لوجهها، جبين مشرق وأنف دقيق، شفتان تنتظران أن تنفوه بما لا يمكن سماعه سوى من أخرتين عاشقتين، إنها واحدة من أولئك الحسنات اللاتي لا تصدق بوجودهن ما لم تراهن رأى العين واللاتي تصير رؤية إحداهن ضارة جداً بالقلب والعين والصحة ما لم تكن ملكك، وعندها ستدرك كم أنت محظوظ أن منحتك الحياة إحدى حورها الندرارات.

كانت غير باقى الزملاء والزميلات لها حضور طاغى يفقد أمامها منصور اتزانه وثباته.. يتلعثم ويتلجلج كلما هم بالحديث معها كما لو كان طالباً مراهقاً لا يمكنه السيطرة على نفسه أمام فتاته , فى الوقت الذى كانت تحاول فيه هى بث الهدوء والطمأنينة له لما تعرف عنه من انعزال وهدوء.. حتى انتقل والده إلى جوار ربه وانقطع عن العمل لأسبوع متواصل لتبدأ مهمته فعلياً مع هذا العالم, وحين علم زملاؤه بالخبر.. زاروه لتقديم العزاء ووجدوه فى أسوأ حالٍ ممكن, طويل الذقن, منكوش الشعر, هالات سوداء تعلن عن نفسها بقوة أسفل عينيه حتى صوته صار مبحوحاً ورائحة الشقة خانقة, يبدو أنه يعانى أشد المعاناة.. حاولوا الشد من أزره ومواساته وحثه على العودة إلى العمل... ولكن ما أدهشه هو إصرارها على الحضور مع مجموعة من زملائه الرجال رغم غراية الأمر.. وحين عاد إلى العمل كانت أكثر من يحاول التخفيف عنه والتقرب منه.. لم يكن باستطاعته المقاومة مع قسوة ما يشهده فى أحلامه ولكن علمه باستحالة أن يحيا حياة طبيعية كان حائلاً بينه وبينها.. حتى علم بالصدفة من زميل له بأن سبب انفصالها عن زوجها عو عدم قدرتها على الإنجاب.. كان هذا الخبر كفيلاً بتغيير تفكيره ولكن كان ينقصه دراسة جيدة للأمر وشجاعة اتخاذ القرار.

لم يستمر تأجيل اتخاذ القرار طويلاً فعلى الرغم من قسوة الظروف التى وُضع فيها وفرضت عليه وعلى خططه كثير من التغيرات.. إلا أنه أولاً وأخيراً إنسان له متطلباته العاطفية والجسدية التى مهما حاول فلن يستطيع كبها أكثر من ذلك.. خاصة وأن الطرف الأخرى يمد له الجسور للتواصل ويمهد أمامه الطرق ولا يبقى له سوى اتخاذ المبادرة والاعتراف بالمشاعر التى هى فى المقام الأول فى مجتمعنا من شأن الرجل.. وكيف لرجل مهما

بلغت ظروفه ومهما بلغ صموده يمكنه مقاومة أنثى رقيقة بهذا الجمال كوردة تتفتح كل يوم ونجمة ساطعة تتلألأ كل مساء؟ من ذا الذى يقاوم هذه العيون التى تفصح عن حبٍ مكنون وتعد بلذة لا مقطوعة ولا ممنوعة لامتلاك قلب لا يتصور حبيبًا غيره.. كان منصور يتساءل هل هى هدية القدر لتعويضه عن المأساة التى يحيهاها والتى لم يكن له يدٌ فيها وإنما اضطرتته اضطرارًا وأجبرته إيجابًا لكبح جماح أحلامه بل والتصدى لها؟ ولكن منال غيرت كل هذا بعد أن أمتلأ قلبها بحبه فى من الوهلة الأولى معجبة به ولها أسبابها التى لم ولن يعلمها منصور فهو من البداية يذكرها بزميل قديم لها فى الجامعة، الشبه بينهما كبير.. كانت البنات يهمن به حبًا.. وقتها كانت منال احدى معجباته ولكن لم يكن بمقدورها الاعتراف أو حتى التلميح بهذا الإعجاب لأنها ستكون مجرد فتاة جميلة تنتظر فى طايبور طويل رهن نظرة منه.. فاضطرت لدفن بذرة الإعجاب هذه ومُنّت نفسها بأنها ستلقى يومًا من يبادلها الإعجاب وتكون حبيبته الأولى والأخيرة التى لن يرى سواها ولا يكثرث لغيرها ويبقى ملكها وحدها حتى قابلت الرجل الذى تزوجته كان يعشقها ويعرف قيمتها ولكنه كان يتمنى هو وأهله أن يكلل زواجهما بالأطفال ولكن الأقدار حرمت الزوجين من هذه النعمة بعد أن زارا العديد من الأطباء والذين أخبروهما بصعوبة حدوث حمل بسبب مشاكل فى الرحم.. فكان زوجها دائم الشكوى والتأثر من هذا الأمر أما أهله فكانوا أكثره حدة فى التعامل معها ووصلت الأمور إلى معايرتها بعدم قدرتها على الإنجاب.. كل هذه الأشياء جعلت استمرار زواجهما دربًا من دروب المستحيل حتى وقع الانفصال وقد رضت هى بما قسمه الله لها.. فعادت لمنزل والدتها ومن ثم طلبت نقلها لأحد فروع البنك القريبة من سكنها.. وبالفعل انتقلت إلى الفرع الذى يعمل به منصور.

في البداية أعجبتا هدوءه ووقاره وقدر من الوسامة لا ينقصه سوى الاعتناء به جيداً وأثارت انطوائيته فضولها حتى تحول هذا الإعجاب والفضول إلى اهتمام خاص حاولت مداراته ولكن شيئاً ما كان يدفعها دفعاً لاقتحام حياته وللتعبير عن إعجابها به بشئ الوسائل المعنوية، وكان منصور يتلقى كل محاولة بدرجة من الحذر كانت تقل مع تكرار المحاولة حتى تحطمت حصونه وانهارت سدوده ووقع هو الآخر أسير هواها ولم يعد يفصله عنها سوى قرار بعد تفكير عميق.. هو لديه كارثة لا يمكن إطلاع أحد عليها وهي لديها نقطة ضعف لا يمكن غض الطرف عنها.

وفي أحد الأيام بينما منال جالسة على مكتبها تمارس عملها إذا بها تجد منصور واقفاً أمامها يحاول جاهداً تثبيت ابتسامة ثقة على وجهه، تلك الابتسامة التي كان فقط ينقصها ابتسامتها كي تكتسب القلة القليلة الباقية من الثقة المفقودة، وبالفعل لم تبخل عليه بها بل كانت أجمل ابتسامة يمكن تخيلها من هذا الوجه المضيء ذى الوجنتين الناضرتين الشهيبتين لا يشوبهما أى تدخل من مساحيق التجميل. حياها منصور وطلب لقاءها بعد العمل لمناقشة أمر شديد الأهمية كما أخبرها.. بالطبع أدركت هذا الأمر ولكنها تظاهرت بعدم الفهم، وافقت على طلبه حتى أنها عملتها واتجهت سوياً لأحد الكازينوهات الهادئة القريبة من البنك.. لاحظت مدى اهتمامه بمظهره في هذا اليوم واختياره لألوان ربعية زاهية ومتناسقة تُظهِر تناسق جسده وقوة بنيانه مع طولته غير الزائد عن الحد.. وما إن جلسا حتى دخل مباشرة في الموضوع واعترف لها بحبه وإعجابها بها وبأنه يتمنى الارتباط بها وسيكون الأسعد لو وافقت على طلبه.. وبرغم تخمينها سبب طلبه لقاءها وتوقعها لكل كلمة إلا أن وقع الكلمات عليها كان مفاجئاً لها شخصياً.. فارتبكت بالفعل وبرقت ثناياها وزادها الخجل



جمالاً فوق جمالها.. وصار وجهها شديد الحمرة.. لم تتمكن من الكلام ولكن نظرتها وابتسامتها الخجولة تفيان بالغرض.. تأكد منصور من القبول فضغط أكثر ليسمع الإجابة بصوتها.. حاولت الكلام فخرج غير مرتباً... حاولت التماسك وما أن تمكنت من ذلك حتى قالت في مزيج من السعادة والقلق:

- هناك شيء لا بد أن تعلمه أولاً يا منصور، أنا أواجه صعوبة في الإنجاب والأطباء أخبروني بأن الأمومة حلم بعيد المنال بالنسبة لي.. وأنت من ححك أن..

قاطعها منصور وقال في حسم متظاهراً بالجدية:

- أعلم ذلك يا منال وفكرت فيه كثيرًا قبل مفاتحتي لك في هذا الموضوع، أنا أريد أن أحيا حياة هانئة سعيدة وموقن بأنك قادرة على إسعادى وإرضائى وهو هدفى أنا أيضاً أن تنعمى معى بحياة هادئة جميلة، سنتجاوز هذا الأمر معاً .

كانت نظراتها له تحمل أسمى معانى الحب والتقدير خاصة بعد هذا الكلام، أما هو فلم يصدق بأنه قادر على التماسك والتظاهر باستغناءه عن حقه فى الإنجاب إلى هذه الدرجة، فلم يكن ليخبرها أبداً بأن هذا هو السبب الأهم فى الارتباط منها بجانب الإعجاب المتبادل بينهما.. بعد هذا اللقاء كان كلاهما غارقاً فى بحر من السعادة حتى أذنيه، فقد رأت فيه تعويضاً عن حياتها وزواجها الأول وهو رأى فيها هدية من السماء لإضفاء بعضاً من السعادة على حياته البائسة.. تعددت لقاءاتهما بعد هذا اللقاء واتفقا على كل التفاصيل الخاصة بارتباطهما بعد التشاور مع والدتها التى رحبت وسعدت بمنصور أيما ترحيب أملة هى الأخرى بأن يكون خير

تعويض لها عن زواجها الأول.. تمت إجراءات الخِطْبَة التي استمرت لأشهر قليلة بمباركة الزملاء والأقارب.. وقتها شعر منصور بأن الأيام ابتسمت له قليلاً لتخفف عنه بعض العناء الذي يعانيه في عالم آخر لا يدرى عنه أحد شيئاً وظلا في انتظار إعداد مسكن الزوجية في بيت منصور وتجهيزه بالشكل اللائق لعريس وعروسته وما أن تم الانتهاء من تجهيز السكن حتى حدا موعدًا للزفاف، والمشكلة الأكبر التي واجهت منصور هي كيفية إقناعها بنومه في غرفة منفصلة عنها.. كانت هذه النقطة بالتحديد تؤرق ذهنه، وواجه صعوبة كبيرة في الخروج من هذا المأزق فما من عروس ستقتنع بأى عذر لمبيت زوجها خارج غرفة نومه في أول يوم زواج.. لذا جاهد كي يبدو مقنعًا قدر الإمكان وهو يخبرها في لقاءاته بها قبل إتمام الزواج بأنه يعد غرفة نوم ثانية، وحين سألت عن السبب في توجس أجاها بئىء من التردد بأنه يعاني من مرض أقرب إلى الصرع يسبب له بعض التشنجات أثناء النوم، وأنه لا يريد إزعاج ملاكه النائم لأنه اعتاد هذا الأمر.. حاولت إثناؤه عن هذا وطلبت منه زيارة طبيب ورحبت في إخلاص بالأ يقلق من ذلك فهي تود أن تكون بجانبه لتخفف عنه وتساعدته ولكنه كان حاسمًا بأنه قرار نهائي.. اندهشت كثيرًا لهذا الأمر الغريب لكنها لم تكن لتغضبه والتمست له الأعذار بداخلها حتى حل موعد الزواج واحتفلا وسط جمع قليل من الأصدقاء والمعارف ليبدأ فصل جديد في حياة منصور التي تُسَيِّرُهَا الأقدار على غير وتيرة واحدة.



أوه! أوه! قم يا أخى

خذ رأسك واجمع عظامك!

واجمع أطرافك، وانثر الغبار عن جسدك!

وقف أمام الأبواب التى تحجب عامة الناس!

سيأتى لك حارس الباب، ويمسك بيدك

سيأخذك إلى أهلك

ويفرحون بحضورك ويعتنون بك

سينتظرك المشاهدون ويقدمون إليك المشرب

قم يا أخى، فإنك لن تموت!

نصوص الأهرام (نصوص مصرية قديمة)

ما أطول الوقت وأثقله في عالم الأوجاع هذا.. الثواني والساعات والدقائق هنا تتعاضم لتغدو سنوات وعقود وقرون معلنة عن ظهور وحدات قياس زمنية جديدة متناهية الصغر لدرجة تبدو معها الفمتو ثانية دهرًا.

فالملل هنا ليس ضيقًا بل صاحب مكان، فهو في عالمنا ذلك الكائن المتخفى الذي يفسد حياة الكثيرين كعقاب مستحق للكسالى وضيء ثقيل على المبدعين الذين ما يلبثون أن يطردوه شر طردة ليصيب البشر العاديين مُخَلِّفًا وراءه العديد من الضحايا، تساءلت بداخلي ذات مرة بعد أن أضناني السأم ما هو مصير الملل بعد زوال الدنيا؟ البعض يظن أن مصيره الفناء وإن كنت أظن أن الجحيم لن يكتمل بدونه، ويبدو أني كنتُ محقًا.

وجعٌ نفسيٌّ دائم يسيطر على الحاضرين هنا، لا أمل في الشفاء منه، الوقت المتبقى لك عظيم مهما قلّ، ستمنى لو لم توجد من الأساس... ستجرح الألم كأسًا وراء كأس في خضوع تام، لا سبيل للمقاومة فهي نفسها مستسلمة تمامًا، فهمت الآن لماذا تسيطر تلك اللامبالاة على الجميع، كل من يئس من العودة لا يحاول أن يحيا، فهو يعرف إنها رحلة شقاء ألقته الأقدار برؤسها وكل الرفقاء في هذه الرحلة أشقياء كذلك، فما الداعي لتتعرف وتشارك أوجاع الآخرين، فالمصيبة هنا واحدة مقارنة بمصائب الدنيا... مصيبة لن تنتهي إلا بانتهائك.. إذن فليكيفك ما أنت فيه، فلا طاقة لبشر في عالمنا على تحمل تلك المعاناة الأبديّة.. في عالمنا نحن نحيا بالأمل حتى وإن قلّت نسبته و إن غابت أماراته... لا بد وأنك ستحتفظ بقدر ضليل منه يبقيك على قيد الحياة، وإن تلاشى الأمل في



الدنيا تُمَيِّىَ نفسك بنعيم الآخرة، هذا هو حائط الصد الأخير لما تواجه من شدائد وصعائب في دنياك. ولكن هنا فالأمل ضيف ثقيل غير مرغوب فيه، لذا لا يبقى طويلاً.

عرف البأس طريقه إلينا أنا وصفاء، فالدقائق تمر نحسبها ساعات والساعات تمضى كأنها أيام ولا أى بشائر في الرجوع، تَبَقْنَا أننا ميتين، وكدتُ أبتسم لهذه الدعاية القاسية، أنا أشهد موتي من هذا العالم، أرى دموع جيهان وسلمى وهما يبحثان عني ولا يجداني... أشد ما يحزننى أنى رحلت عنهما دون وداع، دون عناق، دون نظرة أخيرة تقول الكثير مما يعجز عن قوله اللسان. عناق أخير صار أغلى أمنياتي ولكن هيات. مكثت على هذا الحال طويلاً أفكر في مصير أهلى وحالهم بعد رحيلى.. كيف يكون الوضع حين يتيقن الجميع من وفاتي؟ سيحزنون لبعض الوقت، ستبقى هذه نقطة ضعف في حياة ابنتى أن تشب يتيمة دون والدها الذى فارقها وهى في سن صغيرة.. هل ستتذكرنى فيما بعد؟ أم ستكتفى بحكايات والدها عني إذا تذكرتني هى الأخرى؟ مساحات الحنين تمددت واستطالت لتحتمل كل ذرة من كيانى هنا، ذكرياتي القريبة والبعيدة استحالت لسهام تنغرز في قلبى، أوقاتاً عصيبة مرت ظننتها لن تضى أبداً.

ولكن لم يقطع أفكارى السوداء هذه سوى صدى يتردد قادم من الفراغ ليمأل الفراغ بصوتٍ لا يمت للبشر بصلة ولكنه وبالغراية يحمل اسمى.. سليم مصطفى البشرى.. انتهت ولم أفهم حتى التمتع عيون حسن وصفاء، فبدأت أفهم أنى سأعود لعالمى، لأهلى وبيتى وعملى.. أنى سأنجو.... هل رأيت سعادة مريض السرطان عندما يبلغه الأطباء بالشفاء؟ هل رأيت سعادة عاشقين اجتمعا بعد سنوات من الفراق؟ هل رأيت سعادة أمَ برؤية ولدها؟ لقد تجاوزت فرحتى ذلك بمراحل، كدت أطير فرحاً لولا أنى

شاهدت دموع حسن وصفاء تهمران غير أنهما يحاولان الابتسام وتغاليهما الدموع ... بكيت أنا الآخر وكأني سأفارق أهلى ووطنى... غريب هذا شعرت بمرارة لفراقهما ووضع نفسي مكانهما، تُرى ماذا سيكون شعورى لو كان النداء لأحدهما؟ لا منطق هنا فالاحتفاظ بعقلك فى هذا المكان هو إنجاز لا طائل منه ولا جدوى فيه.... احتضناني بشدة ثم دفعاني قائلين:

- هيا لا تعد هنا ثانية... أحرص على ذلك

كان الموقف عسيرًا أن تفارق رفقاك بهذه السهولة وتتركهم فى هذا العذاب دون أن يكون هناك طريقة لمساعدتهم، تمنيت لو أن بيدى اصطحابهما.. أعلم أن ذلك مستحيلًا وهما يعلمان قبلى أن ذلك غير متاح.. تقدمت بخطواتٍ متناقلة وأنا أفكر كيف سأترك حسن بطلّته الطفولية وصفاء بوجهها الملائكى وحينها سمعتُ اسمى بصوت رقيق عذب حفظته عن ظهر قلب هو صوت صفاء وهى تنادى:

- دكتور سليم ... فنظرتُ للوراء وإذا بها تقول باكية " حين تعود و إذا قُبِرَ لك أن تتذكر هذا المكان فاحرص على أن تجدنى.. أقصد أن تجد جثتى"

كانت هذه الجملة هى الأصعب نظرتُ لحسن فلم يكن أحسن حالًا من صفاء ثم تردد هذا الصوت الغليظ الغير أدمى مرة أخرى، فأسرعت خطواتى وأنا أحييهما بيدائى وهما كذلك.

اتجهت إلى السرداب عائدًا إلى نفس المكان الذى جئت منه، وجدت حبلاً يتدلى فتشبّثتُ به وأنا أحاول الصعود... سمعتُ أصواتًا كثيرة متداخلة لم أتبينها، وبعد أن بدأت فى التسلق، شعرت بفقدان الاتزان، لا أريد أن أبقى

هنا ولكن قواى تخور فجأة وأصبحتُ غير قادر على الحركة، نظرت لأسفل فوجدت وجه يتمتم بكلمات ناظرًا إلى.. صاحب الوجه لم يكن موجودًا من قبل ولم أره هنا قبل ذلك، ولكنه وجه أظن أنى أعرفه.. لا أذكر الآن أين رأيته من قبل تشبّثت بالحبيل أكثر بعدما زاد الدوار، عيني لم تُعد تعمل كما اعتادت ولكن أذنى التقطت جملة أخيرة بصوتٍ متقطع من صاحب الوجه المألوف وهو يقول " أفهمتنتنتت الاااان لماذا قلت لك بأنه نـجـا؟ أراااأيست بنفسك؟ "

ثم سقطت أرضًا وأنا أغوص في غياهب اللاوعى.

لا أعلم كم مضى من الوقت ثوانى أم دقائق أم ساعات ولكنى ميزت بعض الأصوات بعد أن عاد وعيى تدريجيًا... شعرت وقتها بالآلم لا حصر لها في كل موضع في جسدى، حتى أنى غير قادر على رفع جفناى ولكن أذنى هذا الجندى الصامد المُصر على القيام بعمله لأخرمقى سمعت بعض الكلمات مثل "الله أكبرررر... مااا بسرررررعة... إنه يتنفس" بجانب نباح مستمر لعدد من الكلاب، بالطبع لم أتعرف على أصحاب هذه الأصوات... فتحت عيناي ملليمترات بجهد بالغ فتسلل شعاع الشمس إليهما لأغيب في إغماءة جديدة، لا أعرف كم دامت وحين عاد إدراكى ثانية سمعت جمل مثل (الحمد لله كُتِب له عمر جديد، أكثر من 70 ساعة دون ماء أو طعام تحت الأنقاض، لقد فقدنا الأمل في العثور على أحياء) وحين ابتعد مصدر الصوت فتحت عيني في إنهاكٍ بالغ، لأجدنى فى سرير مستشفى وكثير من المحاليل تتسلل إلى شرايينى، غير قادر على تحريك أى جزء من أطرافى وبدأت الأمور تتضح بعد أن عدتُ لجسدى.



إذن لقد اتمهت العمارة التي أقطن بها وأنا نائم، كانت حادثة مروعة تناقلتها وسائل الاعلام المرئية و المسموعة لعدة أيام لمتابعة أعداد المصابين والضحايا ولحسن الحظ لم تكن زوجتي وابنتي في البناية عند سقوطها بل كانت زوجتي في زيارة لوالدها. حمدًا لله على ذلك وحمدًا لله على عودتي.

دخلت زوجتي ومنحتني حضنًا افتقدته كثيرًا وطبعت العديد من القبلات على وجهي المغطى أغلبه بقطع من اللواصق الطبية وعلى رأسي المغطى بالشاش حتى شعرت بحرارة دموعها الصادقة تملأ وجهي وهي تحمد الله على نجاتي سالمًا لها ولابنتنا، ثم بصرت من وراءها سلمى طفلي المدللة، كم أفتقدتها هي الأخرى وأود لو تبقى بحضني عمراً بأكمله.

كدتُ أبكي فرحًا وأنا أراهما من جديد ثم تبعهما عماد بقامته الفارعة وجسده الممشوق وببزته العسكرية ووجهه الحلبيق دائمًا وشعره المنبت قليلاً فوق رأسه وابتسامة من القلب تملو وجهه وعينان تلمعان فرحًا قائلًا:

- أرعبتنا يا دكتور...لا تتركه يا جهان وحده في المنزل لاحقًا

فقلت بصوتٍ خفيض: "حمدًا لله أنها تركتني وحدي في المنزل"

- أقصد أنها ما كان يجب أن تتركك وحدك في البيت ... ليتها اصطحبتك معها

- قدر الله وما شاء فعل يا عماد

قالت جهان في رضا:

- الحمد لله يا سليم أنا كدت أموت حزناً بينما تتواصل أعمال الإغاثة..
فقد خرج جميع السكان ما بين جنث ومصابين حتى أنهم أعلنوا صعوبة
العثور على أحياء بعد ذلك... وقتها أخذني أبي إلى فيلته في المعادى رافضاً
بقائى حول الأنقاض. ولكنى كنت متأكدة من بقاءك حيًا لذلك طلبت من
عماد أن يبقى بجانب الأنقاض أو يبقى بعض جنوده على الأقل لإبلاغى
بأى جديد...

واصل عماد الحديث:

- لا يمكنك تخيل حجم المعاناة التى كانت تعانيها كانت تهاتفنى عشرات
المرات خلال هذين اليومين، فى الحقيقة لم أكن مصدقاً ما يدور، شعرت
أنه كابوس سنصحو منه فى أى وقت ولكن كان هناك لحظات أتيقن من
يقظتى فكنت أفكر بمشاركتهم أعمال البحث بنفسى لأنى قد وصلت لحالة
من الرعب من فكرة أنه لا يفصلنا عنك سوى كتل أسمنتية وجدران
متهدمة وقطع أثاث مهشمة.

- وهل توصلوا لسبب انهيار البناية؟

الصحافة تقول بأن العقار مال فجأة وانهار على السكان والتحقيقات
ترجح أن سبب السقوط هو أعمال الترميم فى الدور الأول وكذلك الأدوار
المخالفة التى بناها صاحب العمارة فى الشهور الماضية.. كل ذلك أدى إلى
سقوط العمارة، تواصلت عمليات الإنقاذ وتشكل فريق طبقى على مستوى
عالٍ بمكان الحادث لتقديم الإسعافات اللازمة للمصابين، وتواصلت جهود
الإغاثة من قبل رجال الإنقاذ والحماية المدنية، وتقرر التحفظ على ملف
العقار الموجود بالحى واستدعاء المسؤولين ومهندسى الإدارة الهندسية
بالحى لسؤالهم عن تلك المخالفات.

حكوا لى الكثير و الكثير عن الأوقات القاسية التى عانوها فى غيابى كيف مرّت وشبه الخوف يخيم عليهم حتى جاءت عودتى لتزيل الفرحه كل أحزان ومخاوف الساعات السابقة، وبرغم الألم الذى تسلل واحتل كل ذرة فى جسدى إلا إنى لا أنكر سعادتى بعودتى ورؤيتى لأسرتى، وجاء التقرير الطى ليوضح بأنى أصبت بارتجاج فى المخ أدى إلى دخولى غيبوبة طويلة وأنا بالفعل لا أذكر أتشئ عن هذه الحادثة فقد كنت نائمًا ولا أتذكر وجودى حتى تحت الأنقاض، كذلك يوجد العديد من الكدمات والسحجات فى الوجه والرأس تحتاج إلى غيار بشكل مستمر على الجروح.. أما النصبب الأكبر من الألم فقد كان فى ذراعى الأيسر، فقد حدث جرح قطعى نتيجة لاختراق أحد الاسياخ الحديدية لذراعى وجرح تمتهكى فى العضد وكذلك تمتهك فى الأنسجة والعضلات أدى إلى التهاب خلوى وحدوث عدوى بكتيرية نتيجة عدم تلقى العلاج المناسب فترة وجودى أسفل العقار مما استلزم وضع جبيرة داعمة للطرف العلوى بطول الذراع حتى تلتئم هذه الجروح بجانب وجود مضاعفات خطيرة فى الكلى نتيجة عدم تلقى أى طعام أو سوائل طوال هذه الفترة وأدى كذلك إلى ضعف عام فى حالة الجسد.. فقرر الأطباء بأنه لا خروج من المستشفى قبل مرور أسبوع على الأقل مع متابعة حالتى الصحية باستمرار بعد ذلك، وبعد أن استوعبت الوضع الذى أنا فيه وأنى نجوت بأعجوبة من موتٍ مُحَقَّق كنت فى وادٍ آخر.. لدهشتى وجدتى أتذكر كل صغيرة وكبيرة وقعت فى هذا العالم الآخر بالتفصيل.. لم أتصور أنى حال عودتى سأحتفظ بأى ذكرياتٍ من هذا العالم، فكما علمت بأن أناس كثيرون يذهبون لهذا المكان منهم من يعود ومنهم من يبقى حتى يتلاشى.. فهل جميعهم تذكر ما وقع له؟ أما أنا فقط من أتذكر؟ وإذا كانوا يتذكرون فلماذا قرر جميعهم الصمت؟ هل خافوا هم أيضًا من أن يتهمهم الآخرون بالجنون؟

أمر وارد بالطبع فما أسهل توزيع الاهتمامات هذه الأيام خاصة وأن حقيقة هذا العالم خارج نطاق المنطق، فوجدتني أتخذ قرارًا بعدم البوح بأي شيء يخص ساعاتي في هذه الأرض الغربية، فلم أجروء على الإعتراف بأي مما رأيت، لن يصدقني أحد.. أنا نفسي لن أصدق ذلك لو حكاه لي أحدهم، وكان كل من يسألني أجيب بأنى لا أذكر أي شيء كان الجميع يطاردني بأسئلته ونظراته بعدما انتشر خبر العثور علىّ حيًا تحت الأنقاض لهذه الفترة عبر وسائل الاعلام بما يُعد معجزة بكل المقاييس، لذا وجدت الكثير من الصحفيين ومراسلى القنوات في انتظار الحصول على سبق جديد للساعات المثيرة التى قضيتها تحت حطام البناية، ينتظرون منى أن أتاجر بالآمى وأستعرض قدراتي في البقاء حيًا ... ولكن كانت إجاباتي تصدمهم فلا يخرجون منها بشيء حتى كفوا عن إزعاجى بمساعدة أسرty الصغيرة الذين كنت أفتقدهم بحق... افتقدت كل أهلى وأحبابى وأصدقائى ، افتقدت كل التفاصيل اليومية التى لم أكن أكرث لها كثيرًا... قهوتى المعتادة، فراشى الوثير، الدُشّ الدافئ، البالطو الأبيض، ضحكات سلمى، دعوات مرضاى، جميعها أشياء بسيطة لكن تخيل إن فقدت أحدها للأبد، سيتعاضم احتياجك لها، وأنا كنت على وشك فقدان حياتى والبقاء عالقًا فى عالمٍ آخر، لقد وقعت فى الخط الفاصل بين الحياة والموت.. كنت قريبًا جدًا من الموت وكان هو حولى يحصد أرواح فى أليه رتيبة ولكنه لسبب ما غَضَّ بصره عنى.

ورغم أن الموت دائم الوجود وقريب جدًا لا يشكل الزمان والمكان والمستوى الاجتماعى فارقًا لديه، فإنه يعمل بجهد ومثابرة كفارس عادل ممتطيًا جواده، لا يتأخر أبدًا عن إنجاز المهام الموكلة إليه ولكننا ويا للأسف نتجاهله بنفس الإصرار والتحدى، وأنا كغيرى ما ألبث أن أتجاهله

مع أنه لا يتوانى في الإعلان عن نفسه كُلِّ حينٍ ولا يَكْفُ عن إحداث الضجيج اللازم للفت الأنظار ووضعه في المكانة التي يستحقها كحقيقة واحدة مؤكدة ولكنها منسية عن عمد لأننا بمنتهى الجحود والبرود نتناسى ونتشاغل ولا يمكن في ذاكرتنا إلا لدقائق معدودة نعود بعدها لدوانرنا الدنيوية المتداخلة فلا نمنحه الاحترام المستحق ولا الهيبة اللازمة... والأشد والأدهى من ذلك أننا نخترله في كلمات مجازية لا معنى لها ولا دافع يبررها فتراهم ينعتون أنفسهم والأخرين بأن أحدهم يموت غيظًا وآخر يموت كمدًا وثالث يموت عشقًا ورابع يموت ألمًا وخامس يموت شوقًا وسادس يموت ندمًا وسابع يموت خوفًا وهكذا مع مجموعة لا نهائية من الأفعال التي لا تتماشى مع حقيقة الموت بل على العكس جميعها يتفق مع كينونة وأطوار الحياة ما بين العشق والألم والندم والشوق والخوف أما الموت نفسه هذا الفعل الذي لا نعلم الكثير عنه سوى أنه انتقال الروح من عالمنا إلى عالمٍ آخر مجهول تمامًا مع فناء حتمى للجسد، فإننا أجهل ما نكون به.. فهذا الفعل لم يعد أحدهم من الجانب الآخر ليروى لنا كيفية وقوعه، أو حقيقة وجودنا بعده.. هل سنعود لنفس الحالة التي كنا عليها قبل الميلاد؟ أم أن ميلادنا هو في الأساس موت لحالة كنا عليها.. وبالتالي بعد موتنا هناك ميلاد جديد لحالة لا نعلم عنها شيئًا.. فقط توقعات وتخمينات دون شهادة حقيقية غير معلومات بسيطة وردت في الأديان السماوية.. وأنا برغم عملي كطبيب واعتيادي على مشاهدة لحظات ميلاد حيوات جديدة وأنفس وليدة ولكنى شعرت بأنى أولد من جديد وأنى نجوت من الموت بأعجوبة وهو نفس إحساس كل أم بعد الولادة أنها نجت من الموت لأن الله أراد ذلك... فحجم الألم الذي تتعرض له أثناء الولادة يفوق طاقة أشد الرجال ولكن يُكتب لها الحياة لترى حياة جديدة تولد بينما كانت هي مقبلة على الموت بصدرٍ رحب.

حين استرجعت ما دار راودنى الشك للحظات أتى وقعت تحت وطأة الإضطرابات العقلية وربما الهلاوس نتيجة للحادث الذى تعرضت له. ربما اختلق خيالى هؤلاء الأشخاص وتلك الأحداث، ربما كان حلمًا طويلًا مزعجًا، ولكن أئى خُلِّم هذا الذى يبلغ ذاك الطول وتلك التفاصيل، وفجأة انقضت على بعض الأسئلة كالوحش حين ينقض على الفريسة لقد انهارت البناية بالكامل وسقط العديد من الضحايا والمصابين فلماذا لم أرى غيرى فى هذا المكان؟ هل كانوا هناك ولم أرهم أم لم يصلوا أصلاً؟ وإن كانوا وصلوا هل يتذكرون ما شاهدوا؟ هل من يعود يتذكر مثلى؟ لقد وصلت لبعض الإجابات ومازلت أبحث عن إجاباتٍ لأسئلة لا تنتهى، يبدو أنى على حافة الجنون، لم أكن متأكدًا من شىء، لهذا نويت البحث حول كل ما دار وكل ما شاهدته بعينى.

وبرغم الكثير من الإصابات والكسور والجروح، ولكن كما أخبرنى الأطباء بأنها أيامٌ قليلة مع الرعاية الطبية ويمكننى بعدها العودة إلى حالتى الطبيعية وممارسة حياتى بشكلٍ عادى. وحين بدأت استرد جزءًا كبيرًا من صحتى، كنت أخاف النوم خشية أن أذهب ثانية لهذا العالم الغامض، ولكن فى الساعات القليلة التى أنامها لم يعد النوم راحة لى كما كان قبل الحادث، كنت أرى حسن وصفاء... أحيانًا يضحكان وأخرى يبكيان وأبكى أنا الآخر حالهما، وأتساءل هل عادت صفاء مثلما عدتُ وتركت حسن وحيثًا أم لم تعد كما أراها فى منامى؟

كان من الصعب مواصلة حياتى وَعَظَّ الطرفِ عَمَّا عَشْتَهُ ورأيته طوال فترة وجودى تحت الأنقاض، فبعدما تحسنت أحوالى قليلًا وانتقلنا للعيش فى فيلا والد زوجتى حين أعدوالدها غرفتين مجهزتين واحدة لنا أنا وزوجتى وأخرى لابنتنا، بدأت رحلة بحثى للتأكد من بعض الأمور وحل

بعض الألفاظ. وفي ذاك الحين وقبل أن أسلك هذا الطريق كانت تراودني فكرة مجنونة بإلحاح غريب.. حتى استيقظت في صبيحة أحد الأيام عازماً على تنفيذها.. أخبرت زوجتي بسفري إلى الشرقية لزيارة أقاربي بشأن أمر مهم كما أخبروني.. في البداية طلبت مني أن أعتذر بسبب وضعي الصحي فأخبرتها بأنهم حتى الآن لا يعلمون شيئاً عن الحادث وأن هذه فرصة جيدة لإطلاعهم على ما حدث ومعرفة ذلك الأمر الذي يريدونني فيه.. لم تكن علاقتها بهم وطيدة ولا مجال لكشف كذبتى وامتثلت لرغبتى على مضض واتجهت بالسيارة إلى الشرقية دون الذهاب إلى أقاربي كما أخبرتها ولكني قصدتُ مكاناً لم أزره منذ فترة طويلة وشعرت بحاجة عظيمة لزيارته والمكوث فيه قليلاً.. كنت بحاجة لزيارة قبر والدي.. دلفتُ إلى باب المقابر بعد أن طرقت عدة طرقات ففتح لي غلام صغير توقعته بأنه ابن حامد اللحد وصدق توقعي.. فما أن رأني حامد حتى رحب بي في مودة مصطنعة مستفسراً في قلق مصطنع عن سر هذه الإصابات والجروح في وجهي ويدي وكذلك العرجة الواضحة في خطواتي، فأبلغته بأنه حادث سيارة بسيط.. فنظر إليّ مستفسراً دون كلام عن سبب الزيارة فقلت له باختصار:

- أريد الجلوس قليلاً عند قبر والدي

فنظر إليّ مندهشاً من طلي المفاجيء ولكن لم يدم اندهاشه كثيراً، لأنني في نفس الوقت وضعت يدي في جيبي مُلَوِّحاً بورقة من فئة الخمسين جنبها فصاح على الفور "تحت أمرك يا دكتور.. تفضل، تفضل.. تعيش وتتذكر يا دكتور.. ربنا يرحمه ويجعل مثواه الجنة" ثم أحضر عدة مفاتيح وتبعته إلى الداخل حيث قام بفتح الباب المؤدى للحوش الخاص بمدافن العائلة ثم مشينا بخطوات متأنية إلى قبر جدي ووالدي وما إن وصلت حتى وقفت



لأقرأ الفاتحة ثم نظرت إلى حامد التُّرْبِيّ الواقف بجاني وأخرجت من جيبى ورقة مالية أخرى من فئة المائة جنيهه مناولاً إياها له.. فوجدته يبتلع ريقه ناظرًا إليها بعيون متسعة جاحظة ثم قلت في ثقة بعد ما شاهدتُ وقع النقود عليه:

- أريدك أن تحضر أدواتك وتفتح هذا القبر يا حامد... فاندھش من طلى هذا قائلًا:

- لماذا يا دكتور.. خيرًا إن شاء الله؟ فأخرجت ورقة أخرى من نفس الفئة قائلًا:

- بدون لماذا يا حامد... ممكن؟

فأخذ الورقة الأخرى بسرعة وهو يردد: طبعًا يا دكتور أنا أريد الاطمئنان فقط.. ثوان سأحضر العدة وأفتحها حالًا.. كما توقعت.. المال دائمًا يكمم الأفواه ويخرس الألسنة ويغمض العيون ويسكت الضمائر.. خاصة مع هذه الفئة من البشر التي لم تنل قسطًا كافيًا من التعليم ولم تحظ بمكانة اجتماعية جيدة... فلا تجد سوى المال سندًا وحصنًا لها في حياتها يجمع منه ما يستطيع بكل وسيلة ممكنة.. لن أظلمه لو ظننته شهيد وأقدم على ما هو أغرب من طلى بفتح مقبرة في وضح النهار دون سبب واضح وقد رضخ لهذا الطلب الآخر من أجل حفنة جنيهات أو عدة ورقات من فئة المائة جنيه.. وأنا كطالب في كلية الطب سابقًا وطبيب حاليًا أعلم تمامًا بأن معظم المنتمين لهذه المهنة دخلهم الأساسى ليس من عمليات الدفن التي تتم تحت سمع وبصر من الجميع ولا حتى من الزيارات في المواسم المعروفة ولكن دخلهم الأساسى يعتمد على تلك الصفقات التي تتم سرًا مستترة بعباءة الليل بمقابل مادي أكبر.. طالب يبحث عن جثة

لتشريحها.. تاجر أعضاء بشرية يبحث عن قطع غيار طازجة.. هذا بالإضافة إلى بعض الأمور الأخرى الأكثر دناءة التي تقشعر لها الأبدان وتشمئز منها الأنفس.. لا أعلم لماذا استحضرت كل هذه الصور بينما أقوم بمنحه هذه النقود.. كنت بداخلي أكنُّ له احتقارًا كبيرًا في هذا الشأن رغم سابق علمي به ورغم استئمان أعمامى وأقاربي له، ولكنى فقدت كل هذه الثقة بمجرد ما سال لعباه لأقل من ثلاثمائة جنيه.. ماذا لو عُرض عليه أكثر؟ لربما أفرغ محتويات هذه المقابر والمقابر المجاورة إن أمكن دون مراعاة لأمانة أو حرمة موت.. لم أندعش فالجهل والجشع يعلان أكثر من هذا.. ولوهلة سألت نفسى وما أدرانى بأنه لم يتصرف فى جسد والدى وبقى أقاربي؟ كيف يمكننى التاكّد؟ هل من سبيل إلى ذلك؟ ازداد حنقى أكثر وأنا أتخيله يقول فى نفسه "يا للمسكين يظن أن أباه وأهله ما زالوا هنا، ولا يدري أنهم فى الليلة التالية لموت أغلبهم كانوا صفقة مريحة لى ولآخرين" .. وقتها شعرت برغبة عارمة فى خنقه ونهش رقبته بأسناني حتى خُيل لى للحظة بأن دمانه تلوث فمى وأسناني وبأنه جثة هامة بين يدي.. لا أعلم سر الراحة التى انتابتنى وأنا أتخيل ذلك.. فلم أكن يومًا دمويًا أو عنيفًا حتى بعددراستى للطب.. صحيح أنه جعلنى أكثر جرأة وإقدامًا من ذى قبل وجعلنى معتادًا على مشاهدة الدماء ولكن ليس إلى هذه الدرجة.. لا أعلم هل السر فى ذلك تلك التجربة المريرة التى مررتُ بها تحت الأنقاض؟ هل هذه التجربة خَلَفَتْ لى نعمة على كل من لا يحترم هيبة وجلال الموت؟ لا أدرى.. عدتُ لرشدى وطردت هذه الأفكار الدموية من رأسى خاصة وأنى لا أملك دليلًا ماديًا على تلك الشكوك.. ظللتُ أحقد به وهو يقوم بكل خفة ومهارة بالحفر فى الموضوع المطلوب حتى بدت درجات سلم تقود إلى داخل القبر.. سرت فى جسدى قشعريرة ما أن رأيت ذلك وشعرت بدوار بسيط غير مصدق بأنى فعلتها يومًا وتركت أبى هنا وحيدًا

في هذه الظلمة وهذه المساحة الضيقة.. كيف طاوعنى قلبى على ذلك؟ وبدأت الدموع تتأرجح فى مقلتى؟ وأنا أتخيله ينادى علىّ ولا أسمع.. يصرخ بأعلى ما فى صوته.. ربما كان لديه المزيد من الوصايا.. الكثير من النصائح.. العديد من الأمنيات ولم يمهلها القدر لإبلاغى بها خاصة وأنى لم أكن معه فى لحظاته الأخيرة.. بل أخبرونى فى الهاتف باشتداد المرض علىّ أبى ورغبته فى رؤيتى..فاتجهت مسرعاً إلى بلدتنا فى ساعتين مروا علىّ عامين.. وحين وصلت أخبرونى والدموع تبوح بما لم يقو عليه اللسان.. فهرولت إلى غرفته وأنا أرتى فى حضنه الذى لم يكن دافئاً كعادته بل وجدت جسده المُسجى أمامى بارداً يغطيه ملاءة بيضاء من إخمص قدميه حتى أسفل ذقنه.. بكيتُ حتى بَلَّتْ دموعى وجهه ولحيته الخفيفة البيضاء، والآخرى يشهبون بالبكاء من حولى.. منهم من يحاول جذبى ومنهم من يربت على ظهرى وكتفى.. حتى جذبونى إلى خارج الغرفة وأنا أستمع إليهم وهم يَعْدُونَ العُدَّةَ لتغسله وتكفينه ومن ثم دفنه.. وأحدهم يصبح مُستعجلاً ومُحَسِّساً للآخرين:

- هيا يا رجال نريد ألا نتأخر.. ويردد فى إصرار "إكرام الميت دفنه"، مشهد لن أنساه ما حييت، وقد استرجعته كاملاً بينما أقف على قبر والدى.

سامحنى يا أبى.. أتذكر حنانك ورعايتك وحبك لى بشكل أعجز عن وصفه وأدعوك فى كل يوم ومع كل صلاة وأذوب شوقاً لرؤيتك دقيقة واحدة وأحيا على أمل واحد هو ما يَهْوُنُ علىّ ألم الفراق.. أمل لقائى بك أنت وأمى ليس على هذه الأرض ولكن فى جنة عرضها كعرض السماوات والأرض، ورغم ذلك سأفر كالأرنب المذعور يوم ألقاك تطلب منى حسنة.. لا أدرى كيف سأفعلها ولكنى متيقن من وقوعها.

شردت ببصرى سابقًا في الخيال أرانا مجتمعين سويًا فابتسمت من قلبي.. ولكنى تذكرت تلك الجملة التى ترددت في أذنى مرات ومرات (إكرام الميث دفنه) ما أصل هذه الجملة؟ وما المقصود بها؟ وسؤال آخر أهما ماذا لو لم يتم دفنه؟ ما النتائج المترتبة على عدم الدفن؟ كلها أسئلة تحتاج لتوضيح وإجابات شافية أتمنى أن أعثر عليها.

نظرتُ حولى فلم أجد حامد اللحاد.. يبدو أنه انصرف عندما رأتى على هذه الحال.. ووجدتُ بجانبى كرسيًا خشبيًا يصلح بالكاد للجلوس يبدو أنه من أحضره.. عدتُ من جديد أتحمس أشعة الشمس التى تغمرنى من كل اتجاه فشعرت بالحياة تدب في أوصالى رغم أنى كنت موشك منذ أيام على فقدها.. ويا للسخرية فقد كانت أعلى أمنياتى إن لم أعد حيًا أن يجدوا جثتى سريعًا وأن يلقوا بى في هذه الحفرة لألحق بأبى وأجدادى وأفر من المصير الأسود في هذا العالم الغريب إلى مصير أشد غموضًا ولكن الجميع يؤول إليه في النهاية.. كلاهما غامض ولكنى في هذه الحالة وجدتنى أفضل مبدأ غريب بعض الشيء وهو (الذى أظن أنى أعرفه أفضل من الذى على وشك التعرف عليه).

حقيقة كنت بحاجة للهدوء ومنحنى هذا المكان الهدوء المطلوب والسكينة المرجوة.. وكنتُ بحاجة للتأمل في الحقيقة الغائبة عن الأذهان بأن هذا المكان هو المصير بعد عمرٍ لا أعرف مقداره ولكنى قادم إليه بِحُطْيٍ ثابتة.. كل خطوة تبدأ بشروق شمس يوم جديد ولا أشرع في خطوة أخرى إلا بعد غروبها وهكذا إلى أن تحين لحظة غروبي أنا الآخر.. ناديتُ على حامد ليعيد كل شيء لمكانه متناسيًا أنى كنت واقع تحت رغبة شديدة في قتله منذ قليل وتركته واضعًا في كفه ورقة بحركة لا إرادية.. ورقة مالية أخرى لم انتبه لقيمتها ولكن نظرته وَشَت بقيمتها.. ثم انصرفت وقد



حققت أهدافي من هذه الزيارة، وهي رؤية هذا المكان الموحش الذي سيضم جسدي بعد موتي إن أجلاً أو عاجلاً والذي كان منذ أيام أملى في الخلاص من جحيم العالم الآخر حين يعثرون على جثتي ويدعوها في باطن الأرض لأبدأ رحلة أخرى نحو حياة جديدة ليس بالضرورة أن يكون الجحيم فيها هو المصير، بل ربما ينتظرنى نعيمٌ لم يخطر على قلبٍ بشر. وقتها أدركت أن الموت ليس مُخيفاً إلى هذا الحد، المخيف بحق هي اللحظة التالية له التي سيعود فيها إلى وعيه فهي اللحظة الفاصلة إما نعيم أو جحيم لا بين بين.

بعدها عدتُ إلى القاهرة لأبدأ رحلة بحثي للكشف عن حقيقة ما شاهدت بينما جسدي يرقد تحت الأنقاض.



110

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية

انضموا لجروب ساهر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
sa7eralkutub.com او زيارة موقعنا



لا بد وأن النهاية أهم بكثير من البداية

111

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية

انضموا لجروب ساحر الكتب
fb/groups/Sa7er.Elkotob/
sa7eralkutub.com او زيارة موقعنا

(بعدها عُدتُ إلى القاهرة لأبدأ في رحلة بحثي للكشف عن حقيقة ما شاهدت بينما جسدى يرقد تحت الأنقاض)

كانت هذه آخر جملة قرأها شريف وعيناه متسعان عن آخرهما بعد أن طوى هذه الورقات التي كتبها سليم صديقه بخط يده في هذه الأجندة التي وجدها شريف في درج مكتبه الأخير حين قام بزيارة عبادة سليم. حين وجدها شريف حسبها لتسجيل المواعيد أو للتذكير بالمناسبات المهمة ولكن حين تصفحها في العبادة وجد بها بعض الجمل التي توضح كونها مذكرات بخط يد سليم ومن الواضح أنها كانت على درجة من الأهمية لأن سليم وضعها في الدرج الأخير المغلق بالمفتاح مما يعنى أن سليم لم يكن يريد لأحد أن يطلع عليها ولكن في هذا الظرف لم يجد شريف بُدًا من التعرف على ما كان يجول بخاطر سليم في الفترة التي تلت حادثة انهيار مسكنه وسبقت اختفاؤه.. فحمل الأجندة معه إلى البيت كي يقرأها بعناية عسى أن يجد فيها ما يشير إلى مكان سليم أو أى معلومات تُفيد وتحل لغز اختفاؤه بهذا الشكل، ولكنه لم يتصور أبدًا أن يجد بها هذه الحكاية العجيبة التي يرويها صديقه بمنتهى الصدق والإيمان كما لو أنه عاشها فعلاً.. في الحقيقة إن كل كلمة قرأها توحى بالصدق وتشير لمعاناة كاتبها ومحاولة بحثه الوصول للحقيقة والحصول على إجابات واضحة لأسئلة مثيرة.. ولكن أيضًا ما يرويها صديقه في مذكراته أقرب ما يكون للمستحيل ويتحدى المنطق بشكل سافر.. بحكم الصداقة يعلم أن سليم قارئ جيد مثله فقد كانت هواية قديمة مشتركة جمعتهما سويًا، ولكن لم يعرف أبدًا

عن سليم بأن لديه مهارة الكتابة بهذا الشكل غير بعض المحاولات الشعرية المحدودة غير الناضجة أثناء الدراسة الجامعية.

كان من الصعب على شريف تصديق ما قرأه بقلم صديقه، وظن في البداية أن سليم قام بمزج حادثة حقيقية هي حادثة سقوط البناية ووجوده تحت الأنقاض ساعات طويلة بأحداث أخرى خيالية لا يمكن قبولها عقليًا ونسج منها خيوط رواية جيدة جاذبة مشوقة ولكنه لا يجد تفسيرًا مقنعًا لإقدامه على ذلك.. وأثناء قراءته لتلك السطور التي خطها سليم حاول تقبل الأحداث على أنها حقيقة بسبب دقة التفاصيل التي رواها سليم عن أسرته وأهله وعمله والحادثة التي أصابته، وما تلاها من متغيرات ولكن شيئًا ما في عقله يخبره بأن ذلك مستحيل ويُعدُّ دريًّا من دروب الخيال.. لأنه كحقيقة مفروغ منها لا يوجد ما أسماه سليم عالم الأوجاع أو عالم النسيان أو الأرض الغربية التي وصفها سليم بشكل تفصيلي كأنه يراها رأى العين.. فهناك كثير من الكُتّاب اختلقوا عوالم لا وجود لها في إطار درامي تشويقي وكثير من المخرجين نقلوا هذه الأعمال الأدبية إلى شاشة السينما مع كثير من المؤثرات البصرية ولاقت نجاحًا عظيمًا لدى المشاهدين.. ولكنها تظل أعمالًا إبداعية خيالية لا يجرؤ أحد على التظاهر أو القول بأنها حقيقة أو أنه قد جال في هذه العوالم، وإنما هذه العوالم من نسج خيال خصب لمبدعين كُثُر قد يكون سليم صديقه أحدهم.

ولكن في الأحداث التي قرأها شريف لاحظ أن سليم يصف حياته بدقة دون مواراة أو مداراة بل ويذكر أسماء زوجته وابنته وزوج أخته حتى حياته في الشرقية لم يخفها سليم.. بل حتى حامد الثرّبي الذي يعرفه شريف جيدًا جاءت سيرته في الأوراق وهو يعرف جيدًا حقيقة مشاعر سليم تجاه تلك الفئة من البشر.. حجم الصدق الذي بدأ في المذكرات

جعل شريف واثقًا بأن سليم مازال يعاني من جراء حادثة سقوط البناية وأنها تركت به عظيم الأثر.. لذا كان يبقى في العيادة لأوقات متأخرة كي يدون في هذه المذكرات تلك الأحداث وينفث هذا الكم من السجائر الذي كان سعد مساعده يجده في اليوم التالي، ولكن ماذا لو كان تأثير بقاءه تحت الأنقاض لم يقتصر على بعض الإصابات والجروح؟ ماذا لو كان تأثيرها امتد إلى عقله وجعله يبيئ له أمورًا غير حقيقية؟ ماذا لو كان ما يصفه سليم في مذكراته ليست أحداث خيالية أو رواية يكتبها؟ ماذا لو كانت هلاوس وترهات من أثر الحادث ويظنها سليم حقيقة؟ لو أن الأمر كذلك فإن سليم في ورطة كبيرة لأن في هذه الحالة لم تعد إصابة سليم إصابة جسدية ولكنها نفسية أكثر.. إنه يتحدث عن موتى ومفقودين قابلهم وحادثهم وارتبط بهم، بل وينوى التأكد من مدى حقيقتهم على أرض الواقع.. ما جاء في المذكرات يؤكد بأن سليم نفسه ليس متأكدًا من حقيقة ما شاهد وآخر جملة تؤكد ذلك بمنتهى الوضوح.

بمزيد من التركيز واسترجاع سير الأحداث في الفترة الأخيرة بدأ الآن شريف يفهم لماذا صار سليم قليل الكلام مع زوجته وأصبح أكثر انعزلاً وميلاً للوحدة حتى أنه لم يعد يهتم بالتواصل معه كما في السابق.. لاشك أن تلك الأمور التي تَحَدَّثُ عنها سليم أضحت هي الشغل الشاغل له، ولم تفارق مخيلته وقد أخذته بشكل أو بآخر من المحيطين به وقد لاحظ الجميع ذلك حتى شريف نفسه الذي كان خارج البلاد في هذا الوقت..

استبعد شريف الآن احتمالية كتابة سليم رواية يمزج فيها بين الحادث الذي تعرض له وبعض الأمور غير المنطقية مثل زيارته لعالم مجهول لا يعرف أحدًا عنه شيئًا.. وعليه الآن أن يجيب على سؤال غاية في الأهمية هل ما رآه سليم أو ما يظن أنه رآه سببه عضوى أم له تفسير نفسى؟ من الواضح أن سليم حتى السطور الأخيرة لم يجد إجابة بل وسجل بأنه

سيبدأ البحث للعثور على إجابة وليفهم حقيقة ما شاهد.. تُرى هل تحمل له السطور والصفحات القادمة إجابة وافية أو على أقل تقدير توضيح سبب اختفائه بهذا الشكل؟ ولعلها تنبئ عن مكانه أيضاً.

كان الليل قد انتصف وقد بدا على شريف الإنهاك من أثر التركيز مع كلمات صديقه ولكنه لا يريد أن يسقط أسيراً للنوم.. لذا اتجه إلى المطبخ لعله يجده ما يعينه على السهر والتركيز فقد كان في أشد الحاجة لفنجان من القهوة ليجدد نشاطه ويمنح عقله الهقطة اللازمة لقراءة كل كلمة كتبها صديقه بتركيز وإمعان، فربما يستشف من بين السطور ما لم تخبر به الكلمات صراحة.. فحتى لو أن سليم أصيب بمرض ما نفسى أو عضوى من جراء تعرضه للحادث وبقاءه فترة طويلة تحت الأنقاض وكان قاب قوسين أو أدنى من الموت.. فإن كلماته الصادرة ببساطة وتلقائية قد تكون عامل مساعد جيد في الوصول لتشخيص المرض والبدء في رحلة العلاج.. وأثناء إعداده القهوة شعر بإشفاق شديد تجاه صديق عمره.. شعر بمدى المعاناة التي لاقاها صديقه ليس فقط في أثناء الحادث والساعات الطويلة التي قضاها تحت الأنقاض ولكن أيضاً بعدها والأوقات العصيبة التي عاشها سليم ويحكى عنها تفصيلاً في تلك الأوراق.

"تُرى أين أنت يا سليم؟ كم أفتقدك يا صديقى " كانت تلك الكلمات نابغة من داخله وتردد بذهنه في قلق حقيقى أطار من عينيه النوم، فبدأ في غير حاجة لفنجان القهوة الذى صار جاهزاً وأصبح شريف أكثر لهفة لمواصلة قراءة الصفحات المتبقية من أوراق صديقه. وشرع يقلب الصفحات حتى وصل إلى المكان الذى توقف عنده وبدأ في قراءة صفحة جديدة بشغف.. فقد تحمل له أخباراً ومفاجآت جديدة.



116

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية

انضموا لجروب ساهر الكتب [fb/groups/Sa7er.Elkotob/](https://www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/)
sa7eralkutub.com او زيارة موقعنا



أنا اتلهيت وخذل زندي
مانيش لا عنتر ولا غاندى
إن كانت الغلطات من عندى
يكون فى عون اللى عملها

بيرم التونسى

بعد الزواج تغيرت حياة منصور كثيرًا وصارت الصفة الأبرز لوصف هذه الحياة هي التناقض الفج بين حياتين متضادتين يعيشهما.. كلاهما منفصل ومختلف تمامًا عن الآخر.. حياة ليلية لا يدري أحد عنها شيئًا تنغص عليه أيامه وتذيقه أقسى درجات العذاب والاشمئزاز.. يسعى جاهدًا كي يداربها ويخفي وقعها عليه بالأخص أمام زوجته.. حياة يقابل فيها يوميًا المسوخ والشياطين بل ويقوم بخدمتهم والتي لا يتصور أحد مدى بشاعة هذه الخدمات التي يقدمها دون مقابل ولكنه عقاب موروث لم يكن له يومًا ذنبًا فيه، وحياته الإجتماعية والعملية والتي طرأ عليها الكثير من مسببات السعادة والتي يشهدها الجميع من حوله، بل وصار موضع حسد من زملائه وأصدقائه بعدما تحسنت الأمور بشكل جذري وكبير.. فقد منحه هذا الزواج راحة نفسية ودفنًا أُسرِيَ افتقده منذ وفاة والدته تلاها وفاة والده بعد أن استحالت حياته عذابًا متواصلًا لا ينتهي.. منحته منال كل السعادة والهدوء والثقة.. فقد أحبته بصدق وبإدائها نفس المشاعر وكان كلاهما للأخر طوق نجاة ووصفة ممتازة للخلاص من ألم نفسى يعتمر قلبهما مع اختلاف ظروفهما.. شهدا معًا أجمل أيام عمرهما وأسعد لحظاتها لم يشبعا أبدًا من الحب نتيجة لظماهما الدائم لبعضهما البعض.. حالة فريدة من العشق المتبادل أرادت منال أن تُؤجِّبها بطفل تُسعدُ به قلب زوجها وتروى عطشها لهذه الغريزة المتأصلة في أعماقها ولكنها تعلم استحالة ذلك.. كثيرًا ما صارحت منصور بهذه الرغبة مقدمة له اعتذارها عن كونها لم تستطع أن تحقق له هذا الحلم الذى يتمناه كل رجل بأن يصير أبًا.. ولكن منصور يغمرها بحنانه طالبًا منها عدم التفكير في هذا الأمر مجددًا.. فقد وهبها الله سعادة تملأ بيتهما،

ولكن لم يكن هذا الكلام كافياً لها.. أما منصور على الرغم من رغبته المستترة هو الآخر كي يصبح أباً ولكنه تمهياً نفسياً لاستحالة حدوث ذلك، ولكنه لم يكن يعلم بأن الأنثى متى وضعت أمراً في بالها فإنها ستبذل أقصى ما في وسعها للوصول إليه، وبالفعل عاودت منال التردد على عيادات الأطباء دون علم منصور.. علمت أن الأمل ضعيف فظلت في سعيها ولم تُرد أن تشرکه في سعيها الحثيث نحو الإنجاب كي لا يمتى نفسه بذلك ثم يتيقن باستحالة حدوثه. كان خيطاً واهياً أرادت أن تتبعه حتى النهاية، حتى إذا ما انقطع في وسط الطريق، تكون الصدمة من نصيبها وحدها.

مرت الشهور وزياراتها للأطباء تتوالى.. زارت العديد منهم وجريت الكثير من الأدوية حتى أبلغها أحدهم بأن الأمل موجود لكن ضعيف.. فتابع معها الحالة وفي كل مرة تزور الطبيب تخبر زوجها بأنها في زيارة لوالدتها حتى هلت البشائر حين لاحظت تأخر الحيض لفترة أطول من المعتاد، لم تُعبر الأمر اهتماماً كبيراً حتى زاد الوقت الى الحد الذي لا يسمح بالتجاهل، فما أن زارت الطبيب حتى زَفَّ إليها الخبر السعيد بأنها حامل في الشهر الأول وعليها أن تحافظ على هذا الحمل لأن فُرَصَ سقوطه أقوى من احتمالات بقائه.. حملتها الفرحة على جناحين من البهجة وأخبرت زوجها بأنها في حاجة إلى إجازة طويلة من العمل لشعورها بالإجهاد وحاجتها للراحة، فوافق على الفور عقب إبلاغه وسعى لها للحصول على هذه الإجازة التي بلغت 3 أشهر حتى تضمن استقرار الحمل.. كانت خلالها تتبع تعليمات الطبيب بكل حذر ودقة مبتعدة عن كل ما يسبب لها الإجهاد والتعب وحين بلغ الحمل منتصف الشهر الثاني رأت ضرورة إبلاغ منصور بحدوث الحمل ومشاركته إياها السعادة التي تحياها على أمل الحصول على طفل



يرعياه سويًا ليكون ثمرة حب أبدى ربط قلبيهما.. وبالفعل ذات مساء عقب تناوله للغداء ومشاهدته للتلفاز.. طلبت منه بإيماءة من رأسها أن يلحق بها على غرفة النوم فما كان منه إلا الإستجابة وعلى وجهه تتشكل ابتسامة تعكس نوعًا خاصًا من الجبور.. وما إن لحق بها حتى ألقت بنفسها في أحضاناه.. فتلقفها في سعادة فهمست في أذنه:

- بارك لى يا منصور

فامسكها من كتفها وتطلع لوجهها الصبوح والبسمة تتسع على وجهه قائلًا:

- ألف مبروك يا حبيبتي

- الله يبارك فيك يا حبيبى.. ومبروك لك أنت أيضًا

فمال رأسه على عنقه مستفسرًا.. فصرخت في سعادة وهي تقول:

- ستكون أبًا يا منصور وسأصبح أمًا يا حبيبتي

فتحول وجهه مائة وثمانين درجة من ابتسامة ملء الشفتين إلى وجه عبّوس حتى ظنت أنها لو كانت تحمل إليه نبأ وفاة والده ما بدا بهذا المنظر.

وقف الكلام في حلقه وهو يقول:

- كيف؟

فأجابت وهي محافظة على ابتسامتها الودودة:



- بدون أسئلة يا منصور لقد أذن لنا الله وقدر لنا أن نتشارك طفلاً يملأ علينا حياتنا
- ولكنك تعلمين جيداً بأن صحتك لا تحتمل؟
- لذا طلبت الإجازة يا منصور
- أتعلمين منذ فترة؟
- نعم يا حبيبى وأردتُ أن أفاجنك بهذا الخبر السعيد ولكنك تبدو مصدوماً

بدأ منصور ينتبه لردة فعله وحاول التظاهر بالسعادة لكن محاولته لم تفلح، فاحتضنها وفي عقله خيول ترمح يجر كلاً منها حفنة من الأسئلة حتى كادت حوافرها تفتك بخلايا عقله.. نظرت إلى وجهه فوجدته مكفهرًا وزالت فرحتها بينما تراه شاردًا فعاتبته في حنان وهي تضع أصابعها برفق على خده الأيسر:

- ماذا بك يا منصور؟ ألم تُردِ بأن يهبنا الله طفلاً نمنحه حبنا ونوليه اهتمامنا ويكون سنداً لنا؟ فعاد من شروده قائلاً:

- بالطبع أردت

- إذن لماذا أراك غير سعيد؟

- أنا فقط خائف عليك يا منال.. أنتِ معي ولا أريد غير ذلك.. تعلمين مدى خطورة هذا الحمل على صحتك.

- طفل واحد يا منصور سأرعاه بداخلي.. وأحافظ على حياتي لأجله ولأجلك يا نورعيني.. لا أريد سوى أن أكون أمًا وقد وقع الحمل أخيرًا لأن

القدر يمنحنا المزيد بوجوده.. فلا نبخل نحن على أنفسنا.. كنت أظنك ستطير من الفرحة بمجرد علمك.

ابتسم منصور نصف ابتسامة وهو يراها متحمسة سعيدة لهذا الحدث ثم احتضنها بقوة كي لا يحرمها من تلك السعادة التي تغمرها.. ففى الأحوال العادية والظروف الطبيعية ربما يصبح أكثر سعادة منها بمجرد علمه بذلك.. ولكن لأنه وحده يعلم تلك اللعنة التي يحملها والمعاناة التي يلقاها كل ليلة.. فلا ينقصه أيضاً عبء تأنيب الضمير كل ليلة ومعايشة نفس الحالة التي انتابت والده لسنواتٍ طَوَالٍ في انتظار إخبار ابنه بكارثة لا تُحتمل، تُجِلُّ حياته كابوساً لا ينتهى إلا بموته. كان يريد لهذه اللعنة أن تنتهى بموته لا أن يحملها لذريته حتى لو كان ولدًا واحدًا.

مرت الأيام بعد ذلك بطيئة بعض الشيء ولكن ما يَهْوُنُ عليه هي الفرحة التي يراها في عيون زوجته وهي تعتنى بنفسها وتخطط للشهور الأولى في حياة مولودها وما تنتوى شراءه وإعداده له وأنها في انتظار أن تعرف من طبيها بعد أسابيع قليلة نوع المولود كي تبدأ في تجهيز وشراء احتياجاته، كان يسمع حمددا الدائم للنعمة التي مَنَّ اللهُ بها عليها فلا يجد بُدًا هو الآخر من حمد الله على نعمه التي لا تعد ولا تحصى وأهمها زوجته التي وهبته سعادة لم تخطر له على بال.. وكان كذلك يتظاهر بالسعادة ويفكر هو الآخر بأنه لا بد من حكمة لا يعلمها لوقوع الحمل في هذا التوقيت ويؤمن نفسه بأن يكون القدر رقيقًا به فيكون هذا الجنين أنثى.. وقتها بالفعل سيكون أسعد والد بمولودته وسيكون أحن أب لأنه لم يُحرَم من الأبوة ولن يورثها لعنته.. لأن اللعنة من نصيب الذكور فقط من ذرية جده.. أمنية جديدة لا يعلم إن كان القدر سيستجيب ويحقق له هذه الأمنية أم لا وعليه الانتظار.

انقضى الشهر الثانى من الحمل دون مشاكل وبدأ الثالث وكانت تداوم على زيارة الطبيب فى مواعيد منتظمة للاطمئنان على صحة الجنين وكانت وصية الطبيب الأولى والأخيرة لها أن تلزم الراحة التامة وأن تتخلص من كل الأعباء الجسدية والنفسية كي لا يؤثر على صحة الجنين، وكانت بطبيعة الحال ملتزمة أشد الالتزام بنصائح الطبيب وكان منصور يقوم بكل صغيرة وكبيرة داخل المنزل وخارجه موفراً لها كل أجواء الراحة المطلوبة حتى انتهى الشهر الثالث وجاء الشهر الرابع وفى منتصفه أبلغها الطبيب بنوع المولود.

وللمرة الثانية بينما هى ترفرف بجناحين من السعادة، يُصدم منصور حين أبلغته بأن الجنين ذكر.. ترسم ملامحه علامات الكمد والأسف وتلاحظ منال ذلك.. فتضيق من ردة فعله فينطق بكلمات غير مقنعة ولا تبرر وجومه بهذا الشكل بأنه كان يتمنى ابنة تشبهها كي ترعاها وترعاه وينالا من حنانها.. فتخرج منال عن شعورها والدم يفور فى عروقها وقد تحول وجهها الأبيض إلى ثمرة طماطم على وشك الانفجار وتقول صارخة باكية:

- وما الفارق يا منصور؟ هذا كلام غير معقول تضحك به على أم على نفسك لا أعرف؟ لماذا لم تصارحنى بأنك لا تريد الإنجاب منى كي لا أصدمك بهذا الشكل؟

- من قال ذلك يا منال؟ بالطبع أريد الإنجاب هذه أمنية كل رجل أن يصير أباً

- أنت لم تروجهك فى المرأة يا منصور حين أخبرتك.. لقد فُجِعتُ بدلاً من أن تفرح وطوال الفترة السابقة ولا ألمس الفرحة التى يعيشها كل زوج مع



نمو طفله.. وها أنت ذا كمن سمع خبر شؤم.. انقلب وجهك وبدا عليك كل ما تحاول إخفاءه عني لماذا يا منصور لماذا تزوجتني؟

ارتبك منصور وهو يعلم أنها مُحِقَّةٌ في كل كلمة لفظتها.. بل على العكس فهي لم تلاحظ سهره وأرقه كل ليلة منذ أن علم بنياً حملها وهو يفكر في نوع هذا الجنين ومصيره إن كان ذكرًا.. لم يجد ما يقوله ولكنه في هذا الوقت تحديداً أشفق عليها أشد الإشفاق.. لأنه لم يُقدِّر أبداً سعيها وحرصها على أن تكون أمًا لابنه.. فهي أيضا لا ذنب لها في هذه اللعنة التي حملها ولا علم لها بها من الأساس.. فلماذا يحرمها من مشاركته لها فرحها وسعادتها دون عذرٍ مُقنع.. حاول تهدئتها وأخبرها بأنها تبالغ وضمها إلى صدره طالبًا منها ألا تسيء الظن به وأن توقن أنه أوفر الناس حظًا لزواجه منها وسيكون الأُسعد حين يحمل ابنه على يديه بعد الولادة.. هدأت منال بعض الشيء وإن كان لا يزال على منصور بذل المزيد من الجهد كي يزيل هذه الفكرة المطبوعة في مخيلتها عنه وأن يكون أكثر حرصًا على مشاعرها في الفترة القادمة.



لم يعد هناك ما يكفى من الوهم, لأخاف خيبة الأمل

محمود درويش

125

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية

انضموا لجروب ساهر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
sa7eralkutub.com او زيارة موقعنا

كان علىّ مقابلة عدد من الناجين من انهيار البناية لأعرف هل خاضوا نفس ما رأيته وعشته أم لا؟ بالفعل قابلت بعضهم بهدف الاطمئنان عليهم، وحاولت استنباط أّشيء عن أّيمماحدث وشعروا به تحت الأنقاض، فلم أجدأىّ شيء غريب .. معظمهم عانى بعض الوقت جرّاء الإصابات وكانوا في وعيمهم محاولين الخروج أحياء والأخرون لا يذكرون شيئاً فكانوا في إغماءة طويلة حتى عثروا عليهم، وخرجت بنتيجة واحدة.. لا أحد منهم رأى أو عايش ما رأيته، حتى أنى لم أرى بالفعل أحدهم في هذا العالم الغريب، فقررت البحث من نقطة أخرى، ووجدت أنه من الصعب البحث عن أسرة حسن أو جثته فكما أخبرنى أنه من الصعب، وأن أباه دائم السفر للخليج سعياً للرزق، كما أنه قد مر 3 سنوات أو أكثر على اختفائه فمن الصعب البحث حول كيفية موته أو العثور على جثته التى لا بد وأنها تحللت بفعل الزمن وصارت هيكلاً عظماً في طريقه للتحلل هو الآخر فوجدت أن الأنسب البدء بموضوع صفاء.

أخبرتني صفاء من قبل أنها تدرس في كلية السياحة والفنادق بجامعة الإسكندرية. لمْتُ نفسى كثيراً عن عدم سؤالى إياها عن كثيرٍ من التفاصيل كانت ستوفر الكثير من الوقت و المجهود، ولكنى عزمت ألا أدخر جهداً للوصول للحقيقة، سافرت للإسكندرية رغم امتعاض زوجتى متعللاً بحضور مؤتمر طمى مهم، وصلت هناك وأنا مُشَنَّت بين الشك والحيرة هل سأجدها وقد عادت إلى الحياة مثلى؟ أم أتأكد أنها مفقودة أم لا أصل لشيء على الإطلاق وكان ما رأيته كان هدياناً من عقل مريض!!

بحثتُ في جميع الفرق والأقسام الخاصة بالكلية عن أتصفا غائبة أو مفقودة، حتى وصلت إلى هذه الحقيقة التي لا مراءَ فيها _ صفاء سالم عبد الحى _ طالبة بالفرقة الثالثة غائبة عن الكلية منذ أسبوعين أو أكثر. شيرين أعز صديقاتها أخبرتنى بالأمر كاملاً، لأنها آخر من رآها، بعد أن أنهيا محاضراتهما، استقلت صفاء ميكروباصاً

(مشروعاُ كما يطلقون عليه هنا في الإسكندرية) وكان ركاب الميكروباص كما ذكرت شيرين بعد اختفاء صديقتها اثنتين، راكب بالمقعد الخلفى بخلاف السائق. بالطبع اختفت صفاء بعدها تماماً وهاتفها أصبح خارج الخدمة.

بصيصٌ من الأمل مازالت أسرمتها تُمَنِّى به نفسها، أبلغوا الشرطة وبحثوا في جميع المستشفيات دون جدوى، في التحقيقات لم تتمكن شيرين من تذكر ملامح السائق ووصف أى شىء مُمَيَّز به أو حتى رقم السيارة، بالطبع لم تتذكر ولم تشاهد أصلاً رقم السيارة، هذا يحدث فقط في الأفلام العربية الركيكة حيث صديقك يتذكر كل شىء وقت الحاجة ولكنها وصفت الراكب في المقعد الخلفى أنه ذو وجه مثلث خمري اللون، مجعد الشعر عمره يتراوح بين الخامسة والعشرين والثلاثون كأنها تصف ثلث شباب البلد، مما صَعَّبَ عملية البحث على رجال المباحث بفرض أن هذا الراكب اشترك في الجريمة أصلاً.

روت لى شيرين ذلك وهي تتساءل عن سر سؤالي عن صفاء، لم أكن مستعداً لمثل هذا السؤال ولا جاهزاً بأي إجابة مُقْنَعَة فقلت غير مكترث:

- أنا صديق لصفاء منذ فترة قصيرة، انقطعت أخبارها ولا ترد على هاتفها (الذى لا أعرف رقمه أصلاً).

كانت نظرات شيرين توحى بالشك الذى لا ألومها عليه من كلماتي ومن المظهر الذى أبدو عليه بكمية الإصابات التى فى يدي ووجعي ورأسى بجانب اتكائى على عصا فى سيرى. بالطبع لم تصدق حرفاً مما قلت فكيف أكون صديقاً لصفاء وشيرين لا تعلم عنى شيئاً وهى أقرب صديقة لصفاء؟ ولكنى فى الحقيقة لم أهتم وقد رأيت ما رأيت.

تركت شيرين لأسئلتها الظاهر منها و الباطن دون أن أعطى إجابة واضحة فليس كل ما يُعرف يُقال، وليس كل ما يُقال يُصدق، وحتى وإن وجدت من يصدق وهذا مستحيل فلا داعى لأحد أن يتخيل تلك المأساة التى ابتلعت الفتاة، يكفى ما يعترض قلبي من ألم، خاصة بعدما تيقنت أن ما رأيته لم يكن محض خيال أو وليد تجربة مريرة مررتُ بها. بالطبع صفاء كانت لها حياتها الطبيعية كأى فتاة لها أسرتهما وصديقاتها ودراستها وأحلامها، ربما خَلَّفت وراءها حبيباً يهيم بها ويتعذب شوقاً لها وقلقاً عليها، يحيا مأساة فقدان حبيبته واختفائها فى ظروفٍ غامضة ليتضاءل الأمل فى العثور عليها.

الآن يمكننى تصور ما حدث، صفاء تركب الميكروباص، تلاحظ أن السائق لا يقف لأحدٍ فى الطريق، يتبادل النظرات مع الراكب الآخر، ربما كانا واقعين تحت تأثير مخدرٍ ما صار بعض السائقين يعتبرونه كالماء والهواء، يتسلل إليها الخوف حتى يشن الذعر هجومه عليها عقب انحراف السيارة عن الطريق المعتاد، تطلب النزول ولكن هيهات، يقترب منها الراكبان

الأخرا ن يحاولان التحرش بها والوصول لأماكن حساسة بجسدها، تصرخ تقاوم يضرباها حتى تفقد وعيها وربما خَدْرًاها قبل كل ذلك، يصل السائق إلى مكانٍ مهجور ومعهما صفاء فاقدةً للوعي، يتناوبان الإعتداء عليها، سحْقًا للحيوانات في ثوب الأدميين. نهشوها الذناب وذَنَسُوا جسدها الطاهر ولم يكتفوا بذلك بل قتلوها كي لا تبحث عنهم وتفضحهم.. هل استفاقت؟ هل شعرت؟ هل وهل؟ هي لم تَحْكِ شيئا عن هذا الجزء، ربما لم تتذكره، آخر ما ذكرته أنها كانت في طريقها إلى البيت بعد أن استقلت الميكروباص ولا تعلم ماذا حدث بعد ذلك. أسأل نفسي لماذا أتصور أن الأمر صار على هذا النحو وقد تكون وقعت حادثة مثلًا للسيارة وماتت مع باقى الركاب؟ لو وقع هذا ما كانت وصلت إلى هذا المكان، إن كانت وقعت لها حادثة غير مقصودة، فبالتأكيد سيتم العثور على جثتها وأوراقها وإعادةها إلى أهلها، ولكن اختفائها بهذا الشكل يعنى أن الأمور قد صارت مثلما توقعت وألقوا بها في أيمكانٍ مهجور حتى دون أن يَكَلِّفُوا أنفسهم عناء حفر قبر يضم جسدها المنتَهَك.

هناك خيطٌ واهٍ تتبعه الشرطة كما عرفت وهى أوصاف الراكب التى أدلت بها شيرين، قد يقودهم هذا إلى خيطٍ ما ولكن بعد كم من الوقت؟ اتخذت قرارى بمساعدة صغيرة لرجال الشرطة، رسالة صغيرة للمحققين الذين يتولون القضية أرسلتها إليهم أذكر فيها ملامح السائق التى روتها لى صفاء مبهورة بامضاء فاعل خير، أظن أن هذا سيساعدهم كثيرًا للوصول لحل لغز اختفائها ويُمَكِّنُهُم من العثور على جثتها حتى تحصل على حقها فى الدفن وعزاء يليق بها تأخذة أسرتها سيرتك جرحًا عميقًا سيندمل مع الأيام بدلًا من هذا العذاب الذى يحبونه الآن وهم لا يعرفون حتى إن



كانت حية أو ميتة. وعزمت على متابعة الأمر من بعيد حتى أطمئن أنهم
عثروا على جثتها لتغادر العالم الذي جمعنا. وترحل لعالم لا يد وأنه
سيجمعنا يومًا ما. شعرت ببعض الغُصبة عندما فكرت في أنها ستترك
حسن في معاناته طويلًا، فقد تركتهما يخفف كل منهما عذاب الآخر ولكن
ذلك كان أهون من أن أترك من كان بيدي مساعدته وأخف وطأة من أن
أتجاهل طلب أخير لفتاة تتوسل من عالم بعيد.



إننى جاهل لا أعرف إلا حقيقة واحدة وهى أننى لا أعرف شيئاً

إسحق نيوتن

عقب عودتي من الإسكندرية عدتُ لممارسة حياتي بشكلي الطبيعي وأوشك الكسر بساقي على الالتئام ، توقعْتُ أنهم عثروا على جثة صفاء بعد رسالتي وما عزز توقعي أنها لم تعد تزورني في أحلامي مع حسن كما كان يحدث سابقًا.

بعد هذا الحادث بِتُّ أعتقد أن هناك عوالم أخرى لا نعرف عنها حرفًا حتى هذه الأحلام التي نراها في نومنا لا تأتينا هباءً، لا بد وأنها تحمل رسالة ما من عالمٍ ما للفت أنظارنا لأموٍ عِدَّة، لم أكن مهتمًا يومًا فيما قبل بالأحلام وتفسيرها ولكني بحثت في هذا الشأن كثيرًا وقرأت العديد والعديد عن أسباب ودوافع الحلم وتفسيراته لأفهم سببًا مقنعًا لتلك الرؤى التي أراها يوميًا ولكن أثناء بحثي عثرت مصادفة على الآتي :-

العديد من المرضى النفسيين يُظهِرُونَ ميلاً شديداً إلى تكرار بعض خبراتهم المؤلمة السابقة، وهم يفعلون ذلك تحت تأثير دافع قوى يلزمهم على التكرار، واستنتج الباحثين من هذه الظاهرة وجود دافع غريزي يُسمى إجبار التكرار (Repetition-Compulsion) بمعنى أن يميل المريض الذي تعرض لخبرات مؤلمة لفترات طويلة لمحاولة تكرار هذه الخبرات بشكل لا إرادي .. وهو ما لا يتفق مع مبدأ اللذة لأن المريض لا يحصل على أية لذة من وراء تكرار الخبرات المؤلمة القديمة. ولكن ما أثبت هذا الدافع وهذا المبدأ أن الباحثين رأوا أثناء الحرب العالمية الأولى ظاهرة جديدة أيدت رأيهم في مبدأ (إجبار التكرار)، وهي ظاهرة عصاب الصدمة (Traumatic Neuosis) وهي ظاهرة أخرى تعارض مبدأ اللذة. وبلتج عن عصاب

الصدمة تكرر الظروف السيئة والأحداث القاسية للفرد ولكن في أحلامه، حتى أنه لوحظ أن الجنود الذين تعرضوا لصدمة شديدة أثناء القتال يقومون دائماً بتكرار هذه الخبرات المؤلمة في أحلامهم ، وبما أن الأحلام وسائل لإشباع الدوافع المكبوتة، وكل إشباع يؤدي بالطبع إلى اللذة، ولكن هنا لا يوجد لذة يمكن حدوثها من تكرار الخبرات السابقة المؤلمة التي تظهر في أحلام الجنود المصابين بعصاب الصدمة، فاضطر الباحثون أمام هذه الحقائق إلى القول بوجود ميل غريزي للكائن الحي إلى الرجوع إلى الحالة السابقة، بمعنى أن الفرد يعود للحالة السابقة في أحلامه سواء كانت سعيدة أو أليمة، وهو ما جعلهم يصلوا إلى حقيقة أخرى تقول بأنه وإذا كان هناك دافع غريزي يدفع الكائن الحي إلى الرجوع إلى الحالة السابقة أيًا كانت، فلا بد إذن من أن نفترض وجود (غريزة الموت) تدفع الإنسان للرجوع للحالة غير العضوية السابقة للحياة. أي أن الانسان لديه غريزة تدفعه نحو الموت.

كان ما وجدته مدهشاً بالنسبة لي.. ولكن هل صرتُ مريضاً نفسيًا لأعاني هذه الظاهرة . لقد أصبح من النادر ألا أرى حسن في أحلامي، أحداثه ويشكولي همه وأحياناً أراني معه هو وصفاء نعاني نفس الكابوس قبل أن أرحل وأتركهم، حتى الآن أحمدُ الله أن تأثير ما حدث لم يتجاوز سوى بعض الرؤى وإلا صرت مجنوناً أمام الجميع. ولكن فكرة أن الناجين من الجنود في الحرب العالمية يميلون لتكرار تجاربهم المؤلمة في أحلامهم هي شديدة القرب لما رأيته هناك، فكما علمت أن هؤلاء الجنود قتلوا في الحرب حتى وإن كانت حرباً أهلية وفُقدت جثثهم وربما تم التنكيل بها ولم تحصل على حقها في الدفن، ومن ثم تواجدوا في هذا العالم ليمارسوا نفس الدور على

هذه الأرض الغربية. ربما يجدون لذة مفقودة في قتل أعدائهم، فيحاولون إشباعها عن طريق هذه الحرب الوهمية الدائرة.

أعتقد أن من يعيش فترة الحرب هو أكثر الناس عُرضة للإصابة بمرضى نفسى ولكن هذا إذا كان حيًا. لكن أن ينتقل المرض لطيفه في هذا العالم لهو أمرٌ غريبٌ جدًا. ولكن لماذا الاندهاش وقد تقبلت واقتنعت بفكرة وجود عالم لا ندرى عنه شيئًا. لقد تخلّيت عن المنطق منذ خروجى من هذا الكابوس وكل شيء صار قابلاً للتصديق.

نقطة أخرى أرهقنى البحث عنها وهى جملة (إكرام الميت دفنه) التى يرددها الأحياء فى لوم للمتباطنين عن الإعداد لمراسم الجنائز وفى زهو من هو على بَيِّنَةٍ من دينه مُتَرَفِّعًا عن آلام الفراق فيقوم بالواجب المُلْتَمَى عليه تجاه دينه وتجاه الميت الذى يحرص على دفنه إكرامًا له.

فَتَشْتُ وبحثتُ كثيرًا حول هذه النقطة وحول أصل هذه الجملة فى العديد من المصادر.. قرأت الكتب وسألت الشيوخ وبحثت على شبكة الانترنت وكانت دائمًا إجابة واحدة التى أحصل عليها.. لا أحد يعلم بأصل هذه الجملة ومن قائلها، ويردها البعض منسوبة خطأ كحديث شريف ولكنها ليست بالحديث.. فلا أصل لهذه الجملة وإن كان معناها يتمشى مع صحيح الدين ووردت على لسان العديد من الفقهاء بأنه لا بد من تجهيز الجنازة ودفن الميت متى بدت على الميت علامات الموت الظاهرة على المتوفى كتصلب الأطراف وبرودة الموت وانتفاخ البطن.

إذن غير معلوم أصل هذه الجملة ولكنها حقيقية وصحيحة تناقلها السابقون دون أن يعرفوا مصدرها وقائلها ولكنها لا توضح ما هو المترتب

على عدم الدفن؟ هل هو إهانة، ألم، عذاب للميت؟ ربما كان قائلها المجهول على علم بالحقيقة ولكنه لم يُرد أن يُفزع الآخرين أو لكى لا يستغلها أحد المهاويس والحمقى من البشر تجاه بعضهم البعض وتصبح وسيلة انتقام أو تعذيب للفرد بعد موته. فبُترك الأمر كله للواحد الخالق هو من يحاسب الجميع حسابًا عادلاً وكل شيء عنده بمقدار.

الآن بقى لى نقطة أخيرة كي أغلق هذه الصفحة من حياتى تمامًا ولكنها النقطة الأهم فى هذه الأحداث العجيبة التى مررت بها مؤخرًا وأعتقد أنها ستزيل الكثير من الغموض المحيط بالأحداث الأخيرة وربما تزيح الستار عن حقائق مُخفية وتمنح تفسيرًا مُقنعًا لكل ما شاهدت.

بينما شريف يقرأ هذه الكلمات التى دَوَّنَهَا صديقه كانت دقات قلبه تزلزل خلايا صدره وقد بدا له سليم صادقًا فى بعثه بعض الشيء خاصة فى ما يخص موضوع صفاء حتى وإن كان أصل القصة غير منطقي بالنسبة له.. وشعر بإثارة غير عادية فى تلك الأحداث التى كتبها سليم باحثًا عن الحقيقة وشعور آخر يصاحبه هو القلق منذ أن عرف بتفاصيل اختفاء صديقه.

كيف كتمت كل ذلك بداخلك يا سليم؟ إلى أى مدى انزلقت قدماك فى بئر التخبط والحيرة هذا؟ ألم يكفك ما قادتك إليه الأقدار بوقوع تلك الحادثة الغريبة وبقاءك هذه المدة تحت حُطام العقار؟

وفجأةً جال بخاطره موضوع الجسد الأثيرى لقد قرأ شريف كثيرًا عن هذا الموضوع بحكم تخصصه واطلاعه والجسد الأثيرى ليس إلا هالة نورانية تحيط بجسد الإنسان وتأخذ شكل الجسد وتُعَبَّرُ بشكلٍ ما عن



حالته الصحية والمزاجية، غير أن هناك بعض الأبحاث أوضحت بأن العقل الباطن هو من يتحكم في شكل وحركة الجسد الأثري لذا فبمجرد دخول العقل الواعي في مرحلة النوم يتحرر الجسد الأثري ويبدأ في النشاط والحركة ولكن هذه الأبحاث أشارت بأنه من الصعب جدًا التحكم في الجسد الأثري لأنه من العسير جدا التحكم في العقل الباطن إلا عن طريق تمارين الإسترخاء وهو على أى حال أمر غاية في الصعوبة والتعقيد، ولكن هل في حالة سليم وبعد تعرضه للحادث تحرر جسده الأثري؟ حتى لو حدث ذلك فما حقيقة هذا العالم الذي انتقل إليه؟ أسئلة كثيرة تدور بخلده فلم يجد بُدًا من استكمال قراءة ما خطته يد سليم.

أسفًا رائثًا لحال صديقه عاد للأوراق من جديد عساها ترحمه وتفتح له سبيلًا للعثور على صديقه.



لقد جاء الأمل.. وذهب
ترك الباب مفتوحًا
ولكنه قال أنه لن يعود
لم يعد صديقي ينتظر إلا ضيفًا واحدًا
ينتظره في سكون
سيأتي هذا الضيف يوماً
ليطفئ المصباح الباقي..
ويأخذه في عربته المظلمة
بعيدًا.. بعيدًا..
في طريق لا يبوت فيه ولا أكواخ

روبندرونات طاغور بتصرف بسيط

إن آخر ما أذكره في هذا العالم الغريب الذي نجوت منه بأعجوبة أنه بينما أتشبثُ بالحبل المتدلى تاركًا حسن وصفاء بعد سماعي لاسمى يتردد من مصدر لا يمت للبشر بصلة معلناً إمكانية عودتي لحياتي الطبيعية، شعرت بالترنح وأنا أمسك هذا الحبل محاولاً الصعود.. وحين نظرتُ للأسفل رأيت من يصيح ناظرًا لأعلى موجهاً كلامه لي، كانت هذه أول مرة أرى فيها هذا الوجه في هذا المكان ولكنه بدا لي مألوفًا تمامًا.. كان من الصعب وأنا في هذه الحالة من الشعور بعدم الإرتزان والخوف من السقوط ثانيّة لهذا العالم أن أتذكر صاحب الوجه وأين رأيتَه من قبل، ولكن بعد نجاتي كانت صورته لا تزال واضحة جلية في مخيلتي، استرجعتها مرارًا وتكرارًا حتى بدأ النشاط يدب في ذاكرتي وأنا أتذكر صاحب الوجه هذا الذي لا أعلم سبب تواجده في هذا العالم ولماذا وجه لي هذا الكلام أثناء صعودي .. بعض كلماته مازالت عالقة في أذني .. كان يرددها في صراخ يصل لدرجة البكاء (أفهمت الآن لماذا قلت لك أنه نجا؟) . كان هذا السؤال يتردد في ذهني باستمرار ولكني مازلت غير فاهم، أو فلنقل غير متيقن.. لا داعي للحيرة سأحاول ترتيب الأمر كما حدث لعلّي أفهم.. صاحب هذا الوجه رأيتَه عدة مرات في عيادتي مصطحبًا لزوجته التي أتابع معها الحمل.. إنسانة رائعة بحق شكلاً وموضوعاً، بسيطة متواضعة رغم جمالها الأخاذ، هذا الجمال الذي لا تملك أمامه سوى أن تُسَبِّحَ بعظمة الخالق الذي صَوَّرَ فأبدع، صحيح أنني لا أبالي كثيرًا بشكل وهيئة المريضات ودرجة جمالهن احترامًا لنفسى ولمهنتى، ولكن هذا جمال من نوع آخر يخطف البصر الراكز ويفتن القلوب المسكونة سلفًا وعليك أن تجاهد لكي تدير بصرك لركن أو شخص أو لجهة غير تلك الكائن بها، ولا ينكر

وجود القمر إلا أعمى يعيش وحيداً في شرنقة.. وفي الحقيقة لم أشعر بذلك طوال عملي إلا في حالات محدودة جداً لا تتجاوز أصابع اليد الواحدة كانت هذه السيدة الفاتنة التي تُدعى منال آخرهن.. كنت أتابع معها حالتها الصحية التي لا تسمح بالإنجاب، ولكن كان لديها عزيمة وإصرار على خوض التجارب والمحاولات واحدة تلو الأخرى لعل احتمالات حدوث الحمل تزيد.. وما بين التكييس على المبايض وضعف بطانة الرحم كانت فرص حدوث حمل لها ضئيلة جداً.. وكما ذكرت لي في إحدى المرات أنها حاولت كثيراً من قبل مع طبيب آخر وحاول معها بعدة طرق وأخبرها أنه حتى لو حدث حمل فإن الإجهاض هو مصيره المحتوم، شَغَرْتُ بالإحباط بعض الوقت ولكنها عادت من جديد لتحاول مرة ثانية وثالثة وأخبرتني في المرات الأولى التي كانت تزورها في العيادة بأنها عازمت على ألا تستسلم أبداً، كنتُ معجباً بإصرارها وكان لدى يقين بأن الله لن يخيب رجاءها وسيمنحها يوماً ما طفلها الذي تتمناه.. وبالفعل تحسنت الحالة كثيراً بفضل الله وأصبح بالإمكان حدوث حمل.. حتى أبلغتها بعد الكشف عليها في أحد الأيام بخبر حملها.. سعادة غير عادية رأيتها على وجهها.. وَدَّتْ لو قَبَّلَتْ يدي من فرط سعادتها وبكت عينها فرحاً.. مشاهد كتلك اعتدت عليها كثيراً ولكن كان لرؤية هذه الزوجة الصبورة القوية في هذه الحالة عظيم الأثر على نفسي وكنت بحق سعيداً لها شاعراً بعظيم دورى في منحها هذه السعادة.. بالطبع أعلم أن الله هو من جعلني سبباً لمساعدة هذه الزوجة، ولكنى شعرت وقتها بقيمة ما أعمل وفخرى بانتمائى لهذه المهنة.

زارتني وحدها بعد ذلك مرتان أو ثلاث لا أذكر على وجه الدقة، ولكن في المرات التالية كانت تأتيني بصحبة زوجها الذي رأيت له لأول مرة.. وقلت في

سرى لابد وأنها امرأة عاشقة لزوجها بجنون حتى تسعى بهذا الشكل
للتمكن من الإنجاب وبالتأكيد يبادلها هذا العشق.

سارت الأمور على ما يرام في الأسابيع التالية وكنت أتابع الحالة بانتظام
وأطلعها وزوجها على آخر مستجدات وضع الجنين وأكتب لها بعض
الأدوية والفيتامينات وأوجه لهما بعض النصائح كأى حالة أخرى.. حتى
فوجئتُ في إحدى الليالي بمكالمة من المستشفى يطلبون منى الحضور على
وجه السرعة.. أبدلت ملابسى واستقليت السيارة مسرعًا .. فاستدعاني في
هذا الوقت لا يتم إلا لو كان الأمر خطيرًا فعلاً وقد أنبأونى بأن إحدى
مريضاتى في حالة متدهورة جدًا.. وصلتُ إلى المستشفى لأجد هذا الزوج في
حالة يُرثى لها وما إن رأتى حتى اتجه إلى مسرعًا قائلًا في توسل يشبه
توسل الأطفال:

- انجذنى يا دكتور.. منال تنزف بشدة.. أرجوك أغثها.. أوقف هذا النزيف يا
دكتور

كانت الممرضات في انتظارى فقلت وأنا أغير ملابسى وأرتدى القفازات
بسرعة

- لا تقلق.. خيرًا ان شاء الله

وقتها لم أفهم بعد سبب النزيف وما إن دخلت غرفة العمليات حتى
وجدت زملائي الأطباء صغار السن في المستشفى يخبرونى بحالتها وأن
سبب النزيف هو انفصال مبكر للمشيمة فقد انفصلت عن الجدار
الداخلى للرحم قبل موعد الولادة، في حين أن المفترض أن لا يقع هذا
الانفصال إلا بعد خروج الجنين للدنيا لتخليص الرحم من المشيمة..

ووقوع شيء كهذا قد يكون له أخطار على حياة الأم ويسبب فقد الدم إذا كان النزيف حادًا وهو أحد أهم أسباب الوفاة للمرأة الحامل، وأشد خطرًا على حياة الجنين لأن انفصال المشيمة يحرمه من الدم الذى يمدّه بالأكسجين الذى يحتاجه ليبقى حيًا.. حالة نادرة لا تحدث إلا في واحدة من كل 150 ولادة تقريبًا، وسببها غير معروف.. لذا ما إن عرفت بالحالة حتى انصببت على المريضة فوجدت أن حالتها متأخرة جدًا.. لحظة كتلك من اللحظات العصبية على أى طبيب توليد فإما أن تكون بطلًا أمام نفسك وأمام الآخرين.. وإما أن تفشل لتعلن باستسلام أنها مشيئة القدر لتحيطك النظرات من حولك ما بين نظرات مواسية من زملائك أو سهام نارية حانقة تكتوى بنار الدموع من أسرة الحالة التى كانت بين يديك.. لحظات عصبية مرت علىّ برغم السنوات المتعددة لمزاولة مهنة الطب.. ولكن أن تعلم أن حياة مريض بين يديك الآن لى مسؤولية كبرى عليك أن تكون جديرًا بها.. هنا بداخل غرفة العمليات لا تكفى شهادات أو خبرات.. أنت والحالة وإرادة الله فوقكما فإما أن تكون سببًا في النجاة أو تكون شاهدًا على الهلاك.. ولأن الحالة وصلت متأخرة بعض الشيء فبات الاحتفاظ بالجنين غاية صعبة المنال وهو أمر معتاد في حالات انفصال المشيمة الخطير حيث تصل نِسْبُ احتمال فقد الجنين إلى 70 بالمائة أو أكثر.. وفي الحالات التى يتمكن فيها الطبيب من إنقاذ الجنين تزايد معدلات اعتلاله.. عادة لا يلتفت الزوج كثيرًا لبقاء الطفل أو فقدّه وتصبح أعلى أمانيه الإبقاء على حياة زوجته أما الزوجة فيكون حزنها أشد وكأنها ما رأتها أبدًا إلا على شاشات السونار فقط وكنت أفكر دائما إذا كان هذا حزنها على من لم تراه أبدًا فكيف يكون الحال إذا ما كان المفقود طفلًا صغيرًا أو شابًا يافعًا وليس جنينًا لم ير النور بعد.

بمرور الثواني والدقائق صار الجنين في خبر كان وهو ما ترك في نفسي
غضاضة هذه المرة لعلنى برغبة الأبوين ومدى تعبهما من أجل الحصول
عليه ومدى صعوبة تكرار ذلك.. ولكن صار علىّ الآن مهمة إنقاذ الأم.. لا
أخفى سرّاً ولا أبالغ إذا قلت بأنى فعلت أفضل ما في وسعى كالعادة في مثل
هذه الحالات كطبيب لإنقاذ هذه المرأة لعدة أسباب أولها الأمانة المهنية
وثانيها إدراكى لجلل مهمتى في إنقاذ انسان أيّاً كان وكذلك تجنبنا للحالة
التي ساكون عليها من الألم والندم لو لم أوفّق.. مازلت لم أتخلص بعد من
عقدة الإحساس بالذنب وتأنيب الضمير في الحالات القليلة التي لم
يحالفنى التوفيق بها ولم يكتب لى النجاح في إنقاذ الجسد المُسعى أمامى.

بعد دقائق قاسية بطيئة أنهيتُ دورى ناظرًا إلى تلك الأم أو التي كانت
تعلم بأن تكون أمًا وهي في غيبوبة تامة وفي حالة حرجة جدًا نظرًا لكمية
الدم التي فقدتها جراء هذا التزيف.. غادرتُ غرفة العمليات وقلبي منقبض
أشد الانقباض خوفًا على حياتها.. وخرجتُ لأجد زوجها في انتظارى وقد
التم القلق أعصابه.. هذا رجل فقد ابنه من دقائق ولا أعلم إن كانت
احدى الممرضات أخبرته أم لا.. فوجدتني أقول في اعتذار حقيقي:

- أنا أسف.. الجنين لم

فقاطعتنى قائلًا في استسلام:

- لقد نجا يا دكتور.. لقد نجا.. طمئنى على منال أرجوك!

لم أفهم وقتها النصف الأول من جملته وفي الحقيقة لم أكثرث بمراده من
هذه الكلمات وكان ما يشغلنى حقيقةً وضع زوجته الحرج فقلت له:

- حالتها صعبة.. ادعُ لها فهى بحاجة لدعائك

تركته وأنا مدرك تمامًا صعوبة موقفه.. في حالات كهذه لا يصبح للكلام معنى ويكون الصمت أبلغ تعبير عن ما يكتنف بداخلك من مشاعر.. غير أن نظرات عينه تقول ما يجول بخلده.. هذا الرجل يحترق داخليًا خوفًا على زوجته أو فلنقل حبيبته.. في هذه اللحظات بالذات تدرك بأنك ما أحببت أحدًا بقدر حبك لزوجتك وأن أى امرأة دونها لم تكن لتستحق حتى تلك النظرة التي منحتها لها وقت أن كان خافيًا عليك قطعة الماس التي يحملها لك القدر لأجل قريب.. رأيت هذه النظرة سابقًا في عيون منال.. نظرات عشقها لزوجها.. وأراها الآن في عيون زوجها خوفًا عليها.

غادرت المستشفى عانداً إلى بيتي في سرعة مثيلة للتي قدمت بها إلى هنا أملاً في الحصول على قسط هين من النوم لأبدأ بعدها يوماً جديداً من العمل.

حين وصلت البيت (بيتي القديم قبل انهياره) كانت زوجتي وابنتي تُعْطَانِ في نوم عميق.. خلعتُ ملابسى لأرتدى البيجامة وأنام على مقعدى الوثير في صالة منزلى.. لم يدم نومى على هذا الحال طويلاً فتهضتُ ناظراً إلى ساعتى لأجدها تقترب من الخامسة صباحاً.. حاولت تذكر الأسباب التي دفعتنى للنوم هنا فتداعت الأحداث السابقة في ذاكرتى.. فوجدتني أتجه إلى تليفون المنزل محاولاً الاتصال بالمستشفى.. مرة واثنان وثلاث.. متى يردون على الهاتف إذن؟ وأين النوبتى المسئول؟ بإصرار أمسكت المحمول لأجرب اتصال بإحدى الممرضات تكاد تكون هذه المرة الأولى منذ دخولى العمل أن أجرب اتصالاً بإحدى الممرضات للاطمئنان على إحدى الحالات فعادة أعطى التعليمات لهن قبل مغادرتى وعلين تنفيذها بدقة وفي حالة وقوع أمر طارئ يقمن هن بالاتصال بى.. ولكنى هذه المرة وجدتنى مدفوعاً



للاتصال بإحداهن لمعرفة حالة منال.. قمت بالاتصال فوجدت المريضة
ترد بسرعة:

- صباح الخير.. كيف حالك يا دكتور؟

بخير.. طمئنتني.. الحالة التي جاءت تنزف ليلة أمس.. كيف حالها؟

..... -

- ماذا؟!! كيف؟!!



إننا ما نخطط لنحيا حياتنا على النحو الذي يرضينا بقدر ما نخطط
لإنهائها على النحو الذي رسمه لنا القدر سلفًا.

وَدَّ شريف لو تخطى بعض الأوراق ليعرف آخر هذه الأحداث التي يكتبها سليم، ولكنه كان يخشى أن تفوته تفصيلاً أو حدث صغير يمكن منه استنباط أى معلومة عن سر اختفاء سليم بالإضافة إلى أن المتبقى من الصفحات ليس بالكثير.. لذا واصل القراءة متحفزاً، قراءة متأنية متفحصة، واتسعت مقلتيه طاردة أى فكرة للنوم قبل الإتهاء من هذه الأوراق زُغَم إشارة الساعة للثانية بعد منتصف الليل فجر يوم الأحد.

أغلقتُ الخط بمجرد سماعى رد الممرضة وأغلقت معى عينها لتبدأ شاشة العرض السينمائي لعقلى ثلاثية الأبعاد نقيه الصورة لتعرض فيلمً تسجيليًا قصير جدًا، مكثف جدًا، مؤثر جدًا، عالى الجودة، شديد التميز، لو اشترك بإحدى المهرجانات الدولية لنال عدة جوائز أهمها جوائز الإخراج والتصوير والمونتاج مع جائزة خاصة لمدير الإضاءة.

بطلة الفيلم هى منال فى أبهى صورها التي لا أظن أن لها صورة سيئة فى سنوات عمرها.. صور متعددة بتعدد زياراتها لى مع كادرات خاصة عن قرب وعن بعد من جميع الزوايا فى لحظات مختلفة مبتسمة، صامته، قلقة، شاكرة، ضاحكة، راجية، وحيدة، بصحبة زوجها، جالسة أمام مكتى فى العيادة بعد الكشف، متكئة على الشيزلونج، على السرير فى غرفة العمليات، ثم ملاءة بيضاء تغطى وجهها جميلًا، بهيأً لم تغادره النظارة بعد رغم أن الروح فعلت، فى طريقه إلى مثواه الأخير.

يا الله.. رحلت منال وتركت عالمنا وكنت أنا أقوم بدورى المرسوم بعناية من جانب القدر لتضاف حالة جديدة واسمًا جديدًا في سجل ضحاياي.. صحيح أنهم حتى الآن لم يتجاوزوا أصابع اليد الواحدة ولكن كل حالة منهم تركت بداخلى شرخًا عميقًا وجرحًا لا يندمل بسهولة.. لا أدري لماذا لم أصبح مثل باقى زملائى من الأطباء؟ لماذا لم أصب بنفس البرود الذى صار ملازمًا لهم مع تعدد رؤياهم للمرضى والموتى لأسباب متباينة؟ نظرات الجمود والبرود والثبات وعدم التأثر تفضحها عيونهم، يخلفون وراءهم عشرات الموتى دون أدنى تأثير.. نعم بالفعل أسأل العديد من الجراحين كم عدد الوفيات من مرضاه.. مرضى الكبد والسرطان والجلطات.. جميعهم مشاريع موتى تمشى على الأرض أو مسجاة على فراش الموت.. مدعوة لمغادرة الحياة بتذكرة ذهاب مجانية لا يتبعها عودة.. لا يكون القرار بأيديهم عادة ولكن بعضهم يمتلك إرادة من حديد تحتفظ لنفسها بلحظات أخرى من الحياة وبعضهم يعلن الاستسلام ليقتضى أمرًا كان مفعولًا.

ساعات وأيام مرت على بعد وفاتها وأنا غارق فى التفكير فى كل الأحداث والتفصيلات المتشعبة.. هذه المرأة كادت أن تفقد الأمل فى الإنجاب ولم يكذب طبيها السابق حينما أخبرها بأن عليها أن تنسى ذلك حفاظًا على صحتها ومع ذلك لم تياس وحاولت ونجحت المحاولة وقمت بدورى على الوجه الأكمل حتى يتم الحمل وتجنبنت المشاق وابتعدت عن الضغوط بكافة انواعها وأذعنت للتعليمات الطبية فى سعادة ورجاء وتخطت الأشهر الأولى الحاسمة من الحمل وبدأ الجنين يكبر ويكبر ومع كل كشف أشرح لها حجم التغير الذى طرأ على جنينها وترى وتصغى بكل رضا وشكر حتى

تبقى أسابيع قليلة حتى تلمس حلمها الذى تكون بداخلها وتتحرق شوقاً لرواياته واحتضانه، ليعلمن القدر بعد كل هذا عن رأيه الحاسم والأخير.. تلك المرأة لن تند بل ولن تعيش، قد يبدو الأمر فى ظاهره وكأنه عقاب على محاولتها وقد تكون غريزة الموت التى طالما قرأت عنها ولم أرى حالة واحدة بعينى بهذا القرب منى مثل هذه الحالة، هل غريزة الموت هى من دفعت منال للمحاولة مرة تلو الأخرى للحصول على طفل يحمل لها وله نهاية سريعة حزينة؟

بالطبع لا يمكن الجزم بهذا ولكن ما يمكن القطع به هو أنه بينما تخطط وتسعى للحصول على طفل.. كان القدر ينفذ خطته الكبرى للهدف الذى لا سبيل لعدم تحقيقه.. هذا الهدف هو إنهاء حياتها فى هذه السن وبذلك الكيفية، وإذا تَحَيَّنَّا الأقدار جانباً فأى حظ هذا الذى يجعل امرأة تحمل رغم صعوبة ذلك لمشاكل فى الرحم لتقع فى برائن مشكلة أعقد وأعوص هى انفصال المشيمة رغم ندرة حدوثها.

بعد هذه الحادثة بِتُّ أؤمن أننا ما نخطط لنحيا حياتنا على النحو الذى يرضينا بقدر ما نخطط لإنهاءها على النحو الذى رسمه لنا القدر سلفاً.

على أى حال ليس هذا ما أبحث عنه الآن حتى وإن كان شغلى لبعض الوقت حينها ولكن ما أنا مشغول به الآن هو هذا الزوج الذى يُدعى منصور الدوكش، الوحيد الذى أعرفه من عالمى ورأيت فى العالم العجيب الذى بقيت فيه هذا الوقت العصيب لقد رأيت بعد علمه بوفاة الجنين لكنى لم أراه ثانية عقب علمه بوفاة زوجته ولم أراه بعدها أبداً سوى ف أثناء وجودى فى عالم آخر.. هذا الأب المكلوم الذى ردد على مسامى جملة

لم أكثرث لها في عالمنا ورددها على مسامعي صائغًا بها بينما أنا في طريقى للعودة إلى عالمي، لكن لا بد وأنها تعنى الكثير وتشير إلى الكثير حتى ينطق بنفس هذه الكلمات

(لقد نجا يا دكتور.. لقد نجا) ماذا تقصد بها يا منصور؟ أين أنت الآن؟ هل من جديد سنلتقى؟ كل من قابلتهم على هذه الأرض هم موتى أو على وشك الموت، فهل صرت أحدهم، أحد سكان هذا العالم من الموتى أو المقبلين على الموت؟ إن كنت ميتًا أو كنت في طريقك إلى الموت فأظن أنه من العسير أن تلتقى إلا إذا كُتِبَتْ لك النجاة مثلى، وقتها فقط سأجد من يشاركنى معرفتى بهذا العالم وربما يقدم لى الإجابات عن الأسئلة التى تجول بخاطرى، لا بد من الوصول إليك أو حتى معرفة ما آل إليه مصيرك.

في الحقيقة لم يكن الوصول إليه صعبًا كما تصورت، بل أنى لم أظنه بهذه السهولة، لم أحاول أن ألتجأ إلى عماد ثانوية كي لا أثير شكوكه، سألت سعد مساعدى في العيادة فقد كان الزوجان يأتیان معًا ويبقيان بعض الوقت قبل الدخول للكشف، ولعلمى بطبيعة سعد المحب للكلام والدخول في مواضيع مختلفة مع المرضى يُسلى بها نفسه ويهون بها الوقت عليهم، فذكرته بمنال وزوجها منصور فوجدته يقول في حزن:

- وهل يمكن نسيانها يا دكتور؟ بالطبع أتذكرها رحمة الله عليها واسكنها فسيح جناته

- حسنًا يا سعد وزوجها منصور أتذكره هو الآخر؟



- بالطبع يا دكتور رجل محترم فوق ما تتخيل, كان الله في عونته بعد وفاة زوجته

- ألا تعلم عنوانه أو مقر عمله يا سعد؟ ألم يحدثك ذات مرة عن ذلك؟

- بلى بالطبع عرفت منه في إحدى الزيارات بأنه محاسب في بنك... وزوجته السيدة منال رحمة الله عليها تعمل معه ولكنه لم يذكر في أى فرع يعمل.

- أشكرك يا سعد

في الحقيقة لم أكن محتاجًا لما هو أكثر من ذلك, ويمكن بعد ذلك معرفة الفرع الذي يعمل به بسهولة.

أظن أنني اقتربت كثيرًا من النهاية.



قانون الغابة واضح "الحملان تمهشها الذناب", أما قانون البشر "عذرا,
نفس القانون السابق"

سليم لازال غائبًا والوقت يمر والمخاوف تزداد والقلق يسود حتى أنه تسرب إلى ملاك الأسرة البريء سلمى التي بسهولة لاحظت أن الأمور ليست على ما يرام واستطاعت بفطرتها إدراك أن هناك خطب جلل يخص والدها، عادة قد يغيب بعض الوقت ولكن لا يصاحب غيابه هذا التوتر والخوف من جانب والدتها فلا تلبث أن تسأل:

- أين بابا يا ماما؟

قد تتلقى جواب فتكون الإجابة " سيأتي قريبًا يا سلمى" وقد تكون الإجابة مزووعة الكلام مُطمعة بالمشاعر مغلفة بالخوف مكسوة بالحيرة، فتضمها والدتها إلى حضنها دون أن تغمغم ولو بشبه إجابة، تسكت سلمى ولكن جihan كالغزال المذعور الذى يشعر باقتراب الخطر ولكنها لا تعلم ولا يمكنها تحديد الجهة القادم منها هذا الخطر، تود لو تركض في جميع الاتجاهات لدرء هذا الخطر ولو بإمكانها الوصول لسليم فقط لتطمئن عليه ولكن التمنى سهل وبلوغ الأمانى غير ذلك، كل هذا وعماد يتابع عن قرب تدرج الحالة السيئة لأخته وابنتها، يحاول هو الآخر طمأنة نفسه وبثهم هذا الشعور بأنها ساعات قليلة وسيأتى سليم كعادته ليغمرهما بحنانه ورعايته، ولكن فاقده الشيء لا يعطيه، هو نفسه قلق فكيف يمنحهم الهدوء؟! وعلى الرغم من ذلك كان عقله يعمل دون توقف، هذه هى قضيته الخاصة وهو المكلف الأوحد بها، وقرر البحث وراء النقاط التى تثير الريبة فى حياة سليم، وهى الخاصة بسؤال سليم لعماد عن جريمة تمت فى الإسكندرية حيث اختفت فتاة باسم صفاء ولا أحد يعلم مكانها أو سر اختفائها وهو ما سأل عنه سليم، فما كان من عماد إلا أنه أخبره بجهة

التحقيق وأخر ما وصلت إليه التحريات عن طريق أحد زملاؤه في الإسكندرية , وأخبر سليم بأنه لا جديد لأن المواصفات التي أعطتها صديقتها للراكب في السيارة غير كافية, كما أنها لم تلتقط رقم السيارة وأن الأمور لو استمرت على هذا فإن القضية في طريقها إلى الحفظ, تلك هي المعلومات التي عرفها عماد وأبلغها لسليم, تُرى هل لهذا الموضوع علاقة باختفاء سليم؟ فالفاصل الزمني بينهما لا يتجاوز أسابيع قليلة.. هذا ما كان يدور بخلد عماد فقرر الاتصال بصديقه طارق في الإسكندرية لمعرفة آخر تطورات هذه القضية, وبالفعل هاتفه فرد صديقه على الفور:

- عماد, أين أنت يا رجل؟

- أنا هنا يا طارق, وإن لم أسأل أنا فلا تسأل أنت؟

- سامحنى يا عمدة, ولكنى أفتقد حقًا أيامنا معًا يا صديقي

- وأنا أيضًا ليتها تعود

- تعود نعم ولكن بعيدًا عن الكلية

- هههههه معك حق, سأنتظرك في القاهرة أو تدعونى على وجبة سمك لديك في بحرى

- تعال أنت فقط وستتناول أفضل وجبة سمك تذوقها في حياتك

إن شاء الله يا طارق, أتذكر الحادثة التي سألتك بشأنها والتي تخص اختفاء فتاة باسم صفاء؟

- بالطبع يا عماد, لقد حللنا لغزها أخيرًا



- حسنًا وتوصلتم للفتاة؟

- لا للأسف توصلنا لجثتها

- ماتت؟! قالها مصدومًا

- بل قُتِلت بعد أن اغتُصِبَت؟

- وأمستكم بالجاني؟

- تقصد الجناة، لم يكن واحدًا بل كانوا ثلاثة أوغاد

- وكيف وصلتم إليهم؟

- هدية من السماء جاءت لترشدنا نحو أحد الجناة

- هدية؟!!!

- نعم هدية، رسالة من فاعل خير تعطى مواصفات أكثر دقة لقائد السيارة التي اختطفها، كان من السهل بعدها الوصول إليه وعمل تحريات عنه ومراقبته حتى أوقعنا به وقد دلنا على شريك له بينما قرأ الثالث وجارى البحث عنه في الوقت الحالي

- ومن هم الجناة يا طارق؟

سائق ميكروباص واثنان آخران يعملان في محل قطع غيار السيارات يربطهم الكيف والمزاج كل ليلة، وفي هذا اليوم اختطف اثنان منهم الفتاة في الميكروباص وَخَدَّرَها وَذَهبَها بها إلى منزل الثالث في منطقة معزولة، تناوبوا الاعتداء عليها وحين اقتربت من الاستفاقة ضربوها وأعطوها

جرعة أخرى مخدرة، وتناوب ثلاثتهم الاعتداء عليها وهى تحت تأثير المخدر، ثم بعد أن انتهوا وجدوها ميتة، لا أظن أن لها مصيرًا آخرًا بعد أن فعلوا بها ذلك. كانوا مذعورين فآلقوا بها عند الطريق الدولى بعدما توغلوا فى الدخول على أحد جانبي الطريق ثم أخرجوا الجثة من السيارة وألقوها هناك وهما مفزوعين بحسب وصفهما. أتعرف المثير للغثيان فى الأمر أننا حتى الآن لا نعرف إذا كان سبب الموت التزيف الذى نتج بسبب الإعتداء عليها أم الجرعة المخدرة الزائدة التى حقنوها بها، وربما يكون وقع اعتداءهم عليها فى المرة الثانية بينما روحها غادرت جسدها أو فى طريقها لمغادرة الحياة. نحن الآن فى انتظار تقرير الطب الشرعى لمعرفة سبب الوفاة ولكنهم فى كل الأحوال لن يفلتوا من حبل المشنقة.

بعد سماع تلك التفاصيل سرت قشعريرة فى جسد عماد، برغم اشتراكه فى التحقيق للعديد من الجرائم ولكن هذه التفاصيل نالت من ثباته.

- وهل توصلتم لفاعل الخير الذى دلکم عليهم؟

أنت تعرف يا عمدة هذا لا يهمنا كثيرًا، ربما أحد الشهود ولا يريد سين وجيم، ربما أحد أعدائهم وعلم بالموضوع، المهم أنه تم حل اللغز

- هل لى من طلب يا طارق؟

- بالطبع يا عماد تفضل

- أريد رقم أسرتهما، لا بد وأن حالتهم صعبة

- الأم فى المستشفى بعد دخولها غيبوبة منذ فترة، والأب يكتم فى نفسه ودموعه لا تنقطع



- كان الله في عونهم، أعطى رقم هاتفهم سأحدث إليهما بعد أن تتحسن أحوالهما قليلاً

- تمام سيصلك الرقم في رسالة، لأنه ليس معي الآن

أغلق عماد الخط بعد أن تعرف على حقيقة هذه القضية، لم يجد مكاناً لسليم بها أو هكذا تصور، لولا أن هناك بذرة شك عجيبة تنمو بداخله تحوم حول فاعل الخير الذي أسهم في حل القضية.

ارتباب لا يعلم إن كان في محله أم لا وعليه أن يقطع الشك باليقين.



ما ذاق مر الموت قبل مذاقه
إلا مُجِبُّ غاب عنه حبيبُ
النارُ في أحشائه مشبوبةٌ
والدمعُ في أجفانه مسكوبُ
جندان مختلفان يعتورانِه
ليَتِمَّ في الدُنْيَا لَهُ التَّغْذِيبُ

أبو أحمد اليماني

تحتاج قبل أن تنام أن تدس همومك وأوجاعك في حقيبة وتلقى بها من الشباك حتى تتمكن من النوم.. ولكن لا تسأل متى ولا كيف عادت بجوارك في الصباح.. فهذه إحدى عجائب الحياة، أما منصور فالقدر لم يكتف معه بذلك، بل جعله يصطحب معه هذه الحقيبة أثناء نومه حاملاً إياها على ظهره، يغترف من عالمه الآخر مزيداً من الأوجاع.

هذا وقد صارت حياته أشد بؤساً وأكثر شقاءً بعد وفاة ابنه وزوجته، رحلت وليمة قلبه وزاد روحه، تاركة إياه تتقاذفه الأمواج في بحرٍ غاضبٍ غير مأمون الجانب رغم قدرته على السباحة، يتحسر على أيام جميلة كانت تشاركه فيها زوجته المرح وتُهَيِّؤُ عليه الكثير مما يلقيه في ليله.

يا لها من وردة منحت لعمره عطرًا أبدياً في صورة ذكريات.. كانت حياته قبلها أليمة عسيرة، وصارت أكثر ألماً وأشد قسوة بعد رحيلها، صار صورة مجسدة للتعاسة تسير على قدمين ومثال حي لليأس في ثوب آدمي. هكذا يمكن القول أن حياته انتهت ليس بالموت ولكن بالأتين.

زملأوه وأصدقأوه وحتى جيرانه صاروا أكثر إشفاقاً عليه أكثر من أي وقتٍ مضى، في البداية قبل زواجه لم يتمكنوا من تفسير انطوائيته وعزلته والهم الهادى على ملامحه، ولم يحاولوا التدخل أو كسر هالة الغموض التي تحيط به، أما بعد زواجه وتعرفهم على شخصية مغايرة عن تلك التي عرفوها عنه صاروا أكثر تقرباً منه وأكثر حرصاً على الوقوف بجانبه بصفته زميل حَسَنُ المعشر لم يُجِدْ التعبيرَ عن نفسه لهم، وبعد وفاة زوجته أصبح موضع إشفاق وتعاطف كل المحيطين به من زملائه وجيرانه،

وبدا لهم منصور رجلاً تعرض لمحن وابتلاءات أكثر مما يحتمل الغالبية من البشر، ولكنه برغم هذا لا يشكو ولا يملأ الدنيا ضجيجًا تعبيرًا عن معاناته، فقط يزوى ويميل للصمت ويهمل مظهره إلى الحد الأدنى المسموح به في العمل.. لذا لم يعد أحد يندهش من مظهره ومن نحوله المستمر وتردى أحواله.

أما منصور نفسه فلم يفهم الحكمة من تغير مجرى حياته بعدما اعتاد الألم قبل دخول منال حياته لتمنحه سعادة لا حدود لها ثم سرعان ما سلبته الحياة إياها ليعيش محاطًا بقدر كبير من الذكريات تزيد شقاءه أكثر مما تهون عليه ويزيد الألم وتزداد الظلمة.

في نفس الموعد من كل يوم يعود إلى بيته شاردًا هائمًا لا يبالي بأي مما يقع حوله، وحده فقط العمل هو ما يحوذ على تفكيره نهارًا لأنه السبيل الوحيد لتوفير ما يقتات به ولولا ذلك ما انشغل بأي شيء.

صعد منصور السلم حتى وصل إلى الطابق الثالث الذي تقع به شقته، فتح الباب بالمفتاح الذي أخرجه لتوه من جيبه ثم ضغط على زر الإضاءة لينبعث الضياء من نجفة مُعلّقة في الصالة تكشف عن أكوام متراكمة من الأتربة حولها حتى أن أشعة الضوء تجد صعوبة في اختراق هذا الكم الهائل من الغبار، حتى تلك الحزمة من الأشعة التي نجحت في الانبثاق ارتمت على محتويات الغرفة كاشفة عن طبقات أخرى من التراب تحيط بجميع المحتويات، لقد وجد التراب ضالته في هذا المنزل ولن يفارقه مادام صاحبه لا يبالي. خلع منصور حذائه ثم جلس على أقرب مقعد ناظرًا إلى سقف الحجرة الذي امتلأت أركانه بخيوط العنكبوت، قد يبقى على هذا الحال ساعة أو ساعتان قبل أن يفكر في تغيير ملابسه ثم يبحث في

الثلاجة الفارغة عن أي طعام يُبقيهِ على قيد حياةٍ لا يرغب بها، لولا خوفه من الجزاء لانتحر منذ زمن.. يبدو أن كلا العالمين الذين جاهما طولاً وعرضاً متمسكان به في الوقت الذي يتمنى هو أن يلحق بالعالم الذي سبقه إليه والده ووالدته وابنه وحبيبته.. كل أحبانه سبقوه إلى العالم الحقيقي الذي لا ظلم فيه ولا جور حتى جده الذي أورثه هذه اللعنة فارق كلا العالمين وقد تاب عمّاً اقترفه، كم يشناق منصور للموت، لا أحد على وجه الأرض يتمنى الموت مثله ولكن حتى الموت لا يأتي في الوقت الذي تتمناه فيه، لا بد وأن يكون هو سيد الموقف يباغتك متى شاء ويأتى متى أراد لا متى تريد أنت.

بينما منصور على هذه الحال سمع طرقات متأنية على باب شقته، لم يكن به من القوة ما يسمح له بالنهوض وليس لديه أى رغبة لرؤية أى شخص، وفي الغالب لن يخرج الطارق عن محصل الكهرباء أو محصل الغاز وهو لم يعد بحاجة لكهرباء أو غاز، لن يفتح فليفعلا ما يحلوا لهما.

لدقيقتين متتاليتين لم تتوقف الطرقات وجرس الباب يستغيث من كثرة النداء والباب يستنجد وكأنه قد أرقه التعب ويتمنى لو ينقذه منصور من هذا الطارق.. زادت الطرقات حدة وأصبحت أسرع وأشد.. يا له من إزعاج.. أخيراً قرر منصور النهوض وإذا به يفتح الباب ليجد وجهًا لم يعد يتذكره أو كاد، استغرق الأمر بعض اللحظات وكلاهما ينظر للأخر.

منصور يحاول تذكر صاحب الوجه، والشخص الأخر يحدق به لا يصدق كمّ التغيير الذي طرأ على هذا الوجه منذ آخر مرة رآه في المستشفى.



كان سليم هو الزائر الطارق لباب شقة منصور، لم يعرف كلاهما كيف يبدأ الكلام حتى تخطى سليم صدمته وفرحته. صدمته بالحال الذى وصل إليه منصور وفرحته بالعثور على منصور حيًا، حتى قال فى هدوء:

- أسمح لى بالدخول يا أستاذ منصور؟

لم يُجِب منصور ولكنه أقسح له الطريق مشيرًا له بيمينه كي يدخل ثم أغلق الباب.

هال سليم منظر البيت من الداخل، الفوضى وعدم النظافة وقلة الإضاءة سمات واضحة للعيان لا تحتاج لقليل من تمحيص، لا بد وأنه كان أجمل من ذلك بكثير، فى صمت أشار له منصور على أحد المقاعد، لم يجلس سليم ولكنه قال فى أسف حقيقى:

- البقاء لله يا أستاذ منصور

لم يُعَقِّب منصور ولكنه حرك رأسه تفضُّمًا، وعيناه ينزفان ألمًا، ثم قال سليم:

- سامحنى يا أستاذ منصور لقد حاولت ولكنى... فقاطعه سليم بإشارة من كف يده وايماءة برأسه أن لا عليك.

كانت الإجابات الصامتة من منصور مُزِيكَةً لسليم لدرجة جعلته يخجل من أن يتحدث مع رجل فقد زوجته وابنه فى موضوع حول عالم آخر حتى لو كان متأكدًا من وجوده هناك وأنه قد رأى منصور نفسه فى هذا العالم، ماذا لو أنكر منصور؟ سيعرف حالًا.

قال سليم متحليًا بكثير من الشجاعة والتركيز:

- في الحقيقة يا أستاذ منصور في آخر مرة تحدثنا فيها قلت لي جملة لم أفهمها حتى الآن وكنت بحاجة لتفسيرها منك.

نظر له منصور مليًا مفكرًا بداخله قبل أن يقول:

- أي لقاء تقصد يا دكتور وفي أي مكان بالضبط؟ ثم رماه منصور بنظرة مستفهمة، فتشجع سليم أكثر فأردف:

- حين أخبرتك بوفاة الجنين قلت لي (لقد نجا يا دكتور لقد نجا) ما الذي نجا منه؟

كان منصور بالفعل فاقداً لأي رغبة في الكلام ولكنه لم يجد بُدًا من القول:

- ولماذا تشغل نفسك بهذه الجملة يا دكتور؟

لم يعرف سليم ماذا يقول ولكنه باغت منصور بسؤالٍ آخر:

- متى رأيتني آخر مرة يا أستاذ منصور؟

لم تبدُ المُفاجأةُ على منصور فقال في ثقة أربكت سليم:

- أنت تتذكر جيدًا آخر مرة التقينا بها!

نظر سليم مستفهمًا لمنصور ولكنه لم يظفر بإجابة فأضاف منصور:

حمدًا لله على سلامتكم يا دكتور وقبل أن يفرح سليم بهذه الجملة أردف:



- من الواضح أنك تعرضت لحادث غير هين

فبدت الخيبة على وجه سليم, فقال مُنْفَجِرًا في منصور:

- لقد رأيتك أثناء هذا الحادث

ساد الصمت دقيقة ثم تحدث منصور في هدوء بعد أن تأكد من سبب الزيارة:

- اسمع يا دكتور! فأخر ما أرغب به الآن اللف والدوران, فلتحمد الله على عودتك سالمًا من هذا الحادث ولا تشغل بالك بما رأيت في هذا الوقت.

- إذن ما رأيتك لم يكن وهمًا أو هلاوس, وأنت كنت موجودًا هناك؟

صمت منصور وبدأ عليه عدم الرغبة في الكلام فقال سليم:

- أرجوك ساعدني فأنا أريد أن أرتاح

- الراحة هي ما أنت فيه الآن, في البداية لم أكن متأكدًا من سبب الزيارة ولا أريد لأحد أيا كان أن يتهمني بالجنون, وبعدها تأكدت من سبب قدومك, يمكنني القول كي ترتاح أكثر لقد نجا ولدى من هذا العالم الذى رأيتك به آخر مرة يا دكتور.

- كيف نجا؟ ولماذا رأيتك هناك من الأساس؟

- إنه عالمى يا دكتور.. هذا العالم هو عالمى الثانى الذى لا يعرف أحد به ولا حتى زوجتى.. الشقاء فى أبهى صورته.. العذاب فى أوضح معانيه.. ثم فى ألم صرخ منفجرًا:



- أنا الملعون يا دكتور الذى يحيا بجسده مع البشر متيقظًا ويحيا طيفه بين الشياطين متى صار نائمًا. أنا الذى أشاهد الأهوال وأشهد بنى البشر وهم يتألمون ويموتون منات المرات ولا أستطيع إلا المراقبة أود لو أنقذهم وأنا حتى غير قادر على إنقاذ نفسى

- لا أفهم، مهلاً أى شياطين تقصد؟ هل من رأيهم هناك شياطين أم بشر طبيعيين؟

- لا يا دكتور.. إنهم بنى البشر تعساء الحظ الذين ألقى بهم نصيبهم هناك فى أكثر الأماكن هدوءًا فى هذا العالم، أولئك الذين لم يقترفوا إثماً سوى أنهم لم يُدفنوا وهو كما تعلم أمر خارج عن إرادتهم.. من رأيهم يا دكتور هم نزلاء سجن الموتى.



ما من سجين إلا ويحدوه الأمل في انقضاء مدة حبسه أوحى الهروب يوماً
ما ولكن في سجن الموتى فالأمل ضيف خفيف لا يطيل البقاء

(21)

-ملعون؟؟!! سجن الموتى! سجن الموتى!

كررها سليم مندهشًا من هذا الاسم بينما تتكرر في أذنه عشرات المرات ما هذا الاسم المُقْبِض؟ ولكن برغم غرابته وجده مناسبًا جدًا لحقيقة ما يدور هناك. فسأل سليم منصور للتأكد:

- وماذا يعنى هذا الاسم؟

- سجن الموتى هو المكان الذى يضم كل من اقترب جدًا من الموت أو كل من مات بالفعل ولم يواريه الثرى ليبقى منعزلًا في هذا العالم دون قدرة على العودة لعالمه ما لم يجدوا جسده إن كان حيًا أو جثته إن كان ميتًا ويتم دفنه.

- ولماذا أنا الوحيد الذى زرته من ضحايا سقوط العمارة بينما الآخرون لم يزوروه؟

- لأنك بالفعل كنت أقربهم للموت وفي حالة غياب تام عن الوعى وبقيت ساعات طويلة تحت الركام، ولو تأخر جيرانك بعض الوقت مثلك تحت الأنقاض لصاحبوك إلى هذا العالم، ولو تأخروا قليلًا في إيجادك لعدت إليهم جثة لا حياة فيها، على أى حال كان هذا كافيًا أيضًا بخروجك من سجن الموتى لأنك وقتها ستنال حظك من الدفن في باطن الأرض

- ولكن كيف لك أن تعيش في كلا العالمين؟ ولماذا أنت ملعون وملعون ممن؟



- هذه قصة طويلة يا دكتور

- وأنا أريد أن أسمع من فضلك

يبدو أن طلبه لاقى قبولاً لدى منصور، أخيراً سيحكى السر الذى لم يجروا أن يرويه لأحد طوال عمره، بعد دقائق من التردد روى منصور لسليم لعنته وقصة جده مع الساحر الإفريقى وتعاونه معه ثم قصة توبته والعقاب الذى تعرض له من هؤلاء الكائنات بأن يصير أسيرهم فى عالمهم عقاباً له لحنته وعده معهم وتخليه عنهم، واللعنة التى صارت من نصيب الجد ولذريته من الذكور من بعده.. حتى جاء دور منصور والعذاب الذى شهده بعد موت والده ثم قصة زواجه من منال لعلمه بعدم قدرتها على الإنجاب وأثر ذلك فى قبوله الزواج منها ثم محاولاتها الإنجاب والباقي يعرفه سليم جيداً،

فهم الآن الجملة التى خَبَّرْتُهُ كثيراً (لقد نجا يا دكتور).

بداخله لم ينكر سليم بأنه لو سمع هذه القصة من شهور فقط لَأَتَمَّ روايتها بالجنون، أما الآن فهو مستعد لتصديق أى كلمة يقولها منصور، لذا سأله:

- وما طبيعة دورك فى هذا العالم؟

- من الأفضل ألا تعرف يا دكتور

- ولكنى مصمم؟ وأظنك بحاجة للحديث؟

- الحديث لن يقدم ولن يؤخر ولكنى سأروى فضولك.. هذا هو العالم الخفى يا دكتور.. العالم الذى يسكنه الشياطين، عالم لا نعرف عنه شيئاً ولا يمكننا الوصول إليه إلا إذا أرادوا هم لمن يحل عليه غضبهم مثلما حدث لجدى.

- هذا بالنسبة لك أما أنا فلا لعنة تطاردنى ولم أغضب أحدهم، فكيف يتم هذا وأرى ما رأيت بينما جسدى كان مازال موجودًا تحت الأنقاض حين رأيتك بهذا العالم؟

مخطئ من يظن أن الإنسان منا جسد وروح فقط يا دكتور، إننا مجموعة متشابكة من الأشياء التى لا يمكن تصورها وتلخصها فى الروح والجسد، فأما الروح إنما علمها عند الله وأما الجسد فهو فانى ولكن لكل فرد فى عالمنا طيفًا بجانب مجموعة من المشاعر والشحنات العاطفية والذبذبات والموجات المنبعثة من جسدك ورأسك، هذه أشياء لا تفنى جميعها مثل الجسد تظل موجودة، لم يتحدث عنها عالمنا بالشكل الكافى ولم يصل البشر فيها إلا لأقل القليل، قد تبقى مع الجسد وقد تنفصل عنه، لذا تجد كثير من الظواهر لا يمكن تفسيرها وفقط يتم نسبتها إلى الشياطين.. هم أيضًا ليس بالضرورة أنهم يتحركون بيننا بأجسادهم أو أرواحهم ولكن قد يرجع ظهورهم لوجود أطيافهم بيننا.. ولكنهم يسعون لزيارتها بين الحين والآخر ليعيشوا فسادًا فى عالم البشر وسعادتهم أشد بمن يطلب منهم المساعدة، فذلك يرضى غرورهم ويُشعرهم بأهميتهم وفضلهم على الإنسان وحاجة بنى آدم لهم، ولكنهم حتى وإن قاموا بزيارتها ومكثوا بها بعض الوقت فإنهم لا بد وأن يعودوا إلى عالمهم الذى يسكنه بعض أطيافنا مع احتفاظ هذه الأطياف ببعض سمات الجسد فهذا الطيف يئن ويتعذب مثل الجسد بالضبط، فى هذا العالم رأيت الكثير من المرءة والشياطين..

رأيت مناظرهم البشعة وشممتُ روائحهم الخبيثة القذرة وعرفت طعامهم المُرْف الذي يُعَدُّ الخراء أنظفه ولا يشتهونه كثيراً، لن أنسى أول ليلة قضيتها هناك كدت أموت اشمنازاً وليتنى فعلت، بُحَّ صوتي من الصراخ، لا أعرف كيف تحمل عقلي، ما أصبره معي! لا أعرف إن كانت الأطياف تموت أيضاً أم لا أو كيف تموت ولكني حين استيقظت كنت أصرخ بأعلى صوتي لأه..لأهتم عَقَّبَ في ابتسامة باهتة وسخرية تنبض بالمرار:

- كهذا الممثل في ذلك المسلسل الشهير مع تغيير بسيط منصور الدوكش بيقول لأحسنين الدوكش بيقول لأ.

ابتسما كلاهما بعد أن وجد منصور أخيراً من يمكنه سماعه دون أن يخجل أو يخاف أن يشك فسلامة عقله ثم سرعان ما عاد منصور ليواصل الكلام:

- سأظلم البلاعات ومواسير الصرف الصحي لو شبهت بيوتهم بها، أقدر ما يمكنك تخيله لن يصف عُشر القذارة التي تحيط بهم، حتى أني في البداية لم أفهم لماذا كان الإفريقي يقدم لهم جثث الحيوانات بعد ذبحها؟ فكما علمت بأنه لا بد من الدم لاستحضار هذه الكائنات لذا كان الإفريقي يقوم بذبح تلك الحيوانات كأحد طقوس الاستحضار، حتى عرفت فيما بعد أيضاً بأن دماء هذه الحيوانات وروائحها تحفزهم وتقودهم إلى المستحضر الذي جلبهم ويطلب منهم المساعدة مقابل إحضارهم لعالمنا كي يهيئوا ويتجولوا لبعض الوقت كيفما يشاءوا في الأرض التي منحها الله لأدم وبنيه محاولين السيطرة وإغواء أكبر عدد من بني البشر للتعاون معهم وبالتالي بسط نفوذهم على هذه الأرض، وفي مقابل ذلك يقدمون بعض الخدمات لمعاونتهم من البشر، على أن يبقى متصلاً بهم طوال فترة بقائه على الأرض،



أما أنا فبينما يذهب الجميع لينام، أذهب أنا لألحق بهذا العالم الذى لا مفر منه لتبدأ ساعات من الشقاء لا يضاهيها شقاء على أرضنا حتى صرت أكره النوم وقللت ساعات نومي للحد الذى يبقينى على قيد الحياة ومهما تعيبت عن النوم فأعود لأعوض هذه الساعات بساعات أخرى من النوم يلتهمنى خلالها العذاب التهاماً.

كان سليم يصغى باهتمام بالغ يحاول الفهم

- ولكنى لم أرى أيًا من تلك الكائنات فى هذا العالم الخفى؟

هذا لحسن حظك ولأنك لم تتواجد سوى بسجن الموتى، وهو أكثر الأجزاء نظافة وهدوءًا فى هذا العالم. ربما لأن سكانه من البشر حتى لو كانوا موتى ولكننا اتفقنا بأن أجسادهم لازالت مفقودة فى أرضنا ولا أظن أن للأطفال نفس روائح الجثث والجيوف.

- إذن طيفى كان نزيلاً بسجن الموتى بينما جسدى يرقد تحت الأنقاض؟

- نعم بانتظار أن يواريه الثرى حتى يتحرر طيفك أو العثور على جسدك ليعود طيفك معه

- ولكن ما ذنب نزلت بسجن الموتى هؤلاء وأى جريمة اقترفوها لينالوا هذا العذاب ويسكنوا هذا المكان؟

- نحن نعيش على أرض العدل فيها أعز مفقود، لو كان العدل كائنًا حيًا لانقرض منذ زمن بعيد، فلا مكان له فى هذا العالم كما هو الحال فى أرضنا، وهل من العدل أن أرث لعنة لا ذنب لى فيها، ألقى بسببها العذاب يوميًا متجولًا فى أرجاء وأركان هذا العالم؟ هو قانون يسرى على الجميع

كل من يقترب من الموت أو مات بالفعل ولم يضمه قبره ولم يتخلعه باطن الأرض، يجد نفسه نزيل بسجن الموتى، معزول تمامًا ولا مفر من ذلك

- وهذا هو الجزء الوحيد الذى يحتوى على بشر أو فلنقل أطياف البشر؟

هذا العالم كبير جدًا أنت لم تربه سوى هذا الجزء الذى قابلت به حسن وصفاء والذى يسمى سجن الموتى، هناك أجزاء أخرى أشد إيلاّمًا وأسوأ مصيّرًا، هناك حدود بين كل جزء وآخر اجتازها ليلاً فى أحلامى مواجهها لعنتى، وهناك أماكن لم تصلها قدمى بعد ولا أرغب حتى.. يكفينى ما أراه

- ولكنى شاهدت أيضًا الجنود الذين يمارسون نفس الدور

- توقعتُ ذلك إنها لعبة مستمرة لا تنتهى ولكن بجانب ما رأيته هناك أماكن أخرى لم تشاهدها وبها أطياف أخرى من البشر

- أى أماكن؟

- يوجد أرض المنتحرين وهو مكان يجمع أطياف كل من أقدم على ارتكاب هذه الجريمة فى حق نفسه وإزهاق روحه التى منحها له الله ليحافظ عليها، فالانتحار ما هو إلا مجرد هروب من عذاب مؤقت إلى عذاب أبدي وهو كذلك تجسيد للغباء حين يرتدى ثوب الشجاعة، ومن يُزهقُ روحه بيده، يجد نفسه نزيلًا بهذه الأرض ليقوم بمحاولات قتل نفسه لعدد لا نهائى من المرات ويذيق نفسه صنوف العذاب مع تنوع غريب من طرق شيطانية مختلفة لقتل النفس وليست كتلك الطرق المعتادة التى يقوم بها البشر فى دنيانا لإزهاق أرواحهم، إنما طرق شنيعة اليمّة لا يمكن تخيلها، ويوجد أيضا مدينة العتاة وهى تضم صنوف من البشر العصاة العتاة الذين ارتكبوا جرائم وشنائع فى حق البشر، هم مجرمون واعتدوا

على حقوق العديد من غيرهم من البشر، جرائمهم كبرى وعقابهم أعظم، أراهم يوماً بعد يوم يذوقون ألواناً من العذاب عقاباً لما فعلوه بإخوانهم من البشر.

- وما دورك في هذه الأماكن؟

- أدوار متنوعة أنا خادم في مكان، وأداة للتعذيب في مكان وشاهد على الألم في مكان، وسجّان في مكان وأواجه تحديات عديدة في هذه الأماكن أما الدور الأعم الذى يجمع كل الأقسام معاً هو مراقبة تلك الأماكن وما تحويه من عذاب وألم وذلك على سبيل تعذيبى أنا شخصياً وما أنا إلا مسجون في هذا العالم وسجّان على هؤلاء في نفس الوقت ولكنى في الحقيقة سجين مؤقت، سجين في كواييسى كل ليلة... في الوقت الذى يذهب فيه الجميع للسريّر طلباً للراحة، أعود أنا لسجنى الخاص للقيام بتلك الأعمال القذرة ومواجهة تحديات لا تنتهى والقيام بأدوارى الكريمة ومراقبة أطباف المعتدين من البشر والمشاركة في تعذيبهم، وفي كل الأحوال أتعذب لعذابهم وأتألم لآلامهم بجانب ما ألقاه أنا من عقاب.

أه لو علم البشر ما أعلم، أه لوراوا ما رأيت.. لذهبوا إلى قبورهم بأقدامهم خوفاً من مصيرٍ آخر حاملين أوزارهم فوق أكتافهم طالبين الصفح عن كل ما اقترفوه في دنياهم وأدركوا كم أن الموت رائع ومرح بحق وليس مخيفاً إلى هذا الحد.

ران الصمت بعد أن قرغ سليم مما سمعه، حقائق تبعث على الدوار، ولوهلة فكر أيهما أشقى حسن الذى يعيش طيفه في سجن الموتى أسيراً لهذا العالم يدفع ثمن جريمة لم يرتكبها وهى جريمة عدم دفن جسده أم



منصور الذى يُعدُّ عاملاً مُشترَكًا وحيدًا بين كلا العالمين ويرى من الأهوال ما يفوق ما رآه حسن بل ويشهد ما يدور فى هذا العالم الخفى!!؟

نظرات منصور له نظرات ثابتة جامدة لا توحى بأى معنى فغمغم سليم:

- وما آخر هذا الجنون الذى تحيا فيه؟ فصاح منصور فى حنق عارم وقد جُنَّ جنونه:

- أنا أخره يا دكتور، لن أسمع بأن تتوارث اللعنة لأحد غيرى، أنا نهاية هذه اللعنة، علمت ذلك منذ اليوم الأول الذى حكى لى فيه والدى عن مصيرى بعده، كاد حى لمنال أن يفسد ما خططت له ولكن لأن لى ما ينقصنى تأنيب الضمير تجاه ابناً لى يمنحنى السعادة فأمنحه الشقاء ولأنه يكفينى ما أنا فيه من عذاب، فقد ساعدنى القدر، ولكنى فى المقابل دفعت ثمن هذه المساعدة، دفعته مُرغمًا وكان الثمن هو منال أجمل ما وقع لى فى هذه الدنيا.

- لا.. لا أظن وأن هذه هى النهاية الوحيدة الممكنة، لابد وأن هناك طريقة أخرى للخلاص مما أنت فيه، لا يوجد شقاء دائم بهذا الشكل

- أنت رأيت بنفسك يا دكتور مدى الشقاء الذى يمكن أن تواجهه، وكنت على وشك الاستمرار فيه مع العلم بأنك لم تر شيئًا من العذاب الحقيقى والتنكيل والقسوة التى لا يمكن تخيلها حتى فى أبشع الروايات والأفلام أو من أكثر البشر سادية

- هذا يحدث فى سجن الموتى يا منصور وليس على أرضنا

- وأنت تعلم بأن أسكن كلا العالمين فيسرى على قوانين كُلا منهما، فأنا من يحيا نصف حياة ويموت نصف موت

- ما هذا اليأس والاستسلام الذي تتحدث به؟

هاهاهاها ضحكة مدوية أطلقها منصور تبعته أهة مرتجفة مرتعدة،

- ومن أين يعيئ الأمل؟ وأمل في ماذا أو في من؟ ماذا لو لم تر بنفسك يا دكتور؟ ما دفعني للحديث معك هو علمي بأنك مستعد للتصديق ولن تهمنى بالخبل، فلا تجعلني أندم وأنت تهمنى باليأس، اليأس في حالتي أمانة مع النفس، ما الذي يمكن فعله مع الشياطين في عالمهم؟ على أرضهم وفي ملعبهم؟ سأثور مثلاً؟ هذا يحدث هنا في أرضك فقط ومع ذلك ي فشل.

لم يقتنع سليم بهذا الكلام ولكنه التمس العذر لمنصور بعد كل ما وقع له، وقد أدرك بأن مصيبتة أعظم مما يتصور أحد وحتى كلماته بالتأكيد لا تصف بشكلٍ كامل ما يكابده في هذا العالم، سليم أكثر من يدرك أن الكلمات تكاد تعجز عن حقيقة ما يدور في هذا العالم الخفى، وحتى الوصف وإن كان دقيقاً فلا بد وأن المشاعر وقتها أقسى وأصعب، وفي نفس الوقت شعر بتعاطف شديد تجاه منصور، إنه بالفعل يريد مساعدته، لكنه بالفعل لا يعلم كيف يمكنه ذلك، ثم خطر له بشكل مفاجئ صورة حسن الذي تركه عليها، وهي نفس الصورة التي تراوده له في أحلامه بنفس الهيئة، وتذكر بأن منصور يُمكن اعتباره حلقة وصل إن ارتضى بينه وبين حسن وكذلك صفاء إن كانت لاتزال موجودة هناك وإن كان يظن بأنها قد غادرت هذا العالم. ولكن لِمَ الظن وبين يديه اليقين فسأل سليم منصور:



- كيف حال صفاء وحسن؟ لا أظن أن جديدًا طرأ عليهما، أليس كذلك؟

- صفاء بالتأكيد شاكرة لك على مساعدتك لها يا دكتور، فقد غادرت هذا العالم منذ فترة وأعتقد أنها الآن أكثر راحة من أوقاتٍ مضى، كنت أعلم أنك من ساعدها أما حسن فلا أظن أن بإمكانك مساعدته وقد زادت الأمور سوءًا بالنسبة له

- ساءت لأن الصفاء رحلت وتركته؟

- ليس هذا فحسب، وأعتقد أنه اعتاد مثل هذه الأمور، ولكن مصيبتته الآن أعظم بعد قدوم فريد المرجاوى

- فريد المرجاوى؟ وما الذى يعظم مصيبة حسن بقدوم فريد هذا؟

- هذه حكاية أخرى يا دكتور.. واحدة من عشرات الحكايات المأساوية التى لا تنتهى وأراها وأعايشها، لا تتدخل أكثر يا دكتور، لقد عرفت وفهمت ما وقع لك، وَقَدِّمْتِ المساعدة لصفاء وهذا يكفى.. أما ما يدور الآن فى سجن الموتى فيفوق طاقتك، عُذْ إلى حياتك يا دكتور وانس تمامًا ما رأيته، وانس هذه الزيارة وهذا الحوار، لقد نجوت يا دكتور، لم تنجُو من الموت فقط ولكنك نجوت من عذابٍ لا يمكن تصوره، عُذْ إلى أسرتك وابق بجانبهم! فى نعمة لو تدرى عظيمة.

- ولكننى أريد الاطمئنان على حسن، ولا أحد غيرك قادر على طمئنتى عليه

- كيف أطمئنك عليه وأنت تعلم أنه فى أحسن الأحوال يتألم من الوحدة والفراغ والعدم الذى يعيش فيه؟



- معك حق ولكن ما حكاية فريد هذا الذى زاد الأمر سوءاً؟

- يبدو أنك تهوى المشاكل أو تظن أنك قادر على حلها ولكن صدقنى هذه المرة الأمر غير أى مرة.

- فقط أريد أن أعرف وأنا من سيقدر إن كان بإمكانى حل المشكلة والتدخل أم لا , فمن البداية وأنا أعرف بأن إنقاذ حسن يكاد يكون مستحيلاً ولكن ما الجديد الذى طرأ عليه بعد قدوم فريد هذا؟

- فريد هذا نزيل جديد بسجن الموتى جار قديم لحسن وأخ لمحبوبة وقعت فى شرك الخطينة مع حسن قبل اختفائه, ففقدت عذريتها على يده. لا بد وأنها لاقت معاناة لا تُحتمل وخوفاً قاسياً من عقاب تعرف مقداراه وحين افتضح أمرها مع قرب إتمام زواجها لشاب من العائلة, لقت مصرعها بطعنة من شقيقها فريد أردتها قتيلاً ولكن بعد أن أفصحت عن العاشق الغائب أو الهارب فى نظر أهلها. ولكى يتستروا على الجريمة زَيَّفُوا عُرْسًا دون عروس وأعلنوا سفرها للعيش مع زوجها بدولة خليجية.

إنه آخر من يرغب حسن برؤيته, أشرس من أن أصفه لك ولكن لى أَقْرَبُ لك الصورة وكما رأيت طيفه فله جسد خرتيت, ووجه قاسى لن ترغب بالنظر إليه وعقل يسكن فى قبضة يده, هى التى تفكر وتقرر وتبتطش .. ثور هانج يود الفتك بحسن فى أسوأ مكان ممكن, جزاءً على تلوينه لشرف فريد ولتركة لأخته تتلقى العقاب وحدها بالقتل



حتى وإن كانت نسب نجاح المحاولة ضئيلة، فهي لا تعنى صفرًا

كانت الصدمة صدمتين... صدمتي في حسن وما ارتكبه من خطيئة تتنافى مع الصورة الملائكية التي رسمتها له، وصدمتي من سخريّة القدر ليجمع كلا الرجلين في هذا المكان. بالطبع كنتُ ساذجًا حين تصورته ملاكًا.. فمن منا بلا خطيئة؟! ومن منا ليس لديه ما يخجل منه لولا سَتْرُهُ جَلَّ شأنه؟! ربما كان ينوى حسن الارتباط بها، ربما وعدها بالزواج، بالتأكيد صدقته، لكنها فرطت فيما لا يجوز المساس به أوحى الاقتراب منه دون إشهار.. كذلك خالَ القدر دون تنفيذ حسن لوعده أو تصويب خطأه ليختفى عبر حادث يفقد من خلاله حياته ليس ذلك فحسب بل وتلقّى به في عالم لم يخطر على عقل بشر، ليترك خلفه فتاة مصدومة مرعوبة تواجه كابوسًا أودى بحياتها.

وفي نهاية المطاف يلتقى الرجلان وجهًا لوجه على أرضٍ غير الأرض، لتصفية حساب كاد أن يذهب في طي النسيان.

انتهيت من استيعاب جملته بالشكل الذي يسمح لي بالكلام فقلت في غير تصديق:

- انتقام في هذا العالم؟ ألا يكفي ما هما فيه؟

تجاوز أمر كهذا واعتباره كأن لم يكن أمر ليس باليسير مع شخص مثل فريد .

- وكيف كان حال حسن حين وقعت المواجهة؟

لم أكن متواجداً وقتها... ولكن لا بد وأن فريد كان في حالة من الذهول شأنه شأن الآخرين، فكيف لحسن أن يتفادى رؤيته له خاصة وأنه لا يعلم ما صارت إليه الأمور بعد اختفائه؟ أثناء تجوالى المعتاد لمحت حسن خارج الحدود التي تعرفها لهذا الجزء، اقتربت منه لأعرف سر تواجده خارجها فأخبرني بما قصصته عليك، وأضاف بأن القدر لم يمهل الوقت الكافي لتنفيذ وعده للفتاة بالزواج، ثم حاول معرفة من أنا وما الذى يدور بالخارج؟ فأجبتته بأن ذلك ليس من شأنه وعليه عدم السؤال كي لا يندم.. فقط حذرته من الوصول لما هو أبعد.. إنهما يلعبان الآن دور القط والفأر بشكل سادى بالنسبة لفريد مرعب لحسن، مُسلى لشياطين هذا العالم.

- ولكنى علمت من حسن بأنه لا يمكن مغادرة هذه الساحة خوفاً مما ينتظره خارجها؟

- لم يبتعد حسن كثيراً كما تظن ولكنه فقط يحاول التخفى ربما تجره قدمه هو أو فريد إلى ما لا يُخمد عُقباه

- ولكن هناك من خرج وتم تعذيبه حتى انتهى

- من قال أنه انتهى؟ لقد خرج بإرادته وعليه تحمل تبعات ذلك، وما زال يهيم في جنبات هذا العالم، ولا أضن بأن لديه الوقت حتى يندم

- وأين أنت من ذلك؟ تقف وتشاهد وتتسلى؟ قلتها في حنق عارم، فلم يرد منصور فواصلت حديثي:

- ماذا لو لم يجدوا جسدى تحت الأنقاض؟ ماذا لو كانت جثتى مفقودة ولا أحد يعلم مكانها؟ هل كنت ستتركنى أعانى في هذا السجن وتشاهدنى بينما أتعذب وأواجه الملل والحسرة على جسد لا أعلم أين ذهب، تسبب في

وجودى ومعاناتى؟ أئن تمد يدك لى، أئن تساعدنى؟ أم أن سلبيتك سيطرت عليك بشكل كامل وجعلتك دمية فى يد هؤلاء الشياطين لا تنفذ إلا ما يريدون، ولا تأتمر إلا بأوامرهم، أم أنك تتلذذ برؤيتك لبعض أقرانك من البشر يذوقون مثلك صنوفاً من العذاب ويتجرعونه كأساً وراء كأس فى غير رحمة ولا إشفاق؟

لا تجد من الكلام ما تقول، يبدو أن كبد الحقيقة أصيب ولا مناص أليس كذلك؟

- من السهل إلقاء الاتهامات جُزأً دون تحرى ودون تدقيق هذه هى أفتنا.. لو كان بيدى المساعدة لقدمتها لنفسى ولا أموت ببطء كما هو الحال الآن، أنت لم أرك فى سجن الموتى سوى مرة واحدة وأنت فى طريقك للعودة من جديد، أما من أقابلهم وأنا فى هذا العالم هم أكثر مما يمكنى مساعدته أنقذ من أم من؟؟!! عشرات ومئات أقابلهم، لم أكن السبب فى وجودهم هناك غير أنه غير مسموح لى بالمساعدة من الأساس، هذه إحدى القواعد التى لا ينبغى لى كسرها. هذا أسلم وأصلح للجميع.

- كما قلت أنت مستسلم تماماً ولا تريد حتى مساعدة نفسك، نحن لسنا لعبة فى يد أولئك الشياطين كى يتحكموا بنا وبمصائرنا بهذه الطريقة ولن أسمح بأن تَبُتَّ فىِّ يأسك وانهمزاميتك هذه، صحيح أنا أرثى لحالك بسبب ما حدث لطفلك وزوجتك ولكنى أرثيك أكثر لهذه الدرجة من اللامبالاة التى وصلت إليها، لدرجة أنك تحكى ما يدور فى سجن الموتى الآن كما لو كان فيلم السهرة تشاهده وأنت تتسلى باللب والسودانى على سريرك

- هل أنهيت كلامك؟ قلت كل ما تريد؟ شعرت بأنك إيجابى وأن لديك الحلول أو قريب منها؟ هيا العب دور المنقذ كما تشاء! سأساعد لهذا

صدقني، ولكن تذكر أنك من طرقت بابي وطلبت الحديث معي، فلا تكررها
فلا أريد أن أراك ثانية، وتفضل الآن لو سمحت.

ثم أشار لي بيده ماذا ذراعه بشكل أفقى مشيرًا ناحية الباب، وقتها أدركتُ
أني بالغت بعض الشيء في لومه وحملته أكثر مما يحتمل ولم أراعى الحالة
التي هو أصلًا عليها، شعرتُ ببعض الندم اللحظي غير المُجدي وقتها، فلا
كلام يمكن قوله بعد ما قيل مني ومنه.

تبًا للتسرع يبدو أني أخرجتُ غضبي وقلقي على ما وقع لحسن في منصور.
لست مخطئًا في كل ما قلت ولكني كنتُ حادًا أكثر من اللازم، لم أجد بُدًا
من الإذعان لكلامه فاتجهتُ ناحية الباب بخطوات متناقلة مترددة يتبعني
منصور بخطوات مسرعة متسرعة تريد أن تغلق الباب بأسرع ما يمكنها
والعودة لعالمها الخاص، خرجتُ من الباب وقبل أن يغلقه في ظهري..
استدرت بسرعة ووضعت ذراعي على الباب متسانلاً ولا أعلم إن كنت
سأظفر بإجابة أم لا:

- أين يمكنني أن أجد فريد المرجاوى؟ أو أجد جنته؟

لم يُجب فقلت على الفور:

- أين كان يعيش في أواخر أيامه؟

- ذهب في جنوب سيناء

ثم بكل ما أوتي من قوة أزاح ذراعي وأغلق الباب في وجهي مُخديًا صوتًا
عنيفًا ارتجت له جنبات السلم والبناية بأكملها.

قلب شريف الصفحة فوجد ما يتبعها ورق أبيض، فعرف أن هذه الجملة هي آخر ما حَظَّت يد سليم صديقه قبل اختفائه. الآن صارت لديه صورة واضحة عما كان يشغل بال سليم في الفترة الأخيرة وسبب التغير الذى طرأ عليه في علاقاته بمن حوله، ليست التجربة المبررة التى تعرض لها ونجا منها بل ما رآه أثناءها وَقَدَّمَ عليه العديد من الشواهد في تلك المذكرات في رحلة بحثه عن الحقيقة، ورغم عدم اقتناعه لكن ما قَدَّمه سليم إن صح سيكون دليلاً دامغاً على صدق ما رأى، ثم تذكر شريف ما أَخْبَرَتْهُ به جيهان بأنه تم رصد سيارة سليم في السويس ثم سيناء، لا بد وأنه كان في رحلة بحث جديدة عن هذا المدعو فريد المرجاوى.

الله اكبر الله اكبر

الله اكبر الله اكبر

انطلق أذان فجر يوم الإثنين وشريف أنهكه التعب ولكنه تغلب عليه وقام ليتوضأ ويصلى، فقد مَرَّ وقتٌ طويلٌ على آخر مرة سمع فيها الأذان بهذا القرب نظرًا لسفره بالخارج فترة طويلة، وبعد أن فرغ من الصلاة كان يود الاتصال بجيهان لإخبارها بما توصل إليه من معلومات بشأن سليم، ولكن حال بينه وبين ذلك تردهه نظرًا لتأخر الوقت ولكنه كان يقول في نفسه بأنه يجب الإسراع لإنقاذ ما يمكن إنقاذه خاصة وأن الظرف يحتمل اتصالاً متأخرًا في هذا التوقيت، وعلى الفور أحضر هاتفه وضغط عليه حتى ظهر رقمها فضغط ضغطة أخيرة مُتَّصِلًا بها



أنت يا من جنت لتعرقل سيرى
يا صاحب الوجه المخفى
أنت يا من جنت لتهاجمنى, لن أدعك تهاجمنى
أنا باقى أنا حىُّ أنا متماسك
مُتَبَقِّظٌ فى سلام
لن ينتفخ جسدى, لن أتعفن فى كفى
لن أصابَ بسوء
لن تكسر جمجمتى, ولن تُسدَّ أذناى
كتاب الموتى (الخروج فى النهار)

هذا الجزء لم يكتبه سليم في مذكراته

بعد أن علم سليم من منصور ما حل بحسن بعد وصول فريد المرجاوى وعلم أنه متواجد بمدينة ذهب، كان من الصعب عليه تجاهل ما عَلِمَ.

في قرارة نفسه يعلم سليم أن ما اقتطفه حسن خطيئة ولكن سجن الموتى آخر مكان يمكن فيه تصفية حسابات أمور وُلَّت، ولن يترك حسن يعيش فيه مُطارداً، عليه تقديم مساعدة أخيرة لصديق في عالم آخر تُمَكِّنُهُ من العيش بسلام، وأدرك أنه لا بد من الوصول لجثة فريد كي يرحل عن حسن وعالمه بما أنه لن يتمكن من الوصول لجثة حسن ، فقرر الذهاب إلى ذهب، لعله يحظى بمعلومة يمكن تقديمها للشرطة كما فعل مع صفاء.

كان يسابق الزمن، كأنما يطارده الموت حتى أنه وصل إلى ذهب في أقل من 5 ساعات وهو زمن قياسي مقارنة بالمسافة من القاهرة لذهب، لحسن الحظ أنها مدينة صغيرة صار يتجول بين الفنادق يسأل عن فريد هذا في أكثر من 6 فنادق متفرقة بين جميع العاملين بهم، لا أحد يعرفه أو سمع عنه حتى بدأ الهأس يتسرب إليه وأخذ يفكر في ضرورة العودة إلى منصور لمنحه مزيداً من المعلومات تُمَكِّنُهُ من الوصول إليه أو حتى اللجوء إلى عماد رغم إثارة ذلك لفضوله وفتح مجال لا ينتهي من الأسئلة التي لا يملك سليم الإجابة على أغلبها.



اتجه إلى أحد المطاعم لتناول بعض الطعام بعد هذه الرحلة الشاقة وقبل رحلة العودة من جديد، أتى الجرسون بالطعام فسأل في محاولة أخيرة لن تضر إن كان يعرف أحد باسم فريد المرجاوى أم لا؟ فأجاب:

- في الحقيقة لا أعلم يا باشا، أنا جديد في هذه المدينة ولكن عم سيد قد يفيدك فهو له سنوات في دهب ويحفظ كل شبرٍ فيها ويعرف كل فردٍ هنا

- وأين أجده عم سيد؟

- هو كبير الطبّاخين هنا وأفضل طعام في دهب يمكن تذوقه سيكون من صنع يده

وصل سليم إليه وسأله بعد أن عرّفه بنفسه:

- هل تعلم أحد باسم فريد المرجاوى يا عم سيد؟

نظر له سيد نظرة متفحصة من أعلى لأسفل، ثم أخذه سليم جانبًا قائلاً:

- هذا الحيوان لى ثأر عنده وأريده بأيّ ثمن

كان لهذه الجملة مفعول السحر على عم سيد، ما إن سمعها حتى ألقى ما في جعبته

- هو يعمل في نادٍ صحى يسمى (...). ستجده هناك

- أشكرك يا عم سيد

ثم دَسَّ سليم مبلغاً من المال في يده فابتسم ابتسامة رضا وذهب إلى المكان الذى حدده فأخبروه بأنه متغيب عن العمل منذ أسبوع ولا أحد

يعرف مكانه ويمكن سؤال صديقه فتحي الذى يعمل فى فندق (...) فلا بد وأنه يعرف مكانه، أما هم فلم يعودوا بحاجة إليه فقد وجدوا بديلاً له.

لاحظ سليم أن كل من يعرف فريد يتحدث عنه بكرهية هل هو مشهور بسوء سلوكه هنا؟ لم يتمكن سليم من الجزم بشأن إجابة هذا السؤال ولكنه وصل إلى فتحي صديقه فى مسكنه بعد أن أخذ عنوانه من الفندق وطلب منه الحديث قليلاً.

أخيراً وصل إلى الفندق الذى يعمل به فتحي أعز أصدقاء فريد كما ذكره عم سيد، سأل عنه فى الاستقبال فوصفوا له مكانه فى المطعم الرئيس للفندق، تعرف عليه بسهولة كما وصفه له عم سيد شاباً نحيفاً بعض الشيء ولكنه طويل بشكل ملحوظ رأسه يحمل شعراً أسوداً حريصاً ناعماً يُدكَرُكُ بشعر أنور وجدى قديماً يتميل يميناً ويساراً مع كل التفاتة أو حركة خاطفة مفاجئة لرأسه الصغير، متزوج من امرأة إنجليزية تُقَدِّمُ فقراتٍ ترفهية بذات الفندق تماثله فى العمر تقريباً، وله منها طفل فى الخامسة من عمره يقيمون بأحد المساكن القريبة من الفندق.

توجه إليه مباشرة وطلب الجلوس معه لدقائق، بدا هادئاً واثقاً، فأشار لسليم المتوجس بالجلوس على إحدى الطاولات كى ينتظره قليلاً، فرغ من بعض الأمور فى دقائق قليلة ثم شاركه الطاولة وحيّاهُ بنصف ابتسامة قائلاً:

- أهلاً وسهلاً، تفضل
- أشكرك جداً، بدون مقدمات كى لا آخذ من وقتك الكثير، أود سؤالك عن صديقك فريد المرجاوى

بوغت حين سمع الاسم وتململ في مكانه، لاحظ سليم ذلك بسهولة وأدهشه ذلك بشدة، إنه يسأله عن صديق وليس تاجر مخدرات، فأجابه في صرامة بعدما تبدلت ملامحه الهادئة للملامح يغلب عليها التوتر:

- ما له؟
- بحثت عنه في كل شبر داخل ذهب ولم أجد له أثرًا، فنصحتي الكثيرون بالتوجه إليك مباشرة بصفتك صديقه المقرب.
- ومن حضرتك لتسأل؟

أعتذر عن عدم تقديم نفسه من البداية وقدم له نفسه بصفته قريب له من بلدته في بني سويف يحاول العثور عليه للتفاوض حول قطعة الأرض التي ورثها عن والده، كانت تلك إحدى المعلومات التي عرفها عن فريد من محل عمله وحاول استغلالها، لكن فتى أجابه متظاهرًا باللامبالاة:

- حقيقة لا أعلم، منذ أسبوع أو أكثر لم أقابله وهاتفه لا يعمل، فلربما يكون بصحبة إحداهن وما أكثرهن هنا في ذهب أو ربما يكون في شرم الشيخ.
- أهو معتاد على مثل هذا الغياب؟
- نعم متى قابل إحداهن، خاصة لو كانت فاتنة يتجه بها إلى شرم الشيخ لقضاء بعض الوقت فالمدينة هنا صغيرة كما ترى.. أنت تعلم هذه الأمور

فقال سليم إلى الأمام وَتَبَّتْ عَيْنِيهِ فِي عَيْنِ مُخَدِّتِهِ:

- ولكنهم أكدوا لي في عمله بأنه لم يعتد الغياب بهذا الشكل وهم قلقين عليه جدًّا

كانت هذه من عنده، أراد استدراجه فلم تُفْلِح المحاولة لأنه أجاب بحزم:

- أمتأكد مما تقول؟

شعر بالإحراج من تشكيكه لكن فتحى بدا واثقًا فأجاب سليم بنفس الحزم

- بالطبع، أنت لا تعرف مدى حاجتى له، أتمنى العثور عليه فى أقرب وقت

- وأنا أيضًا، وددت لو أمكننى المساعدة ثم سمع سليم هذه الجملة بصوت طفولى

- هاى داد ويريزماى مام؟

كانت تلك من ابنه طفل أوروبى خالص، عيون زرقاء كماء البحر، شعر ذهبى تتطاير خصلاته لتنتثر نورًا كشعاع الشمس شفاه حمراء بلون الكريز بشرة شفافة من فرط نعومتها، حَيَّاهُوالده ثم وصف له بانجليزية رديئة مكان والدته، فانطلق الطفل حيثما أشار.

- اشعر أن اختبائه يُمَثِّلُ لُغْرًا وليس أمرًا اعتياديًا أبدًا فكما فهمت لقد اقترب من العشرة أيام وهو أمر غير مقبول فى مدينة صغيرة كدهب، أشعر وبأن الأمر وراءه سر أو ربما جريمة.

- جريمة؟ قالها فتحى منزعجًا ثم أردف "ومن له مصلحة فى اىذاءه؟"

- لا بد من أن أحدهم أذاه لأى سبب، اختفائه بهذا الشكل يثير قلقى

- لا، لا أظن بأن الأمور تحت أى ظرف قد تصل إلى ذلك، هو ربما هنا أو هناك

نظر سليم له مشدوهاً، ففتحنى يتحدث ببرود عجيب لا يناسب الموقف، لاحظ فتحنى صمته وشروده فزاد توتره ثم أردف فى تردد:

- وما نوع الجريمة التى تظنها وقعت له قتل أم اختطاف؟

لم يعلق سليم فأضاف فتحنى ساخطاً مستحناً الإجابة: هه؟

هناك سر يُخْفِيهِ فتحنى ولكن سليم قد سئم لعب دور المحقق بوارو، وشعر بأن الموضوع ليس بالسهولة التى يتصورها، وفى قرارة نفسه اتخذ قراره بترك هذا لذوى الخبرة من رجال الشرطة سيكونون أكثر حزمًا واحترافية، سيفعل مثلما فعل فى حالة صفاء رغم أنه ليس على علم حتى بمواصفات القاتل، ولكنه مُتَيَقِّن من الجريمة نفسها وعليهم العثور على الجثة وفتحنى ربما لديه معلومات يُخْفِيهَا لسبب ما، قد يستلزم الأمر بعض الوقت، لكنه أفضل من لا شىء. تذكر سليم سؤاله وهو شارد فى أفكاره وعيناه فتحنى تلتظران إجابة تطمئننه ولا يدرى سليم سبب قلقها أصلاً، أهو غياب صديقه أم شعوره تجاهه بعدم التصديق الذى لا بد وأنه استشفه فقرر سليم منحه إجابة صادقة مُرَدِّدًا فى يأس:

- أظن أن رجال الشرطة أجدر منى بالإجابة عن هذا السؤال، أنا أريد الاطمئنان وأنت أقرب أصدقائه لا تعرف سبب اختفائه، إذن الأمر خطير، أرجوك لا تبخل عليهم بأى معلومة متى سألوك بصفتك صديقه المقرب.

قال هذه الجملة ضاعطاً على كل حرف، لسبب لا يعلمه، لم يسترح له سليم، وكذلك الحال بالنسبة لفتحي فهو أولاً وأخيراً صديق لشخص بغيض لا يطيقه حتى زملاؤه.

لم يُعَلِّق بعد جملة سليم الأخيرة ولاذ بالصمت، حَيَّاهُ وانصرف سليم إلى سيارته ولكنه كان في غاية الإنهاك، بقى في السيارة بعض الوقت حتى غلبه النعاس، وحين استفاق كان الظلام قد حَلَّ تماماً، فأدار السيارة عازماً العودة للقاهرة، وبالفعل تحرك بالسيارة مُودِعاً هذه المدينة الهادئة التي اعتادت وداع زائريها فأغلبهم من السياح، حتى العاملين بها من السائحين في دنيا الله، لو اختفى أحدهم ما اكرث أحد، فالعجلة تدور والتروس تعمل وإن تعطل ترس فما أكثر من يبحث عن فرصة ليعوضه.

خرج سليم من المدينة وسار في الطريق الضيق بين الصخور والمرتفعات، الطريق جبلى ضيق وعمر ممتع نهائياً، مخيف ليلاً، بالطبع أعمدة النور غير منتشرة بطول الطريق وليس جميعها يعمل، وحدها إضاءة السيارة هي ما يضيء ظلمة الطريق، وفي جزء من الطريق بالغ الضيق شديد الوعورة، يُفاجأ بسيارة تدفعه بقوة من الخلف، أسرع سليم في القيادة ولكن واضح أن السيارة الأخرى تلاحقه.. لم يفهم سبباً لهذا ولم يكن لديه وقتاً للتخمين ولكنها تحاول إيذانه بكل ما أوتيت من قوة، والطريق لا يحتمل هذه المُطَارَذَات في مثل هذا الظلام، وبينما يتفادى صدماته من الخلف سيارة أخرى قادمة من بعيد من الطريق المعاكس ضوئها يعمي الأعين، فيتفادها هي الأخرى ثم في جزء من الثانية ينحرف عن الطريق ويهوى في منحدر طويل وصغار الصخور تتقاذف سيارته ليجد أضخمهم بانتظاره في القاع بعد أن أيقن سليم أنها الخاتمة.



ما أسهل أن تكون عاقلاً بعد فوات الأوان

مَثَل فرنسى

191

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية

انضموا لجروب ساهر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
sa7eralkutub.com او زيارة موقعنا

سليم هنا ثانية في سجن الموتى، مُمدِّداً على الأرض والألم يفتك به من جديد، كم طالبت فترة بقاءه في السيارة؟ هل مات دون دفن أم لازالت أنفاس أخيرة تتسابق لتنال حظها من الحياة قبل مفارقتها؟ تبدلت الأسئلة عن المرة السابقة وإن احتفظت بذات الغموض.. لا جواب يروى ظمأه.

رفع ظهره وسمع صوت الموج يبدو أنه قريب جداً من الشاطئ، بالفعل وجده على بعد أمتار قليلة، ثم فكر هل الأطياف لا تذوب أو تتحلل في الماء؟ أليس هذا ما يحدث مع الأجساد عند بقاءها فترة طويلة في الماء مما يجعلها تتحلل وتتغير معالمها، أم أن هذه ليست كالماء الذي نعرفه؟ أسئلة من جديد لديه حياة بأكملها هنا ليعرف إجاباتها.

هذه المرة يعلم حقيقة هذا العالم ولكنهل يترك الندم ليتغذى على ما تبقى لديه من مشاعر؟ هل من جدوى لهذا؟ لا يظن.. ربما فقد بوصلة المنطق.. ربما فقد أهله وعمله وعالمه.. ولكن هل الأمر يستحق؟؟!! ربما لو تَرَبَّثَ قليلاً.. لو اكتفى بالمساعدة من بعيد ربما ما وصلت الأمور إلى هذا الحد. وما هو مقدار سوء الحظ الذي يمتلكه ليلقى به في هذا العالم مرتين متتاليتين؟

على الرغم من ذلك كان همه الأكبر العثور على حسن.. والاطمئنان عليه.

من جديد لازال الجو المعتم كما هو والإضاءة التي لا مصدر لها والخواء أو فلنقل العدم، كل شيء كما هو، نهض بسرعة، كان متيقناً بأن قدومه هذه المرة للإقامة الدائمة وليس زيارة خاطفة تستمر ساعات ثقيلة، جرى

مسرّعًا باحثًا عن الأجزاء الأخرى التي أخبره بها منصور أرض المنتعرين ومدينة العصاة، كيف يمكن الوصول لها؟ لا يعرف، إذن فليبحث عن الخندق، هروول في جميع الاتجاهات، سمع أصوات الطلقات، هناك العديد من الجثث أو فلنقل المصابين الذين يصابون لبعض الوقت في تمثيلية تبدو حقيقية، لم يكن خائفًا من الموت أو الطلقات كأول مرة، كان واثقًا من هلاكه فلن يضيره طلقة أو إصابة، بل يمكن القول أنه أراد أن يجرب ماذا سيحدث لو أصيب؟ ولكن لم يحدث شيئًا وكان ما يدور حوله محض أوهام، مضى الكثير من الوقت حتى وصل إلى الخندق، قفز من جديد واتبع نفس خطوات المرة الأولى حتى قفز القفزة الأخيرة التي ألقت به في أحد جوانب تلك الساحة، نفس السكون واليأس على وجوه الجميع، والصورة المهترئة تترقرق دون انقطاع تاركة انطباع غير مريح على الإطلاق، بحثفى أرجاء المكان لعله يجد منفذ يقوده إلى أى مخرج، كانت الساحة أكبر مما يظن حتى تصور أنها غير الساحة الأولى التي قابل بها حسن وصفاء والأطراف أكثر مما تصور ولكنهم صامتين منعزلين، كلٌّ في خالِهِ، جدران تبدو كرتونية ولكنها صلبة للغاية عالية تحيط بالمكان بجانب الجدران والأعمدة التي تتوسط تلك الساحة، حتى السقف يبدو هُلاميًا، خيوط واهنة من الدخان تبعث من خلاله لكنها سريعة الذوبان تكاد لا تُلاحظ.

بعد فترة من البحث وجد فتحة في الجدار يمكن بمزيد من الجهد العبور من خلالها، خرج بعدما دس جسده أو ما يظن أنه جسده، لون الأرض يتغير ويميل إلى السواد والحرارة تزداد أكثر وأكثر، فيزيده ذلك غضبًا على غضبه، صار كئيبًا ليس لديه ما يخسر ولا يهاب أى مصير.

عزم بأنه لن يترك فريد ينال من حسن , واصل السير والإضاءة تزداد خفوتاً وأصبحت أكثر مهلاً للصفرة مما أشعره بأن الجحيم الحقيقي يقترب أو لعله على مشارف أحد الأجزاء التي أخبره منصور عنها ثم فجأة برزت درجات سلّم عريض بعض الشيء، يبدو حجرين عتيقاً، نظر لأعلى ولكن الرؤية كانت معدومة وكان شهورة قوية تُحيطُ بالمكان، صعد درجات السلم بمزيد من الحذر، سلم يبدو بلا نهاية، لا بد وأنه صعد كثيراً جداً، لو علم بأنه بهذا الارتفاع ربما ما صعد درجة واحدة، أخيراً بلغ نهايته، فوجد فسحة واسعة بلا جدران يتخللها ممر طويل عريض بشكلٍ كافٍ، على جانبي الممر توجد العديد من الغرف، مر بإحداها فوجد أن الغرفة متداخلة ومتشابكة، فولج بالغرف على الجانب الأيمن ليجد كل غرفة تقوده إلى غرفة أخرى في مناهة كبيرة، لا بد وأن تكون ذاكرتك فولاذية كي تتمكن من العودة، ولكنه شعر بالياس فجأة يبدو أنه سيقتضى المتبقى من الوقت في هذه المناهة، لا قيمة للوقت هنا ولكن انقضى الكثير منه، هدأت خطواته من التعب وارتكن إلى أحد الجدران طلباً للراحة، بدأ يسمع صوت بكاء مكتوم خفيض، أرهف السمع، إنه في الناحية الأخرى من الجدار، دار حوله ليجد شاباً متكوماً على نفسه يهينه كما هي عادته، ولكن بأقل صوتٍ ممكن. اقترب منه ورفع رأسه، إنه حسن، لا يمكن وصف البسمة التي ارتسمت على وجهه الحزين حين رأى سليم، لم يكن اللقاء الثاني به كاللقاء الأول أبداً، هذه المرة أكثر حرارة فقد قابل صديق ظن أنه لن يراه ثانية، وجده مُتَحَسِّساً جداً للحديث، مُتَبَهِّجاً على غير العادة وإن حاول إخفاء ذلك، مراعاة لمشاعر سليم وبلهجة تمتزج فيها فرحة مستترة بحزينٍ ظاهر قال له:

- دكتور سليم؟ ما الذي عاد بك إلى هنا؟



فقال سليم مازحًا في يأسٍ مُتَوَارٍ:

- جئتُ كي أطمئن عليك، ثم إن الجو هنا دافئٌ بعض الشيء وهناك موجة من الصقيع على أرضنا
- هذا ليس وقت مزاح؟
- ستعلم، بالتأكيد ستعلم، ليس لدينا أكثر من الوقت، ولا سبيل لتمضيته سوىًا إلا بالكلام.



196

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية

انضموا لجروب ساهر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
sa7eralkutub.com او زيارة موقعنا



" ليت السماء النحاسية الهائلة تدق رأسى هذه الساعة.. ليتها تزرع
الرعب في قلب كل رجل من أبناء الأرض إن أنا تخاذلت في مد يد العون
لأحبائي أو لم أسبب الألم والحزن لأعدائي "

ثيوجنيس شاعر إغريقي

انتابت سليم وقتها حالة من اللامبالاة وربما الخَبَل , فلم يكن يعياً بموته وما حدث له قبل العودة, فقط مرارة في حلقه لرحيله مرة أخرى عن أهله, كان لديه حافظ هو حماية حسن وإبعاد فريد عنه, وقد وصل إلى عالمهما دون إرادة منه ولكنها إرادة القدر, فليكن ما يكون, وعليه بشكلٍ أو بآخر التروى وإدراك أن هذا ليس بالمكان المناسب لتصفية الحسابات خاصة وأن حسن لم يتهرب كما كان يظن أو كان يتنعم غير عابئ بذنبه

جلس سليم بجوار حسن وسأله عن صفاء فشرّد ببصره ثم قال:

- رحلت بعدك بفترة ليست بالقليلة وسَمِعْتَ اسمها كما سَمِعْتَ اسمك, وقتها كانت تبكى وهي سعيدة, وتضحك وهي في غاية الحزن, مزيج من المشاعر الغربية المتناقضة لم أفهمه, كانت سعيدة بخروجها من هذا العالم, ولكن فترة بقائها الطويلة هنا جعلتها واثقة بأن وجهتها بعد هذا العالم هو قبرها, تُرى ماذا سيكون شعورك وأنت تعلم بأنك ذاهب إلى قبرك, ليس للزيارة, بل للبقاء فيه.. وحدك.. وحدك.. حتى تقوم الساعة؟؟!!

أعقبت جملته فترة من الصمت ثم قال:

- ولكنها بالتأكيد أسعد حالاً منى ومنك الآن, هل حاولت مساعدتها؟

فاجأ سليم هذا السؤال, ولا يعرف أى إجابة ستريجه أكثر, فوجد أنه لا داعي للكذب فقال بصدق:

- نعم حاولت
- كانت واثقة من ذلك وأنا أيضاً، لا تحزن يا دكتور، أمثالك ليس
مكانهم هنا

اندعش سليم من جملته التي يحاول بها مواساته فقال على الفور:

- ولا أمثالك يا حسن، سجن الموتى لا يميز الصالح من الطالح
- سجن الموتى؟؟ ما هذا الاسم؟
- أعتقد أنه الاسم الأنسب للمكان الذي يجمعنا، فجميعنا هنا
حبيسى هذا العالم وأقرب للموت
- ولكن لماذا لم تبق في الساحة، كما فعلت في المرة الأولى؟
- لم أجدك هناك، ولا أعرف أحداً غيرك هنا ولن يرحب بي سواك،
فحاولت البحث عنك، قل لى ما الذى حدث في الفترة السابقة
بعد رحيلى؟
- لا شيء جديد حتى رحلت صفاء هي الأخرى، لتتركنى وحيداً كما
كنت قبل قدومكما مع مجموعة من البشر، الصمت والصدمة
هما الصفتان الأبرز لهما، حتى جاء فريد المرجاوى

تظاهر سليم بعدم المعرفة وقال:

- من هذا الرجل؟

تردد قبل البوح بسره:

- هو رجل من بلدتى، كنت أهميم بأخته عشقاً وأخطط للزواج منها
بعد خطأ كبير ارتكبناه سوياً، حالت الأقدار دون ذلك وقد ظنوا
أنى هربت ، فقتلها فريد بدم بارد وضمير مرتاح، حاولت قدر

الإمكان الابتعاد عنه، لكن المواجهة كانت واقعة لا محالة.. بالطبع لم أستطيع أن أروى لك ذلك أثناء وجود صفاء معنا، وربما لو كانت غير موجودة ما رويت لك ذلك الأمر أيضًا، إنه ذنب يندى له جبهي خجلًا، وبمزقتي تمزيقًا، لو بكيت ما تبقى لي هنا من وقت ، ما عبّر ذلك عن نصف ما يعتريني من ألم .

- وكيف تعاملت معه؟

- كان ظهوري مفاجئًا له كما هو الحال بالنسبة لي، ولكن ذاكرته استدعت على الفور قتله لأخته بيده بسببي، أعلم أن ذلك ليس بالشيء الهين ولكنه لم يعلم كم أتعذب وأنا هنا حزناً على فراقها وكم تألمت خوفاً عليها وعلى ما آل إليه مصيرها بعدى، لم أتصور أن قتلها هو الجزاء ولكني علمت أن العواقب وخيمة وستواجهها وحدها

ثم بدأ يتهدج صوته والتأثر الشديد بادٍ عليه .. تفهم سليم ذلك شعور بالذنب لا ينقطع لمن كان له نصف ضمير فما بالك لو كانت حبيبته .

وبعد أن هدأ قليلاً سأله سليم:

- لذلك خرجت من الساحة؟

- بالطبع لم يعد البقاء ممكنًا، وبعد أن وجدت سبيلًا خارج جدران الساحة، علمت بأنه تَبَعَنِي فِي الخروج، وصَبْرْتُ بمجرد أن أسمع صوت خطوات تقترب، أفر لا أعلم إن كان هو صاحب هذه الخطوات أم لا، حتى وصلت إلى هذا السلم لتبتلعني هذه الغرف وهذه المتاهة مع كثير من الخوف والقلق، يكفيني عذاب وجودي هنا يا دكتور.



كان محققًا بالطبع لذلك طمأنه:

- لا تقلق يا حسن لن يكن هناك مضايقات فيما بعد، مادمت معك

ابتسم ابتساماً من القلب.. قلب متوقف عن النبض منذ زمن، ولكنها زالت سريعاً حين سمعا وقع خطوات رتيبة ثقيلة قادمة، كالموت واثقة، وكان سليم حينها على أتم الاستعداد لمواجهة فريد هذا الذي لم يره من قبل، ولكنه يكرهه بما فيه الكفاية، فلولا سلوكه مع حسن لما انتهى الحال بسليم في سجن الموتى ثانية.



202

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية

انضموا لجروب ساهر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
sa7eralkutub.com او زيارة موقعنا



حينما تشهد مأساة عالمين مختلفين تتضح لك أمور تثير غضبك بلا
مبالاة، تتمكن من اختلاس همس الأرواح وحدك.. حزنها.. خوفها.. تعذيبها..
وحدهك تشعر بها.. تسمع لصدى أنينها.. سَحَقًا!! سُدَّتْ جميع الطرق!

مختارات

(26)

رويدًا رويدًا تقترب الخطوات, وكلاهما متحفز للقائه, فقال سليم بصوت عالٍ كي يصل أسرع ولا يضل طريقه في هذه المتاهة والغرف المتداخلة:

- تعال يا فريد, اقترِب .. نحن في انتظارك

اقتربت الخطوات تمامًا حتى بدأت هيئته في الظهور, وما إن رأى سليم حتى قال في غضب:

- ما الذى عاد بكِ إلى هنا؟ أنت مجنون بلا شك

كانت هذه الجملة الأخيرة من منصور في حلق حقيقى, فقد كان هو القادم صاحب الخطوات وليس فريد كما ظنوا, لقد نسى أمر منصور تمامًا في هذا العالم, وكان تركيزه مُنصَبًا فقط على حسن. فوجده يتابع كلامه في حدة:

- ما ذنب أسرتك كي تتركهم في بئر عذاب البحث عنك؟

- ولماذا تظن أنى قادم هنا بإرادتى؟ أىُّ طريقٍ هذا الذى يقود إلى هذا العالم؟ أخبرنى به

- حديثنا فى آخر مرة يؤكد تهورك واندفاعك

- لقد حاول أحدهم قتلى ويبدو أنه نجح؟

- وهل قدومك هنا ليس له علاقة بما تحدثنا عنه فى آخر مرة التقينا؟

-

- لماذا لا ترد؟

نظر سليم إلى حسن الذي لم يفهم أى كلمة مما يدور فى هذا الحوار ولا يدرى من هو منصور من الأساس، ولا كيف يظهر فجأة ويختفى فجأة ولا كيف يعرفه سليم، فقال منصور:

- إذن كما توقعت، لقد أوقعت نفسك فى ورطة. وانزوى جانبًا كُلاً من سليم ومنصور واستأذنا حسن ثم قال منصور فى حنق:

- أرو لى ما الذى وقع! وكيف جئت إلى هنا؟

حكى له ما دار، أنصت منصور وهو فى أشد الضيق والغیظ، سأله عن بعض التفاصيل التى لا يتذكر سليم جميعها بالطبع، ثم سأله:

- ولماذا أنت جالسٌ هنا؟

فأشار بيده تجاه حسن فقال منصور:

- وماذا لو تم النداء عليك وأنت غير موجود؟ ألا تريد العودة؟ أم تريد حين يتم النداء عليك وأنت غير موجود أن يجدوك جثة؟

يتحدث منصور الفاقد لأى أمل وكأن هناك أمل .. كان مُجفًا بالطبع وشعر سليم أن لامبالته هى درب من الحماقة والجنون، وشعر وقتها بأقصى درجات الندم وتأنيب الضمير، وبالأخص تجاه ابنته، فتعاطفه وإشفاقه على حسن لا يبرر بأي شكل هذا التقصير الفج فى حق سلمى، كلمات منصور الذى لا بد وأنه يعتصر ألمًا على فراق زوجته وابنه غير المرغوب فيه قسرًا، جعلته يشعر بمدى الغباء والتهور الذى أصابه، ولم يكتفِ بتدميره وسلب حياته، بل سيمتد الأمر لتدمير حياة ابنته وزوجته،

وجعل الأولى يتيمة والثانية أرملة، وصار هذا الرجل الأبله الذى يحاول مساعدة صديق في عالم أخر على حساب مستقبل حياته نفسها، مثالية سيندم عليها لا شك.

وبرغم هذا الشعور بالندم فكلما تذكر حسن، أحس بأنه يستحق أن ينال تعاطف شخصي ما أو مساعدته، ولم يكن هناك غيره ليمنحه هذا التعاطف والاهتمام خاصة بعد ما تسببى وحدته أكثر بمساعدة صفاء.

على حافة الجنون يقف سليم، بينما يتبين أن السبب في وجوده هنا تعاطفه مع شبح أو طيف لشاب ميت بحاجة للمساعدة في عالم مجهول. يا للسخرية!

قال منصور وقد بدا في غاية التركيز:

- عليك العودة الآن إلى الساحة، ربما تسمع اسمك ثانية

فقال سليم بياس:

- لا أظن أن ... فقاطعه منصور وصرخ فيه قائلاً:
- أنت لا تستحق أن تكون أباً ولا حتى زوجاً، لا تهالى بما منحك الله من نعم، قد أفهم رغبتك في المساعدة، ولكنى لا أفهم هذا الاستسلام، في آخر مرة التقينا عايرتني باستسلامي رغم علمك بأنى ليس لديما أخسره، أما أنت فخسارتك رهيبه وستموت هنا آلاف المرات من الندم المُستَحَقِّ، عُدْ إلى الساحة لعلك تعود ثانية، وَفَكِّرْ كَأَبٍ وَزَوْجٍ

تدخل حسن وقال مُنْهِيًا هذا الحوار:

- هيا يا دكتور، لا تُضِعْ وقتًا أكثر من هذا، وأنا قادم معك، فنظر
سليم إلى منصور فقال الأخير:
- هيا.. أسرعا

تحرك ثلاثتهم.. منصور في المقدمة باعتباره الأدرى والأقدر على الخروج بهم
من هذه المتاهة في أسرع وقت، يليه سليم وحسن، حتى عادوا إلى الساحة
وعبروا من نفس الفتحة.. ليطلعوا مرة أخرى على وجوه هائمة وأطياف
بشر مستسلمة لا تنال بأي شيء.

اتجه سليم وحسن إلى أحد الجدران وجلسا وبعد حديث قصير فارقهما
منصور.

غَلَّفَ الصمت جلستهما الممتدة الطويلة، وقد بدأ سليم يستشعر بمرور
الوقت فداحة ما هو فيه، وقتٌ طويلٌ مرَّ، وساعات عديدة انقضت وهو
موقن بالمصير واليأس يغمره، حتى حدثت المعجزة، اسمه من جديد يتردد
في جنبات الساحة بصوتٍ اشتاقه رغم بشاعته، لا يدري كيف حدث هذا
ولا من منقذه هذه المرة ولكن لا يظن أن أحدًا غيره خرج أو سيخرج من
هذا العالم مرتين، خطر لباله لوهلة أن الحظ يقف في صفه على طول
الخط على عكس ما يظن.. هذا كرم ربما استحقه وربما لا، لا يعلم ولكن
ما أدهشه بحق هو السعادة الحقيقية التي رآها على وجه حسن هذه
المرة، هذا الشاب يُكِنُّ له مشاعر صداقة قوية كنتك التي يُكِنُّها له، وبينما
يَهْمُّ بوداعه، يلمح سليم رأسًا يرتفع من على ركبتين قائمتين لشخص
جالس على ركبتيه مستندا بظهره على الجدار كمعظم الموجودين، متجهًا
ببصره إلى سليم وحسن، وجهًا لم يحبه سليم ولم يرتح له بعيون بها كثير
من الغضب والغِل، وحين رآه حسن ناظرًا إليه اتجه هو الآخر ببصره إليه
ليقول في فزع:

- فريد!!!

بنيان ضخمة بشرة سمراء , شعر أكرت, أنف كبير نظرات وقحة من وجه تبدو عليه الدناءة , لقد جاء في أسوأ وقتٍ ممكن, بينما يستعد سليم للعودة , للحظات توقف عقله أو طيفه عن التفكير, ثم وجد نفسه يدفع حسن بقوة ناحية المنفذ في الجدار وهو يتبعه, ثم قال له في توتر:

- أهرب يا حسن, اختئ, لا تجعله يصل إليك

اسمه يتردد ثانية وعليه التلبية وعدم التأخير وإلا فليس للأبد أنه كان يوماً طبيئاً لديه أسرة ولديه حياة, ولكنه تباطأ قليلاً كي يتمكن حسن من الابتعاد بقدر مناسب لا يسمح لفريد بتبعه. كانت المسافة بينه وبين فريد الذي نهض ليقف على قدميه ليست بالقليلة, ولكنه شاهد الوعيد في عينيه, بالتاكيد لا يتوعده فهو لن يبقى هنا على أى حال, ولكن نظراته تشئ بما ينوي فعله مع حسن, وبمجرد أن شعر سليم أنه ما من وقت للانتظار أكثر اتجه مسرعاً بالقرب من مصدر الصوت ناحية السرداب ليجد الحبل يتدلى من جديد وهو يتشبث به ملقياً نظرة أخيرة على هذه الساحة وهذا العالم وبينما يعلو ويعلو يقترب فريد, يسرع الخطى, يتجه ببصره لأعلى ويقول في تحدٍ:

- إنه لي

تُرى لَكُمْ من الوقت يمكنك الهروب يا حسن والاختباء؟ يعلم سليم أنه لا وجود للقتل هنا, ولكن الألم والعذاب هنا موطنهما وذلك بث الخوف في قلب حسن بشكل لا يمكن استيعابه. كان عقله يعمل بسرعة قبل أن يشعر بفقدان الاتزان ويدخل في مرحلة الغياب عن الوعي.



من الجيد أن تمنحك الحياة فرصة, لكن غاية الكرم أن تمنحك فرصتين
فلا تكن أحمقًا وتطمع في الثالثة

حين عاد إليه بعض وعيه، وجد نفسه نائمًا على سرير وثير في غرفة هادئة متوسطة المساحة ونظيفة جدًا وبجانبه العديد من الأدوية والمحاليل. كان هناك شخصًا يتحرك في الجوار، يبدو أنه مُنقذُهُ وإن كان لا يدري من هو، وحين رأى هذا الغريب عيناه تتفتح رويدًا ابتسم ثم خرج سريعًا قبل أن يعود ومعه آخر شخص يتوقعه هو منصور الدوكش.

لم يكن مُمتنًا من قبل لأحد قدر امتنانه له.

لم يكن قادرًا على الكلام وقتها وكأن لسانه أصابه الشلل، ولكنهما أخبراه بأن ذلك بسبب كمية الدواء التي تناولها لسوء حالته وقت العثور عليه، الرضوض والكدمات منتشرة بأنحاء جسده وارتجاج في المخ أدخله في غيبوبة لمدة اقتربت من الثمانية وأربعين ساعة غير الساعات التي قضاها في السيارة وهو على حافة الموت.

بعد عدة ساعات تمكن سليم من الحديث وقال لمنصور الذي كان جالسًا وحيدًا على كرسي بجواره:

- لماذا فعلت ذلك؟
- لأنني لن أحتلم رؤيتك كل يوم في سجن الموتى، لا يمكنني تصور الحالة التي ستكون عليها ابنتك وزوجتك بعد فقدك، لم أجرؤ يومًا على محاولة إنقاذ أحد سكان ذلك العالم، ولكن في حالتك وجدتني غير قادر على تركك وحيدًا، ربما لمنال دور في ذلك، فأنا أعلم كمَّ السعادة التي منحتمها لها في أيامها الأخيرة، وكم المجهود

الذى بذلته محاولاً منحها الأمل، والمجهود الذى بذلته لمحاولة إنقاذها.

كانت كلماته هادئة جداً، لم يره سليم من قبل بهذا الهدوء، تعاطفه معه لا حد له، وفضله عليه لا يُنسى، ثم استطرد قائلاً بابتسامة خفيفة:

- موتك فى كلا المرتين مصير مُحَقَّق، وعودتك للحياة بعد كِلا الحادثتين دربًا من دروب المستحيل، ولكنك فعلتها ولو رغبت، فبإمكانك دخول موسوعة جينيس للعودة من الموت مرتين متتاليتين يفصلهما أسابيع، نحن الآن فى مستشفى صغيرة مُجهَّزة طبيًا لاستقبال ضحايا حوادث الطرق بشرم الشيخ صاحبها ومديرها دكتور حازم صديق صديقى خالد زميلى فى البنك فرع شرم الشيخ. كلاهما فعلا أقصى ما يستطيعا للحفاظ على حياتك، فى الوقت الذى تقوم أنت به بأقصى ما تستطيع لإنهائها، القاعدة تقول أنا لجميع يسعى لتجنب الألم أكثر من سعيهم ليجدوا السعادة، فلماذا تقوم أنت بعكس ذلك يا دكتور؟
- ومن أدراك ربما مساعدة شخص برىء تسعدنى وتمنحنى الراحة، بينما ترك الأمور هكذا هو أكثر ما يؤلمنى، بل ربما أنت أيضًا ساعدتني لنفس السبب
- حتى وإن كان كذلك فليس على حساب أسرتك
- وأنا لم أتصور أن تؤول الأمور إلى ما صارت عليه، بالتأكيد لم أذهب لألقى حتفى
- ولكنك لا تتخذ احتياطات كافية وتعمل بمفردك
- أنت أكثر من يعرف، بأنه لا يمكن لأحد مساعدتى، لأنه لن يصدقنى على الإطلاق



- لا أعرف إلى متى سيقف القدر بجوارك, ربما نُبِّلَ أهدافك يدفع عنك السوء والهلاك بهذا الشكل, ولكنها ليست قاعدة يمكن الإرتكاز عليها
- أعلم ذلك, في الحقيقة لا يوجد كلمات مناسبة كافية لتعبر عن امتناني لما فعلته من أجلى, شاكر لجهدك المبذول لإنقاذى وإعادتى مرة أخرى
- لا داعى للشكر هذا ما كان علىَّ فِعْله
- أريد أن أتصل بأسرتى, لا بد وأنهم فى أسوأ حال
- أظن ذلك, انتظر.. سأحضر لك الهاتف

قام سليم بالاتصال بجيهان التى بكت ما إن سمعت صوته وانتحبت بشدة ثم ضحكت, كان أسفًا لحالتها بشدة وشعور بالذنب يُخَيِّمُ عليه, أعلمها بما جرى, ثم تحدث لسلمى, وبعدها تحدث مع والدها الذى أجرى اتصالاته وتم نقله من شرم الشيخ إلى القاهرة على متن طائرة خاصة. ودَّعَ سليم منصور ورفيقاه وشكرهم جميعًا على وقوفهم بجواره وإعادته لمضمار الحياة مرة أخرى



في عالمنا أمور عديدة غير قابلة للتفسير، فما أصعب البحث عن سراب!

213

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية

انضموا لجروب ساهر الكتب
fb/groups/Sa7er.Elkotob/
sa7eralkutub.com او زيارة موقعنا

الهاتف يرن ومازال شريف بانتظار الرد حتى بدا له أنه قد تعجل.. لا بد وأن جيهان نائمة ثم سرعان ما جاء صوتها واضحًا هادئًا:

- ألو
- ألو، صباح الخير مدام جيهان، أعتذر لاتصالي في وقت كهذا ولكن الأمر لا يحتمل، لقد توصلت للشخص الذى قد يقودنا إلى مكان سليم
- لا داعى للأسف دكتور شريف، سليم عاد منذ قليل ومعه الطبيب حاليًا يقوم بالكشف عليه نظرًا لسوء حالته
- عاد!!!!
- نعم ولكنه في حالة سيئة جدًا

بعد أن أغلق الخط مع جيهان، استلقى شريف على السرير بعد سماعه لهذا النبأ السار وهو يفكر في العديد من الاحتمالات حتى غلبه النعاس، ثم استفاق ليجد الساعة قاربت على التاسعة صباحًا، لقد نال قسطًا لا بأس به، والآن عليه أن يتأكد من المعلومات التى وجدها قبل مواجهة صديق عمره، قام على الفور بالاتصال بسعد وسأله عن منصور وزوجته منال وحالتها، وجاءت الإجابة مطابقة للكلام الذى قرأه في مذكرات سليم ثم أغلق الخط دون أن يخبره بعودة سليم، كان ما يشغله حاليًا الاطمئنان على صديقه وتفسير غيابه بهذا الشكل، بعدها بساعتين اتصل بهاتف سليم فأتاه صوت الجرس دون إجابة، فكرر المحاولة ولكن على هاتف جيهان حتى جاءه صوتها ثانية، يبدو أن هذه المرأة لا تنام:



- كيف حالك دكتور شريف؟
- بخير مدام جيهان كيف حالك وحال سليم؟ كنت أود الاطمئنان عليه
- بخير يا دكتور، اطمئن
- هل من الممكن أن أزوره؟
- بالطبع
- متى؟
- وقتما تشاء يا دكتور
- حسنًا مسافة السكة

بعد أن أنهت مكالمتها مع شريف اتجهت إلى غرفتها فوجدت سليم مازال نائمًا، وقفت ترمقه في حيرة، سعيدة بعودته لاشك في هذا، ولكن عليه تفسير ما حدث، سفره المفاجئ إلى سيناء، عدم إبلاغها، الحادث الجديد الذي تعرض له ونجاته من جديد من موتٍ مُحَقَّقٍ وعودته بهذا الشكل وهذه الحالة، لن تشفع له مجرد العودة كما كانت تتوقع وعليه تقديم إجابات مُقْنَعَةٍ كي تتمكن من تقييم الموقف والوقوف على النهج المناسب والأسلوب الملائم معه، يبدو أنه شعر بوجودها ففتح عيناه في بطاء، فوجد عينان تتساءلان وتنتظران ردًا وتفسيرًا فقال بهدوء:

- لقد ذهبت إلى ذهب لمقابلة أحد أصدقائي العائدين من السفر لقضاء إجازة هناك وانتويت العودة في نفس اليوم
- وهل لي أن أعرف هذا الصديق؟

انتظرت أن ينطق اسم شريف كي تتأكد من كذبه وتتأرجح كيفما يحلو لها بين ظنون مقبلة وأوهام ترتدى ثوب الحقيقة فجاءها الرد:

- صديق لي لا تعرفينه

تهدت وشعرت بأنها تمت لو ينطق باسم شريف لتتأكد ظنونها وتخبو نار الشك لتستعر نار اليقين بكذبه ولكن هذه الإجابة منحته مصداقية محدودة مؤقتة، من وراءها سمعت خطوات كانت لوالدها الذى دخل الغرفة قائلاً:

- حمداً لله على سلامتك مرة ثانية يا سليم، الدكتور طمننا على حالتك وقال أنك نجوت بأعجوبة من الهلاك

ثم بمزيد من الجدية تابع حديثه:

- كما علمنا من رجال الشرطة سقوط سيارتك بهذه السرعة من المنحدر لترتطم بصخرة كفيل بجعلك الآن في قبرك ولكن لحسن الحظ أو ربما لغريزة البقاء لديك التى جعلتك تستدير بالسيارة أثناء السقوط ليصيب التصادم الجزء الأيمن الخلفى من السيارة وهو أبعد جزء فى السيارة عن مقعد القيادة خاصتك، وكذلك حادثة السيارة التى امتصت الصدمة أفادك بشكل كبير، لولا ذلك لما استطعنا تمييز جثتك ولصار جسدك قطعة من العجين لا معالم لها، سامحنى يا بنى قد أكون قاسياً بهذه الكلمات ولكن سفرك دون إخبارنا ووقوع الحادث فى هذا الطريق الوعر والسقوط من على المنحدر والارتطام بصخرة بهذا الحجم وبقاءك مرة أخرى فترة طويلة دون إسعاف غير أنه قدر لهو خطأ كبير منك فى حق نفسك ومن حولك، ألا تريد أن تُربى سلمى وتراها شابة جميلة لتُسَلِّمَهَا لرجلٍ يستحقها؟

خرج صوت سليم مبحوحًا وقد لمس كلام حماه وترًا شديد الحساسية ونقطة ضعف هي ابنته ومستقبلها، طالما حاول سليم غَضُّ الطرف عنها ولكن حماه أصاب الهدف مباشرة لقد تصرف بتهور وكاد أن يدفع ثمنه أغلى مما يتصور

- بالطبع أريد

فقال حماه بصوتٍ حانٍ لم يعهده سليم:

- أعلم يا سليم، ولكن يجب أن تناسب الأفعال الأقوال وخذها كلمة من رجلٍ عجوز خُبِر الكثير.. المرء الذى يفر من موتٍ قريبٍ مرتين متتاليتين فلن ينجو الثالثة، عليك أن تحذر جيدًا في الفترة القادمة فلسببٍ لا أعرفه يحوم الموت حولك كالحيوان الجائع الذى يلتف حول الفريسة مرة واثنتان ولكن لم يَجِن بعد وقت الانقضاض، لا أحد يفر من الموت إن انقض لكن على الأقل لا تذهب إليه بقدميك، بقى شئ أخير لم أفهمه، كيف وصل إليك أحدهم في هذا المكان بعد هذا الوقت من الحادث؟
- سأشرح لك يا عمى في وقتٍ لاحق ولكنى الآن بحاجة للراحة
- سامحنى يا سليم إن كان كلامى قاسيًا بعض الشيء أو أملك قليلاً ولكنك ابنى الذى أخشى أن يصيبه مكروه
- لا عليك يا عمى

أما جيهان فطغى الشعور بالخطر لديها من كلام والدها عن الشعور بالشك والحيرة في أمر زوجها، لو كان بيدها لأغلقت الأبواب من حوله لتَصْرِفَ عنه السوء ولكنها تعلم جيدًا بأن الحذر لا يمنع قدرًا.

وصل شريف إلى الفيلا واستقبلته جيهان، كان شريف في حيرة من أمره كيف سيواجه صديقه بما عرفه وما رد فعله على زيارته للعبادة والبحث فيها وقراءة مذكراته؟ هل سيتفهم دوافعه؟ أم سيثور لاختراق خصوصياته بهذا الشكل؟ هل ستسفع له صداقتهما وخوفه عليه؟ لم يكن شريف مهينًا لرد فعل مُعَيَّن وكان في المقام الأول يريد الاطمئنان على صديقة وثانيًا يعرف منه أسباب هذا الاختفاء وهو ما يتطلب مصارحة سليم بما عرفه تجنبًا لإهدار وقت أو اختلاق أكاذيب دون داعٍ.

- سليم، يا سليم

انتبه سليم لصوت جيهان فقال وهو يتقلب على فراشه:

- نعم يا جيهان

- هناك صديق بالخارج يريد الاطمئنان عليك

- من هو؟

- دكتور شريف

- شريف؟؟؟! متى عاد؟

- ألم يخبرك بموعد عودته؟

بدا سليم كمن يحاول تنشيط ذاكرته ولكنه أردف في حماس:

- دعيه يتفضل فورًا

ذهبت جيهان وما هي إلا لحظات وعادت يتبعها شريف، وما إن دخل شريف الغرفة حتى دَبَّ النشاط إلى حدٍ ما في جسد سليم وكان على وشك النهوض لمعانقة صديقه، لولا انحناء جسد شريف لمعانقة صديقه وقد بدت عليه علامات التعب وبعض الجروح



- حمدًا لله على السلامة يا شريف
- نحمد الله على سلامتك أنت يا سليم، ألن تتوقف عن هذا الإزعاج الذى تسببه لمن حولك؟

ابتسم سليم فقالت جيهان بلهجة أقرب للجدية منها للمزاح:

- أكان مزعجًا هكذا دائمًا يا دكتور شريف؟
- من حينٍ لأخر يسبب المتاعب له وللآخرين

قالها ثم ابتسم فنظر سليم إلى جيهان فاستأذنتهما وتركتهما وأغلقت الباب خلفها

وما إن انغلق الباب حتى قال شريف:

- يبدو أن الحادث لم يكن هَيِّنًا، ولكن لماذا سافرت وحدك ودون إخبار زوجتك؟
- بالفعل لم يكن كذلك ولم تكن هذه الحادثة فى الحسبان وكنت أنتوى العودة سريعًا
- وما سبب سفرك بهذا الشكل المفاجئ من الأساس؟
- زيارة صديق لى من خارج مصر يقضى إجازته فى دهب

أدرك شريف أن سليم لن يخبره بالحقيقة خشية اتهامه بالجنون أو لعدم رغبته فى إقحام شريف فى موضوع كهذا، فرمقه بنظرة طويلة ذات مغزى يعلمها سليم جيدًا ثم قال ببطء فى ود:

- لأول مرة أشعر بأنك لا تخبرنى بالحقيقة يا سليم، لم تفعلها معى أبدًا من قبل



اضطرب سليم قليلاً وتحدث بصوتٍ عالٍ نسيبًا:

- وما الداعى للكذب أصلاً يا شريفٍ لقد وقع الحادث في دهب
بينما أنا عائداً منها
- ليس هذا ما أقصده.. أقصد سبب ذهابك إلى دهب

أجفل سليم لبرهة ولم يجد ما يقوله فطال صمته، فتهد شريف قائلاً:

- أئن تحدثنى عن منصور الدوكش يا سليم؟

انتفض سليم حين سمع الاسم واتسعت عيناه تحديق في صديقه تحاول
تفسير كيف عرف شريف بشخص منصور فتساءل:

- وما الذى تعرفه عنه يا شريف؟

اعتدل شريف في جلسته مستنذاً بكامل ظهره على المقعد واضعاً كفيه
المحتضنان أسفل ذقنه:

- اسمع يا سليم، أنا لا أحب اللفَّ أو الدوران ولا أَحَبُّ الكذب
والتحايل معك أنت بالذات لأنك ستكتشف ذلك بسهولة تامة
ودون مجهودٍ يُذكر، كم كنت أتمنى أن أجدك في انتظارى حين
عودتى ولكن يبدو أنك كنت مشغول جداً لدرجة عدم الرد على
رسائلى وتليفونائى بالأخص منذ انهيار منزلك القديم وخروجك
من تحت الحُطام بعد فترةٍ طويلة. كنت مندهشاً قليلاً ولكنى
تلمست لك الأعذار، تجربة صعبة على أيِّ إنسان البقاء أسفل
حُطام عقار مُنهار، وحين عدت علمت من زوجتك بأنك مُتَغَيِّب
عن المنزل ولا تعلم سر اختفائك، انتابنى القلق بشدة عليك،



استأذنتها في زيارة عيادتك لعلّي أصل إلى أي خيط يقودني إليك

..و

قاطعه سليم في ضيق:

- لا تكمل الباقي معروف.. لقد وجدت الأجندة وقرأت ما بها

فأوماً شريف في استسلام برأسه من أعلى إلى أسفل وبعدها حلّ صمتٌ مُطبّق على كليهما وكان صاعقة نزلت بهما وغادرتهما دون جِراك، لا يدرى أحدهما كم مر من الوقت قبل أن يقول شريف:

- أسف يا سليم

- لا عليك لقد وفرت على أكاذيب وحكايات لا أساس لها

- أنا لا أتأسف على قراءتي لأوراقك، أنا أتأسف على ما تعرضت له.

فرماه سليم بنظرة طويلة فابتسم شريف حتى كشف عن أسنانه فضحك سليم هو الآخر

فاستطرد شريف:

- أنا اضطررت لذلك يا سليم وكنت..

فقاطعه سليم للمرة الثانية قائلاً:

- دعك من هذا، ما رأيك فيما قرأت؟

- بصراحة مشروع فيلم جيد

اندهش سليم من رده فقال في حدة:

- هذه ليست قصة يا شريف ولم أخلق أى حرفٍ بها، كل ما قرأته حقيقى ولدئى شواهد تؤكد صدق كلامى

- أعرفيها يا سليم ولكن من العسير القبول بوجود عالم آخر لا نعلم عنه شيئاً، سكانه بعض الأموات وحاكميه من الشياطين وزائريه من الأحياء سيئى الحظ، معنى هذا أنك لم تكن الزائر الوحيد لهذا العالم، هناك آخرين ذهبوا وعادوا وآخرين بقوا إلى ما يشاء الله، لماذا لم يتحدث أولئك؟ لماذا لم نسمع عن هذا العالم من قبل؟

- وما أدرانى ربما خافوا وقرروا تجاهل الأمر خشية وصميم بالعتة، أنا نفسى لم أكن لأحكى لأحد لولا أنك رأيت الأجندة وقرأتها وحسبتنى جُنُنت، وكنت سأبقى الأمر سراً ما حييت، ولكن لم يكن ممكناً أن أقف مكتوف اليدين أمام ما شاهدت وعرفت، ربما زاروا سجن الموتى وحين عادوا لدنياهم نسوا ما رأوا

- حسناً إذا كان الأمر هكذا فلماذا لم تلتس أنت الآخر؟

- لا أدرى ولكنى أنقذت صفاء وذهبتُ إلى المكان الطبيعى الذى يجب أن تكون فيه وسأساعد حسن كما ساعدها

- دون أن نعرف السبب وراء تذكرك؟ لماذا أنت بالذات الذى يتذكر ما حدث له؟

- أنت تُشَكِّك فيما رأيت ولا تصدق فماذا يكون إذن؟ هل جميعنا حمقى أنا ومنصور ووالده وجده وصديقة صفاء التى حكى لى اختفائها؟ هل هلوسة جماعية أصابتنا لنحكى نفس التفاصيل ونشهد وقوع نفس الأحداث؟



- حتى لو افترضنا حقيقة ما رأيت فلماذا تتذكر أنت؟

- ليس لديّ تفسير لذلك الآن وليس هذا أكثر ما يشغلني، ربما الآخرون تذكروا وفضّلوا نسيان أو تناسي ما شاهدوا أما أنا فلا، ثم إنك لا تعلم ما الذي حدث لي ثانية في دهب، ما وقع يجعلني أنجى أيّ شيء جانبًا

- وما هي الكارثة التي أوصلتك لهذا الحال؟

- حاولت إنقاذ حسن من يد فريد المرجاوى هذا ولكن وقع ما لم يخطر لي بهال، لقد زرت سجن الموتى ثانية!!!

- سجن الموتى ثانية، هذا جنون

- إذا كنت لا تصدق فهذا شأنك

- أنا لم أقل أنى غير مصدق ولكنى أريد أن أفهم كيف؟

- سأحكي لك ولا تقاطعني من فضلك

روى لشريف ما تعرّضَ له منذ سفره إلى دهب وحتى عودته من شرم الشيخ واختتم حديثه بهذه الجملة:

- هذا ما داريا شريف والباقي أنت تعرفه.

فغمغم شريف في حيرة:

- حمدًا لله على سلامتك ولكن معنى كلامك يا سليم أن أحدهم حاول قتلك؟

- وأنا أظن أنى أعرفه

- من هو؟

- فتحي صديق فريد، لأنه آخر من تحدثت معه كل ما أحجته فقط التأكد من لون سيارته، وهذا أمر يسير

- كفى يا سليم، أنت نجوت بأعجوبة

- أعلم ولكنى كذلك أوشكت على الإنتهاء

- صحيح أوشكت على إنهاء حياتك

- ليس هكذا يا شريف، أوشكت على الوصول لهدفي، لجنّة فريد ودفنها وأعدك أنى سأغلق هذا الموضوع للأبد، وكأن شيئاً لم يكن، ولكنى أحجته مساعدتك يا شريف، وأنا بهذه الحالة لن أتمكن من الذهاب وحدي

- ولا حتى معى يا شريف أنت تلزمك راحة تامة

- الراحة ستأتى بعد أن أنتهى وأنتهى هذا الكابوس

- ليس مطلوباً منك سوى أن تنسى ما كتبته وما تظن أنك رأيته، لأنه ليس مُقْنِعاً لأحد ولأنه أوردك المهالك

- حتى أنت يا شريف بعد كل ما عرفته ورويته لك

الآن نعى ما تقوله يا سليم وما تريده؟ ستطارد قاتل لتبحث عن جثة ميت لإنقاذ ميت آخر، كل هذا بفرض أن هناك عالم غريب وحدك فقط من خبرته. أنت تتوهم يا سليم.

- وصفاء ومنصور الذى يجول فى هذا العالم وحسن وفريد؟ أتى لى أن أعرف بحياة ومصير هؤلاء؟



- ليس لدى تفسير، ولكن يجب الكشف على مخك لمعرفة ما يدور بداخله

- أتهمني بالجنون يا شريف؟

- أنا لم أقل هذا ، أنا فقط أريد أن أفهم، لماذا ترى ما رأيت؟ ولماذا تتذكره دون سواك إن كان وقع فعلاً؟

- وأنا لن أقبل بهذا

صمت سليم بعدها ثم غمغم في تردد:

- إلا لو ساعدتني، صدقني أنا أيضاً أريد أن أفهم

- لا تحتاج هذه المساومة لأساعدك يا سليم

- أنت من تريد التخلي عني، ما فعلتها أبداً من قبل ولكن..

- لا داعي لهذا الكلام يا سليم، أنت تعرف أني لن أتخلي عنك ولكني سأنفذ رأيك سأساعدك على أن تترك لي نفسك بعد ذلك، وطلب آخر أعطني عنوان منصور أود الحديث معه

كان شريف بحاجة إلى أن يقتنع، لن يُسَلِّمَ عقله بشكلٍ كاملٍ لسليم، لأنه في حالة غير طبيعية، ولكن قرار شريف أسعد سليم جداً فغمغم:

- حقاً هل أنت جاد؟

كانت سعادة سليم لا توصف، لدرجة جعلت شريف يشك فعلاً بأن صديقه غير مُتَّزن، فسأله:

- ما المطلوب مني الآن؟



- لا شيء، سأؤكد أولاً من لون السيارة التي صدمتني، بعدها تتوجه معي إلى شرم الشيخ ثم ذهب

- ذهب ثانية يا سليم؟

- مرة أخيرة يا شريف وستكون بجانبني

- حسناً متى سنذهب؟

- بعد يومين

- يومين؟! حالتك لا تسمح، وجودك في وعيك الآن معجزة بشى المقاييس

- لا تقلق الطبيب في شرم طمأننى على نفسى، صحيح أن هناك بعض الجروح والكدمات والسحجات ولكنها لن تُعيقني عن الحركة، الحمد لله لم يكن هناك كسور ويبدو أن جسدى اعتاد هذه الآلام

- وماذا إن وقع لنا مكروه ثانية؟

ضحك سليم بشدة وقال:

- أخائف من زيارة سجن الموتى؟

- لا يا فالج، خائف أن أصبح من الموتى

فضحك كلاهما وقد استرجعا مَرَّاحَهُمَا المُعْتَاد فقال شريف:

- سأتى معك يا سليم ولكنى سأخذ احتياطاتي، أنا لستُ أرعناً مثلك

- أرعنا؟ هههههههههه هل هذه لغة تليق بطبيب قادم من أوروبا؟

- لك الحق أن تضحك، وقد نجوت من الموت مرتين وفي أوقات فراغك تزور عالم غريب مرتين وكان المكان أعجبك، أخشى أن تكون الثالثة بلا رجعة وأنا معك، لا أعلم ما الذى أتى بى إلى مصر فى هذا التوقيت بالذات، أعتقد أنها غريزة الموت التى تحدثت عنها فى مذكراتك؟

- غريزة موت؟ قال الله ولا فألك لا ترعبنى أرجوك

- أزعبك!!! وكأنى أنا من كَلَّمَتِ الموتى وجالستهم بل وأريد إنقاذهم

- إنهم طيبون حقًا ويستحقون المساعدة

- أراى تأثرت؟

جو من المُرَّاح ساد حديئهما وقد بَثَّ كُلاًّ منهما فى الآخر الشعور بالأمان والهدوء واتفقا على إعداد العُدَّة للسفر فى الموعد المُتَّفَق، ولكن بعد أن يزور شريف منصور، ويتأكد سليم من لون سيارة فتعى.

زيارة شريف لمنصور ستحسم كثيرًا من الأمور، لقد رأى هو الآخر هذا العالم بل إنه ينتمى إليه أكثر من سليم، إنه عالمه بشكلى ما، قد تهم أحدًا بالجنون لغرابية ما يقول، أما ما يتفق عليه اثنان، فلا بد وأن تتروى قبل أن تُصدِرَ حُكْمَكَ عليهما خاصة أنه ليس لأحد منهما مصلحة، كما أن لكلٍ منهما حياة وظروف خاصة به، فما من داعٍ لتلفيق حكاية بهذا الشكل، ولا مكسب لهما من وراءها.

فى اليوم التالى اتجه شريف لفرع البنك الذى يعمل به منصور وسأل عنه، ولكن زملاءه أخبروه بأنه فى إجازة لمدة أسبوع بناء على طلبه، فتذكر شريف بأنه كان بالفعل مع سليم فى شرم الشيخ، ولكن يبدو أنه لم يتجه إلى العمل فور العودة وأراد أن يُكْمِلَ باقى إجازته.

غادر شريف البنك واتجه إلى عنوان المنزل وصعد السلم حتى وصل إلى الطابق الذى يقطن به منصور، لاحظ من الخارج ارتفاع صوت تلفاز بشكل ملحوظ وغير طبيعى، والأغرب أن الصوت قادم من شقة منصور التى وصفها له سليم، طرق الباب ورناً الجرس دون إجابة، تعددت المحاولات ولكن النتيجة واحدة، فطرق منصور باب الشقة المقابلة فخرجت سيدة متوسطة الطول والوزن لم تتجاوز الثلاثين أو تجاوزتها بقليل ليسألها شريف عن منصور فأجابت بأنها شاهدته ومعه شنطة صغيرة بالأمس أثناء عودته للمنزل، ولكنها لم تره اليوم، فسألها وهل من عادته أن يرفع صوت التلفاز بهذا الشكل، فكان ردها بأنها أخر مرة سمعت صوت التلفاز قادمًا من عنده أثناء وجود منال رحمة الله عليها ولكن أضافت بأن صوت التلفاز مرتفع منذ مساء أمس وحتى الآن على غير العادة، اندهش منصور فكرر محاولاته بالطرق أكثر وأكثر دون مُجيب، وقتها شعر شريف بالقلق، هناك امر غير طبيعى بالداخل ويجب اقتحام الشقة.. وعرض الأمر على الجارة التى لم تعرف ما تقول ولكن القلق ساورها هى الأخرى. حاول شريف دفع الباب مرات متتالية، والغريب أنه مع هذه المحاولات لم يخرج منصور أيضا، استمرت محاولات شريف المتعددة حتى انفتح الباب ليجد نفس الفوضى التى رآها سليم من قبل، دلف إلى إحدى الحجرات تتبعه الجارة وكان بها التلفاز فأغلقه ليُعَمَّ السكون إلا من حركته هو والمرأة المرتابة، ثم اتجه إلى الغرفة الأخرى ليجد منصور نائمًا على السرير، حاول إيقافه فباءت محاولاته بالفشل، تحسس نبضه، مازال القلب ينبض، على ما يبدو أنه فى غيبوبة لا يدري سببها، على الفور أخرج هاتفه وطلب الإسعاف.

كانت العجارة تدعو لمنصور بكثير من الإشفاق، أما شريف فقد لاحظ عددًا كبيرًا من أكواب الشاي والقهوة وبعض أدوية تشتبك جميعها في أنها تُعِينُ على السهر وتنبه العقل، لم يفهم شريف في البداية ولكن بعد قليل حين جمع الخيوط ببعضها البعض، منصور حاول الهروب من النوم والبقاء متيقظًا لأطول فترة ممكنة لسبب لا يعرفه وحين أدرك أنه لا مناص سينام، فتح التلفاز ورفع صوته لتبليغ رسالة ما ربما يكون مُلَخَّصُهَا

"أغيثوني.. أغيثوني"

جاءت سيارة الإسعاف واصطحبت منصور ومعه شريف متجهين إلى المستشفى، هناك حاولوا إفاقته دون جدوى أيضًا، يبدو الأمر أصعب وأخطر، لا يستجيب لأي مؤثر وفي حالة غياب تام عن الوعي.. فقط قلبه مازال ينبض.

تركه شريف في غرفة العناية المركزة لإجراء الفحوصات اللازمة وقام بالاتصال بسليم الذي رد بعد ثوانٍ قائلًا:

- شريف كيف حالك؟

- أنا بخير يا سليم ولكن منصور ليس كذلك

- ماذا به؟

حكى له ما وقع، لم يكن شريف بحاجة ليرى وجه سليم ليعرف مدى تأثيره بحالة منصور، صوته كفيلاً بهذا، قال شريف بإصرار:



- هذا الرجل لم يرغب في النوم أو كان خائفًا منه, كمية المنهات التي وجدتها بجواره تشير لذلك

- منذ زمن بعيد والنوم بالنسيه له بوابة إلى الجحيم, ولكن مالذي طرأ ليحاول تجنبه بهذا الشكل؟

- لا أدري يا سليم, ولكن تركه للتلفاز له معنى

- أيُّ معنى؟

- هذا الرجل يستنجد بالناس يا سليم, ما من سبب يجعله يفعل ذلك غير هذا

- وربما ترك التلفاز كي يبقيه متيقظًا

- أنا وجدته في سريره وليس أمام التلفاز

- دعك من هذا الكلام مؤقتًا.. ما هو تشخيصك المبدئي؟

- هناك العديد من الأسباب المتباينة, لكنني أَرَجِّح نَزيفَ المخ

- تَبًا.. أرجوك أوصهم به, هذا الرجل أنقذني من الموت يا شريف, تكاليف المستشفى سأحملها كاملة حتى تتحسن حالته

- لا تقلق يا سليم

- الغد موعدا للسفر لا تنس.. مع السلامة



قد نملك العديد من الأصدقاء, لكن الصديق الذي يمد يد العون
لصديقه في عالمٍ آخر لهو بحق خير الأصدقاء

231

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية

انضموا لجروب سائر الكتب [fb/groups/Sa7er.Elkotob/](https://www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/)
sa7eralkutub.com او زيارة موقعنا

في صباح اليوم التالي استعد سليم للسفر، وتهباً للخروج من الفيلا بشكل مفاجئ وهو ما أدهش زوجته التي ما أن رآته يرتدى ملابسه ويهم بالخروج حتى استوقفته واستفسرت عن سبب خروجه مع حالته الصحية الدقيقة، فأخبرها بأنه يشعر بتحسن كبير ولا داعي للقلق، ولكن مجرد فكرة خروجه كانت كافية لتثير قلقها وشكوكها التي لم تبدأ أصلاً فأنفجرت فيه:

- ما الذى تخفيه عني يا سليم؟ ما الذى غَيَّرَكَ بهذا الشكل؟

- لا شيء يا جيهان، أنا فقط سأخرج بصحبة شريف

- لا أقصد فقط خروجك اليوم ولكن هناك أشياء لا أفهمها منذ أن نجوت من الحادث الأول

- لا يوجد ما يثير قلقك، ولا تستهينى بما تعرضت له

- أعلم جيداً صعوبة ذلك، ولكنك لم تعد تتحدث معى وتحكى لى همومك كما كان الوضع قبل الحادث

- فقط لا أريد أن أشغلك، أنا بخير يا حبيبتي، ولا تقلقى ثم اتجه إلى الباب بخطواتٍ بطيئة مستنداً على عكازه الذى صار مُلَازِماً له في الفترة الأخيرة مع بعض الكدمات والجروح الظاهرة على وجهه ثم حَيَّاهَا وانصرف.

كانت تود لو صدَّقَتْهُ ولكنه مصمم على الكذب، فالموضوع ليس فقط مقابلة شريف ولكنها رآته وهو يهم باستخراج جواز سفره من مكانه في

الدرج، إنه أذعن السفر ثانية دون أن يخبرها، ضاق بها حالها فذهبت إلى أخيها عماد تَقْصُّ عليه ما حدث تفصيليًا وهي في غاية القلق لِيُهْدِي اندهاشه أيضًا من تصرفات زوجها ولكنه طمأنها قليلاً حين قال لها:

- لا تقلقى يا جهان، زوجك يمر بظروف صعبة، وعلى أية حال سأفعل اللازم.

أن الأوان أن يتدخل عماد خاصة بعد المعلومات الأخيرة التي وصلته من الإسكندرية

فقد عرف أن هناك من سأل عن صفاء وقابل صديقتها، ليس ذلك فحسب بل إن الأوصاف التي ذكرتها صديقتها تنطبق تمامًا على سليم، ما الذى يربطه بها؟ وهل هو فاعل الخير الذى ساعد في حل لغز اختفائها؟ وما علاقة ذلك بما وقع لسليم بسيناء؟ حادثتين أبعد ما يكونا عن بعضهما من حيث المسافة هل هناك صلة خفية بينهما؟ كل هذا وسليم لا يهدأ ولا يُقَسِّرُ ومبرراته لا تُقنِعُ طفلًا صغيرًا

- أسف يا سليم أنت من تدفعنى لذلك .. ردها في نفسه

ثم أخرج هاتفه وأجرى مكالمة ثم قال بهدوء لمحدثه:

- هل أعددت ما طلبته منك؟ جيد .. عليكم البدء فورًا

في المطار تقابل شريف وسليم بانتظار إقلاع الطائرة المتجهة إلى شرم الشيخ، فحالة سليم لم تكن تسمح بالسفر برًا هذه المسافة ثانية، سألته عن حالة منصور فأجابته:



- لا جديد، مازال في الغيبوبة ويعيش على المحاليل

- لقد عانى هذا الرجل كثيرًا، ولا أتمنى له نهاية بهذا الشكل

- لو كانت هذه نهايته، فلا بد وأنه الآن مرتاح أكثر من أي وقتٍ آخر

تجهم سليم حين سمع ذلك، فلم ينس أبدًا أنه في وقتٍ من الأوقات كان يحيا سعيدًا مع زوجته وكان سليم بشكلٍ أو بآخر سببًا في موتها.

سأله شريف:

- بعد أن تأكدنا من أنه صاحب السيارة التي طاردتك، برأيك لماذا حاول فتحي قتلك؟

- أظنه على علم كامل بتفاصيل الجريمة التي وقعت لصديقه، عمًا قليل سنعرف كل شيء

بعد دقائق سمعا صوت الإذاعة الداخلية تعلن عن قرب إقلاع الطائرة المتجهة إلى شرم، فأتجها نحو الهوابات ليستقلا الطائرة

ما إن وصلا إلى شرم الشيخ حتى أتجها منها إلى ذهب حيث مقر عمل فتحي ليراقباه عن قرب وذلك بعد أن استأجرا سيارة وحصلا على بعض الأدوات اللازمة لإتمام خطتهما وظلا في انتظاره حتى يغادر عمله، وما إن لفظت الشمس أنفاسها الأخيرة وتولد الليل من رحم النهار حتى خرج فتحي من عمله وما أن رآه شريف بناءً على إشارة من سليم شهبق وهتف:

- لماذا لم تقل لي أنه بهذا الطول؟



- وما الذى سيفيره طولُه أو قصره؟

- كيف ستجبر رجلاً بهذا الطول على الاعتراف بمحاولة قتلك أو إخبارنا بما وقع لفريد؟

- هذا سيفعل

ثم أشار سليم لتابلوه السيارة ليُخرجَ منه مسدسًا ليشهق شريف ثانية:

- علام تنوى ياسليم، نحن لم نتفق على هذا؟

- لا تقلق سنستخدمه للتهديد فقط

- فى هذا الوقت ذهب فتحي ليستقل سيارته الحمراء وسليم وشريف يتابعانه باتجاه مسكنه الذى يعرفه سليم مسبقًا ويقع فى محيط يمتاز بالهدوء، أودع فتحي سيارته بجراج قريب وعند خروجه قابله شريف فى الطريق بابتسامة ودودة:

- أستاذ فتحي كيف حالك؟

- من حضرتك؟

- أنت لا تعرفنى لكن إذا نظرت ورائك ستفهم

وبينما يهْمُ فتحي بالدوران، إذا بعكاز سليم يصفعه على وجهه صفعة قوية ليتبعها شريف بضربة كوع على رأسه الذى هبط إثر صفعة سليم، هوى فتحي بعدها تمامًا ليجره شريف باتجاه سيارتهما وبمعاونة محدودة من سليم الذى مازال يعرج قليلاً مستندًا على عكازه، لحسن حظهما الحركة



هادنة تمامًا في هذا الشارع وذهب عمومًا لتراجع أعداد السائحين بشكل عام , ركبا السيارة بعد أن قاما بتقييد فتحي بحبل متين ثم هاتف سليم زوجته ليخبرها بأنه سيتأخر قليلًا مع شريف, بعض الاهتمام لن يضر خاصة وأنه يعلم مدى ما سبَّبَهُ لها من ألم مؤخرًا, ثم اتجها إلى أحد أطراف المدينة الهادئة, ليترجلا من السيارة ومعهما فتحي الذي مازال فاقداً للوعي, لَطْمَتَانِ من يد سليم على وجهه الدامى الذى نزف جَرَاء الضربة التى وَجَّهَهَا له, كانتا كفيلتان بعودته للوعي, نظر لهما وبدأ يستعيد إدراكه فقال صائحًا:

- ما الذى تريداه؟

فقال سليم بهدوء:

- أتعلم أنه كان بينى وبين الموت خطوات بسببك؟ تخيل ما الذى يمكن أن أفعله جَرَاء ذلك, أقلها سأدفنك هنا دون شوشرة

- أنا لم أفعل شيئًا

- الكذب لن يفيدك ولن يغير مصيرك, أنت ميت

كان شريف صامتًا مُنْدَهِسًا من الطريقة التى يتحدث بها صديقه وإجادته للتهديد بهذا الشكل.

ثم صاح سليم فى شريف:

- هيا ساعدنى لنحضر قبره هنا؟

- أرجوك أرحمنى أنا لئلا تترك طفلي



- أنا أيضًا لَدِيّ طفلة وأنت لم ترحمِي، على الرغم من أني لم أؤذك بتاتًا

- أطلب أيّ شيء، لكن دعني أُرَبِّيَه، أيّ مال، أيّ تعويض يكفيك؟

- ولماذا فعلت ذلك من الأساس، لماذا حاولت قتلي؟ ما الذي وقع لفريد؟

لم يُجِب فتحي، فقال سليم مُهَيِّدًا:

- إجابات هذه الأسئلة ستحدد مصيرك

الصمت متواصل..لهم شريف بإخراج أدوات الحفر من شنطة السيارة وهو ما أفزَع فتحي ليقول بسرعة:

- إذا أجبت هل ستتركني؟

- هذا يتوقف على صدق إجاباتك

- لقد قتلته

- قتلت صديقك؟

قالها سليم بدهشة مُصنَّعة، ولكنه خَمَّن هذا وأراد أن يعرف لماذا.

- وما الذي يمكنني أن أفعله بعدما استمررت في الاستدانة مني ونهب أموالي لينفقها على ملذاته وحين طالبتة بها مِرَارًا.. قال لي في نهاية المطاف "فلتنس أمر هذه الأموال، ولا تُعْطِي أموالًا أخرى حتى لوركعت أمامك"

- إنني متزوج من أجنبية لديها احتياجات ومتطلبات ومستوى اعتدنا العيش فيه، والعمل في السياحة لم يعد مُجْدِيًا كما في السابق، وأولًا وأخيرًا



إنها أموال ولكنه ببساطة يطلب متى أن أنسى حقى وحين عرضت عليه فكرة بيع جزء من الأرض التى يملكها فى بلدته لتسديد دينه ضحك كأنى ألقىت نكتة وقال فى تمكهم بالغ "وهل تظن بأنى سأفِرطُ فى أرضى وأرض أبى لِأُسَدِّدَ لك دينك؟ كم أنت أحمق!" فلم أدِرِ بنفسى.. جُنَّ جنونى وتشاجرنا ولم أتركه إلا وهو جثة هامدة

ثم عمَّ الصمت بعد أن أنهى حديثه، الآن فهم سليم لماذا قتل صديقه، وفهم لماذا أقدم على قتله هو شخصيًا، فهو جاء يسأل عن فريد وحين لم يجده أخبر فتى بمنتهى البساطة بأنه سيبلغ الشرطة التى ستبحث وتحقق حتى تصل إليه، فتعى قطع الطريق وقرر إنهاء الموضوع بجريمة أخرى.

- أين جثته؟

قالها سليم ليرد فتى:

- ألقىتها فى البحر؟ هذا أمن مكان

نظر له سليم ثم بقبضة يده لكَمَهُ فى وجهه بقسوة ثم قال:

- ألم أقل لك أن الكذب لن يفيدك؟

- أنا لا أكذب، لقد ألقىتها فى البحر

وبقبضة يده اليمنى لكَمَهُ ثانية وثالثة متتاليتين فى سرعة وَجَّهَ إليه سليم هاتين الضربتين ليقول فتى المندهش من عدم تصديق سليم له:

- لقد دفنته، لم ألقِه فى البحر ودفنته



نظر له سليم بغیظ أكبر ثم بقبضه يده اليمى واليسرى وَجَّهَ لفكیه
لكمتین أسقطتاه أرضًا، ليقول سليم فى حنق صانحًا:

- أنت لم تدفنه، لیتك دفنته یا غی، أين أقییت جثته؟

تعجب فتحى من ثقته هذه ووجهه لم يعد یحتمل المزید من الضربات
والدم ینزف من أكثر من مكان فى وجهه فقال بصوتٍ متقطع الأنفاس:

- أقییتها فى الصحراء

خذنا إلى هذا المكان، إن لم نجد الجثة، فاعتبر نفسك میتًا

وصلوا جميعًا إلى بقعة نائية فى الصحراء یقع على أطرافها عدد من
التلال، الظلام یسود، وحده ضوء السيارة هو من ینیر الطريق وأقرب
إنسان رأوه على بُعد 3 كيلو متر على الأقل والرياح عاصفة باردة تصطك
لها الأسنان وتتقعقع لها الأضراس، توغلوا قليلًا لیشير لهم على صخرة
كبيرة ویقول بصوتٍ مُنْهَك:

- جثته وراء هذه الصخرة

نطق شریف لأول مرة:

- وكيف تحفظ هذا الطريق؟

- كنت ألهو هنا قبل الزواج

توجهها وراء الصخرة المُشار إليها، لتملأ رائحة خبيثة أنوفهم وجثة صارت
من الجيف هى مصدرها، طلب سليم من شریف الحفر، فأعطاه شریف



المسدس الذى كان يحمله ففعل كيفما اتفقا، حتى الآن الأمور تسير كما
خططا لها من البداية، ثم طلب منه ثانية بعد أن انتهى أن يجزَّ الجثة إلى
الحفرة فقال شريف بإصرار:

- لن أفعل، تفضل أنت

اشمأز كلاهما فقال سليم بحسم:

- سنفك وثاقلك الآن لتضع جثته فى هذه الحفرة، أم أنك بحاجة لِعُرَاب
لِيُرِيكَ كيف تفعل؟

بدأ شريف فى فك وثاقه وسليم ممسك بالمسدس، وما إن انتهى حتى دفعه
فتحى بضربة قوية من كتفه فى صدر شريف، ليرتد إثرها شريف مترين
للوراء مُصْطَدِمًا بسليم الذى يحمل السلاح ليسقطا سويًا، بينما سقط
السلاح من يد سليم وحين رفع شريف رأسه وجد المسدس بيد فتحى وهو
يبتسم بأسنان دامية جعلت منظره بشعًا، بينما سليم يئنُّ من أثر الألم
بساقه. تبدل الموقف تمامًا فى لحظات معدودة ليقول فتحى:

- أسف يا باشاوات ستبقيان هنا مع الجثة مادامت تهكما إلى هذه
الدرجة

انتبه شريف وقد استوعب الموقف والنتائج المترتبة عليه فقال موضحًا:

- أفهم يا فتحى، نحن لا نريد قتلك، لو كنا نريد ما كنا وصلنا إلى هنا وكنا
قتلناك من البداية



ابتسم فتحى وقد أعاد إليه المسدس قوته التى انهارت إثر تلقى اللكمات والضربات فقال متهمًا:

- ولماذا أغامر وأترككما؟ لقد وقعتما تحت يدى وطلقتان ستهيان الأمر

تبادل شريف وسليم النظرات، وأدركا أنه لا جدوى من المحاولات مع قاتل شرع فى القتل ثانية لحماية نفسه سابقًا، اللوم لن يُجدى، والندم لن ينفع.. أترجياه كي يدفنها بعد قتلها؟!!!!

طلقة انطلقت من الظلام لَتَسْقِطَ المسدس عن يد فتحى، وصوت لم يُمَيِّزُهُ أحدهم يقول فى ثبات:

- لن تفعل يا فتحى، دعك من عمل الهواة، لقد وقعت فى يدى أنا هذه المرة قالها عماد الذى برز وجهه أخيرًا وعرفه سليم لِيُكْمِلَ مُوجِبًا حديثه لسليم:

- ولكن هل من تفسير لما يحدث يا دكتور؟

كان عماد مُتَابِعًا لكل الخطوات من البداية منذ أن أخبرته أخته باصطحاب سليم لجواز السفر، فاستمر فى مراقبتهما لعله يفهم ما يدور، بالطبع هناك الكثير لم يفهمه وفى انتظار أن يفهم.

قال سليم بعدم تركيز:

- هذا الرجل حاول قتلى، أتركه؟

- ولماذا لم تبلغنا، ولماذا يقتلك؟ وما علاقتك بفريد؟ وما علاقتك بصفاء قتيبة الإسكندرية، لا أحد من أهلها أو حتى جيرانها وأصدقائها يعرفك؟

فوجئ سليم بكم الأسئلة، وهو يدري بأن الإجابات الحقيقية ستجلب له اتهامات لا حصر لها، صمت وطال صمته ولكن الكلام جاء على لسان شريف هذه المرة:

- صفاء كانت صديقتي على الإنترنت وجمعتني بها علاقة برينة، اختفت فجأة ولم تعد تُخَدِّثني فطلبت من سليم أن يسأل عنها لأنني كنت مُسَافِرًا وقتها

لم يصدق سليم الحل السحري الذي قَدَّمه له شريف في لمح البصر فقال سليم هو الآخر:

- أما باقي الأسئلة سيجهيك عنها فتحي، فهو لديه جميع الإجابات. أشكرك يا عماد لأنك ظهرت في الوقت المناسب.

جاء كلامه مصبوغًا بِجِدَّةٍ جَرَّاءِ أحداث هذه الليلة.. تَطَلَّعَ إليه عماد طويلًا ولكنه تغاضى مؤقتًا عن الاستمرار في استجوابه لسوء حالته أولاً ولكونه زوج أخته ثانيًا.. ألقت القوات القبض على فتحي وَوَجَّهَتْ الأسئلة لسليم وشريف، اللذين احتفظا بأسرارهما، وكانت إجابتهما واحدة في ما يخص فريد وصفاء، فسليم يود شراء قطعة الأرض التي يملكها فريد، وهي السبب فيما تلاها من أحداث.

لا أحد يشعر براحة كتلك التي شعر بها سليم، بعد أن عثر على جثة فريد، فقد تأكد الآن أنه في طريقه لمغادرة سجن الموتى، ربما تعود بعض الراحة والهدوء لحسن ذلك المسكين الذي لا يشعر أحد بمعاناته غير سليم. ولم

ينس أنه قدّم خدمة جليلة أيضاً لفريد قد لا يستحقها فقد عثر على قاتله وأراحه من سجن الموتى.

عادوا إلى القاهرة بعد ليلة طويلة قضياها في الرد على أسئلة المُحَقِّقِينَ على وعد باستكمال التحقيق في وقتٍ آخر. كان أول مكان يزوره سليم وشريف هو المستشفى كي يطمئنا على منصور، الذى مازال غارقاً في غيبوبة، الله وحده يعلم متى ستنتهى إذا كانت ستنتهى أم إنها ستقضى على حياته.

وقف سليم دامع العينين بجوار سريرهِ وجسد منصور مُسجَى أمامه لا أثر لحياةٍ فيه إلا من نبضات قلبه فقط هي ما تربطه بعالمنا. تُرى ما الذى يراه ويشعر به منصور حالياً؟ هل مازال موجوداً هناك في عالمه المروع؟ هل مازال يمارس نفس المهام أم أنه في طريقه لمغادرة كلا العالمين؟ كانت الأسئلة تتردد في ذهن سليم الذى لم ينم منذ أول أمس .. منذ اليوم الذى علم فيه بدخول منصور في غيبوبة، قضى يومه يفكر في منصور وحالته و ليله يخطط للأحداث التى دارت في الليلة الماضية. خرج من العناية المُركَّزة ليجد شريف يتحدث مع أحد الأطباء وبعد أن أنهى حديثه اتجه إليه فسأله سليم:

- هل من جديد؟

فأوماً شريف برأسه نافيةً فقال سليم:

- لا أعرف كيف أشكرك يا شريف، بصرف النظر عن ما حدث أمس كنتُ بأشد الحاجة لوجودك بجوارى، ومنذ قدومك وأنت مشغول بى وباختفائى



ومشاكلى، ولكنها مرت بسلام، حان الوقت لأسمع منك عن حياتك بالخارج
وأسباب عودتك ومشروعاتك القادمة.

- ليس الآن يا سليم، كلانا مُجهد، سنجلس ونتحدث، ولكن بعد أن نرتاح
ولو قليلاً، الآن اذهب لبيتك وتل قسطاً من الراحة

احتضنه سليم بعد أن قال " حمدًا لله على سلامتكم " ثم ودعه وانصرف.



أنا وهو

شريكان في شَرِكٍ واحد

وشريكان في لعبة الاحتمالات

ننتظر الحبل.. حبل النجاة

لنمض على حدة

وعلى حافة الهاوية

إلى ما تبقى لنا من حياة

وأمل

إذا ما استطعنا النجاة!

محمود درويش بتصرف بسيط

245

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية

انضموا لجروب سحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
sa7eralkutub.com او زيارة موقعنا

عاد سليم إلى الفيلا، لحسن حظّه لم يقابل حماه، لم يكن لديه أئى استعداد للكلام أو التعرض لمزيد من الأسئلة، فاتجه إلى غرفة النوم مباشرة ليجد جيهان نائمة على السرير، لا ينكر أنه افتقدتها كثيرًا في الفترة السابقة ولكن ما مر به لا يمكن أن يُشركها به، جلس على طرف السرير بجوارها، كانت نائمة على جنبها الأيمن، ظهرها باتجاهه ووجهها في الجهة المقابلة، طبع على رأسها وشعرها العديد من القُبَلات لا يعرف إن كانت أيقظتها أم لا، همس بجوار أذنها في أسى حقيقى:

- أنا أسف لما سببته لك من ألم وقلق في الفترة السابقة، لقد انتهى كل ذلك ومضى ولن يعود، أعذك بأنه لن يعود، وستعود حياتنا كما كانت، نملأها سعادة مع سلمى، كم أفتقدكما! سامحيتى يا جيهان.

التفتت إليه بهدوء وضَمَّتْهُ إليها بشدة، دفن رأسه في صدرها، واحتواه قلبها، كان في أمسّ الحاجة لهذا الحضن، ينسى به ما فات، ويفتح صفحة جديدة من عمره بعد أن يطوى صفحة كادت أن تُودى بحياته مرتين.

وللنوم في حضن الحبيب راحة لا يعرفها إلا ذو حظٍ عظيم هو من وجد هذا الحبيب ليمنحه مثل هذا الحنان العَطر، لذا نام سليم نومًا هادئًا عميقًا، وابتلعه اللالزمان واللامكان دون إرادة أو وعى منه، ولكن عجب أمر الأحلام تنال منك حتى في الوقت الذى تقرر فيه أن ترتاح، لا سبيل لإيقافها أو تأجيلها، لذلك كان سليم مُضْطَرًّا حين شعر بهذا الإحساس من جديد، هو يحلم، ناهضًا من أرض حفظها من كثرة ما رآها في منامه، يمشى بخطواتٍ هادئة، أهدأ من كل مرة زاره فيها هذا الحلم، الهدوء بلغ منتهاه،

مازال مستمرًا في السير حتى رأى عن بُعد سلّمًا يظن أنه رآه من قبل لا يذكر الآن أين ومتى. جَرَّب الصعود درجة واثنان وثلاث، أكمل حتى بلغ منه التعب، نظر لأعلى لا يزال هناك الكثير من الدرجات، واصل الصعود، ما زالت القمة بعيدة ولكن يبدو أن هناك من ينتظره في نهاية السلم، لا يميز من هو ولكنه بدأ يتذكر، هذا السلم صعده من قبل حين كان يبحث عن حسن بعد خروجه من الساحة، تَبَا لِعَصَابِ الصدمة وإجبار التكرار والرجوع للحالة السابقة وتلك الدوافع التي قرأها في بحثه عن دوافع وأسباب الأحلام، هاهي تُعيدُ إليه الخبرات المؤلمة في أحلامه، لا بد وأن حسن ينتظره من جديد في أعلى السلم.

حسنًا لا بأس من مرة جديدة يا حسن في الحلم، تُرى هل ستشكرني؟ صدقتي أنا أسعد منك بمساعدتي لك فلا داعي للشكر، لقد صرنا أصدقاء وصار هذا واجبي.

كان هذا الحديث يدور في نفس سليم بينما يصعد، الشخص الواقف في أعلى السلم يزداد اقتربًا وسليم يواصل، يقترب، يميز الهيئة، ليس حسن، ولكن من؟ أسرع في صعوده، ولكن هذا الواقف يعود خطواتٍ للوراء وسليم يُسرع حتى اقترب من القمة، ليرى أخيرًا هذا الواقف المنتظر، لم يكن حسن ولكنه منصور.

وصل سليم ليقف في مقابلة منصور يفصلهما مترين فقط عن بعضهما البعض، سعادة سليم لا توصف، لقد كان قَلْبًا عليه منذ دخوله في غيبوبة، شكرًا لهذا الحلم سيُشبعُ رغبة عارمة لديه وهي الاطمئنان على منصور، هكذا كان شعوره وهو يقف أمام منصور.



حزن كبير يبدو على وجه منصور، كان ذلك مفهومًا وسليم يعرف سببه، لذا اقترب منه ببطء واحتضنه، ليبيكي منصور ويعلو نحيبه، رَبَّتْ سليم على كتفه مرات ومرات وهو يقول:

- ستعود، لن أتركك

ومنصور يردد وسط بكاءه:

- سامحنى، لم أكن أعلم، سامحنى

لم يتبين سليم كلماته، ولكن منصور يُكْرِزُ نفس الجملة في إصرار، حتى وعاهما فابتعد عنه قليلاً وهو يقول:

- علام أسامحك؟

- على ما أوقعتك فيه، لم أكن أعلم

- أنا من أردت ذلك، أنا من حاولت مساعدة حسن، المهم أنى لن أتركك

- لستُ عن هذا أتحدث

- ليس عن هذا!!!! ماذا تقصد؟

سقط منصور على ركبتيه وهو مازال يبكي وهو يقول:

- عن ما أوقعتك فيه، عن هذا العالم

ارتسمت علامات الدهشة وعدم الفهم على سليم ليقول بعد أن جلس على ركبتيه أيضًا:

- ماذا تقصد؟ أنا لا أفهم ما ترمى إليه



- اللعنة لقد انتقلت إليك لعنتي، بعد مساعدتي لك في الخروج من سجن الموتى

لأمر خطير والقواعد كثيرة واللعبة لا تتوقف ولا تنتهي لأن زَمَانًا ليس بأيدينا، وأنا مجرد دُمِيَّة تَبْنٍ ليس لها القدرة على تغيير المصير.

ستخوض تجارب غريبة وترتاد عوالم أغرب وتقابل من ينتمون لعالمك ومن لا ينتمون، ستراهم يتلقون العذاب صنوفًا وألوانًا، ولن تجرؤ على المساعدة، سَتُعْمِضُ عَيْنَاكَ وتتمنى لو فقأتهما وهما مقبلتانِ على رؤية ما يشيب له الفانون أمثالك.

ماذا لو لم يجدوا جسدي تحت الأنقاض؟ ماذا لو كانت جثتي مفقودة ولا أحد يعلم مكانها؟ هل كنت ستتركني أعانى في هذا السجن وتشاهدني بينما أتعذب وأواجه الملل والحسرة على جَسَدٍ لا أعلم أين ذهب، تسبب في وجودي ومعاناتي؟ ألن تمد يدك لي، ألن تساعدني؟ أم أن سلبيتك سيطرت عليك بشكلٍ كامل وجعلتك دُمِيَّةً في يد هؤلاء الشياطين لا تُنْقِذُ إلا ما يريدون، ولا تأتمر إلا بأوامرهم، أم أنك تتلذذ برؤيتك لبعض أقرانك من البشر يذوقون مثلك صنوف العذاب ويتجرعونه كأسًا وراء كأس في غير رحمة ولا إشفاق؟

249

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية

انضموا لـجروب سحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/

sa7eralkutub.com

او زيارة موقعنا



لو كان بيدى المساعدة لقدمتها لنفسى ولا أموت ببطء كما هو الحال الآن، أنت لم أرك فى سجن الموتى سوى وأنت فى طريقك للعودة من جديد، أما من أقابلهم وأنا فى هذا العالم هم أكثر مما يمكننى مساعدته أنقذ من؟ أم من؟ عشرات ومئات أقابلهم، لم أكن السبب فى وجودهم هناك غير أنه غير مسموح لى بالمساعدة من الأساس، هذه إحدى القواعد التى لا ينبغى لى كسرهما. هذا أسلم وأصلح للجميع.

وما دورك فى هذه الأماكن؟

أدوار متنوعة أنا خادم فى مكان، وأداة للتعذيب فى مكان وشاهد على الألم فى مكان، وسجّان فى مكان وأواجه تحديات عديدة فى هذه الأماكن أما الدور الأعم الذى يجمع كل الأقسام معًا هو مراقبة تلك الأماكن وما تحويه من عذاب وألم وذلك على سبيل تعذيبى أنا شخصيًا وما أنا إلا مسجون فى هذا العالم وسجّان على هؤلاء فى نفس الوقت ولكنى فى الحقيقة سجين مؤقت، سجين فى كوابيسى كل ليلة.

- لقد أصابتك لعنتى وانتقلت إليك ولذريتك من الذكور

- أى لعنة؟ هذا مجرد حلم، أنا متأكد من ذلك، أنا لم أفعل شيئًا، أنا نام الآن بجوار زوجتى.

بصوت يملؤه الهم والألم قال منصور:

- ستكون آخر مرة تنام بجوارها يا دكتور، فلتبحث حين تصحو عن مكان تنام فيه وحدك مستقبلاً مثلما فعلت أنا وأبي وجدى من قبل، هذا ليس خُلماً يا دكتور، لقد صرت ملعوناً مثلى تجوب هذا العالم لأنى ساعدتك فى الرجوع لعالمك، ما ينبغى لى مساعدة أحد ممن أشاهدهم فى هذا العالم، أنا أعلم هذه القاعدة جيداً أخبرنى بها والدى ميرزا، كى لا أنال العقاب أنا ومن أساعده، ولكن بعدما رأيتك هنا آخر مرة مع حسن قررت مساعدتك ولم أكن أعلم مدى العقاب الذى سيحل بى وبك ولكنى تقبلتُ عقابى أما العقاب الذى سيحل بك فتصورتُ أنه مهما بلغ سيكون أهون من بقاءك هنا نزيلاً دائماً فى سجن الموتى كالباقين، كنت أمام خيارين إما أن أنقذك لتعود لأهلك وعالمك وإما أن أتركك تعاني كالأخرين مثلما فعلت دوماً، لم أتخيل أن يكون عقابك أن تحل لعنتى عليك، سامحنى يا دكتور سامحنى

- هذا جنون، أنا لم أقترف ذنباً لتحل علىّ لعنة

- أخبرتك من قبل، ولا أنا أيضاً، لا عدالة ولا منطق هنا، ولكنها قواعدهم التى ما ينبغى أن يخالفها أحد، بعد أن رأيتك هنا ذهبت على الفور إلى ذهب لإنقاذك وعُدتُ بك إلى شرم الشيخ بقيت بجوارك طوال الفترة التى لم تكن بها واعياً، لم يغمض لى جفن، بقيت طوال هذه المدة بلا نوم حتى حين عدت لبيتى قاومت النوم بشدة زُغمَ ما حلَّ بى من تعب، كنت أعلم أنه بمجرد نومي وعودتى هنا سأنال عقابى الذى لا أعرفه ولكنى أثق أنه مُخيف بما يكفى، إلى أن استسلمت للنوم، لن أبقى مُتَيَقِظاً باقى حياتى، وقابلتهم، شياطين هذا العالم أنبأونى بالثمن الذى سأدفعه مقابل مساعدتى لك، سأبقى هنا أمارس نفس الأدوار وأواجه المزيد من التحديات حتى يكتفوا وأعود وقتها لسابق حالى أو يحين أجلى، هذا جزائى وقد قَبِلْتُهُ،

وعلمتُ منهم بأنك ستلحق بي متى تنام لتمارس نفس الأدوار لِتَدخُلِكَ أكثر من اللازم فيما ليس لك به شأن.

صدمة عنيفة تلقاها سليم على حين غُرّة، كان غير قادر على التفكير ولكن الوقت يمر، يُمَيّ نفسه بأنه يحلم وأن ذلك كابوسًا سيصحو منه فورًا. ولكن ماذا لو أنها الحقيقة؟! يفكر لو لم يفعل منصور ذلك لبقى هنا مثل حسن والأخرين، ربما يجدوا جثته وربما لا، وإن وجدوها ستكون جثة غادرتها الحياة، جميعها خيارات مؤلمة.

- سامحني يا دكتور، ربما لو علمت لفكرت قليلًا، ولكني فقط حاولت المساعدة، لا تقلق سأكون بجوارك دائمًا، ستكون أيامك وشهورك الأولى هنا مُفْرِغَة ماجنة مُقَرَّرَة ولكنك ستعتاد الألم حتى تنساه، ستمل من الذهول من هول ما ترى، الخوف فقط من الوقوع في شرك إحدى التحديات التي تواجهها، ولكني سأُنَبِّئُكَ بكل صغيرة وكبيرة تَجَنَّبًا لهذا الأمر، أعلم أن هذا صعب، ولكن لديك بعض الامتيازات لم أكن امتلكها. لديك رفيق في هذا العالم هو أنا، وصديق هو حسن، كما أنك متزوج ولديك ابنة لن تنتقل إليها اللعنة كونها أنثى، لو كان لديك ولد، لكان الأمر أشد.

فقال سليم بصوتٍ يملؤه الحسرة يوشك على البكاء:

- حقًا كم أنا محظوظ!!!

ثم ساد صمتٌ ثقيل حتى كسره منصور:

- يكفى ما عرفت اليوم وستعرف كل شيء لاحقًا وسنجول تلك العوالم بدءًا من الغد في موعد نومك القادم



ثم جلس كلاهما مُسْنِدًا رأسه وظهره على جِدَارِ الغرفة المتداخلة التي قابل بها حسن من قبل ثم وضع سليم رأسه فوق ركبتيه.

لا يعرف كم مر من الوقت، ولكنه يعود من جديد لسريره في غرفته، ويستعيد وعيه وَيُبْصِرُ مُكَوَّنَاتِ الغرفة من حوله، زوجته غير موجودة بجواره، أين ذهبت؟

تَدَكَّر كل ما جرى أثناء نومه، فَكَّرَ ما احتمالات أن يكون هذا كابوسًا أو أن يكون حقيقة؟ لا يملك إجابة حاسمة لا هو ولا أحد على وجه الأرض سوى منصور لكنه في غيبوبةٍ تؤكد ما دار أثناء نومه، سيكون أطول يوم يمر في عمره حتى يحين موعد نومه القادم ليتيقن. يا للجنون!

انفتح باب الغرفة لتدخل زوجته مرتدية ثياب الخروج، لا يعرف أهي في طريقها للخروج، أم أن تلك عودتها. نظرت له ثم قالت:

- أَلن تقول لي حقيقة ما دار في دهب؟

- أَلم يُخْبِرِك عماد؟

- أخبرني ولكني أريد أن أسمع منك

- ما رواه لك هي الحقيقة وقد انتهى هذا الموضوع

- حقًا؟

فقال وهو شارداً فيما رآه أثناء نومه:- حقًا



اندفعت إليه واحتضنته بشدة لتقول في سعادة ووجهها على كتفه
وتمنحه قُبلةً دافئة في جانب رقبته:

- إذن فلتحافظ على حياتك يا حبيبي من أجلنا ولتَكُفَّ قليلاً عن إثارة
قلقى وغضبي مستقبلاً, فأنا حامل!!!!

.....

ولم تكن تلك هي النهاية بل مجرد بداية



255

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية

انضموا لجروب ساهر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
sa7eralkutub.com او زيارة موقعنا



256

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية

انضموا لجروب ساهر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
sa7eralkutub.com او زيارة موقعنا



شكر خاص

خالص الشكر والتقدير للأصدقاء الأعزاء الذين لم يبخلوا علىّ بأوقاتهم وملاحظاتهم وآرائهم في الرواية وساهموا في خروجها بهذا الشكل

تامر سعيد محمد هشام سيد

محمد على على ولاء مهتدى عبد الصمد

راضى عبده محمد عصمت

إسلام إسماعيل إبراهيم بهاء الدين أسامة

شكر وامتنان لدكتور عادل مجدى عبد الجواد للمعلومات الطبية المميزة

شكر خاص لكل أعضاء جروب التولتمية

شكرًا لوجودكما في حياتي

أحمد سمير أحمد جمال

شكر بحجم الكون لأصدقائي الكُتّاب وأساتذتي

محمد عصمت عمرو الجندى

محمد مجدى



الكاتب في سطور

الكاتب من مواليد القاهرة لعام 1983م, تخرج في كلية الألسن قسم اللغة الألمانية بجامعة عين شمس لعام 2004

عمل بمجال الترجمة حيث قام بترجمة بعض الأفلام الوثائقية والأبحاث المتنوعة

عمل بمجال التعليم كمدرس للغة الألمانية

والآن يعمل رئيسًا لقسم التخطيط بالموارد البشرية للشركة المصرية للاتصالات

شارك بعام 2013 في كتابين جماعيين بعنوان

(شيزوفرينيا الحب)

(1+99)

شارك بعام 2014 في ثلاثة كتب جماعية بعنوان

(سكر بنات)

(خوف)

(3 فاز)

يمكن التواصل مع الكاتب عبر حسابه التالى على الفيس بوك

<https://www.facebook.com/ahmed.osama.792>

258

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية

انضموا لجروب سحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
sa7eralkutub.com او زيارة موقعنا



259

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية

انضموا لجروب ساهر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
sa7eralkutub.com او زيارة موقعنا



جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للناشر



noon_publishing@yahoo.com
0235860372 - 01127772007

260

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية

انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
sa7eralkutub.com او زيارة موقعنا

هَلَمْ بِنَا لِنُحْرَ مَعَ الْكَاتِبِ الرَّابِعِ أَحْمَدَ أُسَامَةَ فِي رِحْلَةِ قَصِيرَةٍ مَتْخِمةٍ بِالْأَسْئَلَةِ دَوْلِ سِجْنِ الْمَوْتَى وَ أَيْنَ تَذْهَبُ أَرْوَاحُ الْمَوْتَى؟ هَلْ هُنَاكَ عَوْدَةٌ مِنْ سِجْنِ الْمَوْتَى؟ وَغَيْرَهَا مِنَ الْأَسْئَلَةِ فِي رِحْلَةٍ مِثْلَهَا الْفُضُولُ وَ اللَّفَّةُ الشَّيْقَةُ الْجَذَابِيَّةُ ، لِنَدْعُ الْمَلَلَ جَانِبًا لِأَنَّ لَنَا مَكَانًا لَهَا هُنَا ، هُنَا الْحُكْمُ وَ السِّيَادَةُ لِلتَّشْوِيقِ وَ الْإِبْرَارَةِ فَقَطْ هَلَمْ بِنَا لِنُخَوضَ تِلْكَ الرِحْلَةَ وَصَدَّقْنِي لِنَنْتَحِمَ أَبَدًا وَ لَكِنْ احْذَرِ لَّا تَقْبَعِ طَوِيلًا فِي سِجْنِ الْمَوْتَى لِأَنَّكَ لَّا تَعْرِفُ شُرُوطَهُ وَ لَا تَعْرِفُ تَعْلِيمَاتِهِ فَقَطْ كُنْ حَذِرًا لِلغَايَةِ .

الكاتب / محمد عصمت

عندما أدخل المكتبة، أو أتصفح الإنترنت للبحث عن رواية جديدة أقرأها.. أبحث عن موضوع جديد، مثير، مشوق، شيئاً لم أقرأ مثله من قبل، حتى أقتطع مسألتها بضع ساعات من عمري لأقرأها، من خلال ثلاثة قصص تحكي بالتوازي.. إلى أن تتداخل بسلاسة وتبدأ الحقائق في التكشف.. نعرف قصة.. سجن الموتى.

الكاتب / محمد مجدي

ISBN 9789777780483



9 789777 780483

